510
HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

الربيع في روما

ساندرا مارتون

الربيع في روما

ساندرا مارتون

كانت كارولين عارضة ازياء، لكنها كانت تكره مهنتها هذه. وتكره ايضاً تلك الحفلات غير الصادقة والمرائية، وكذلك تكره تلك العيون النهمة. إلى أن التقت عيناها بعينين هزتا مشاعرها. انهما عينا نيكولو سابانيني الذي بدأ يتولى توجيه حياتها وكأنها ملك من ممتلكاته الطائلة. لكن كارولين شعرت بأنه تماماً مثل أي رجل آخر: كل الذي يريده هو أن ينال منها ما يبغيه ويشتهيه. ومع ذلك كله كان يعامل جدته باحترام شديد وعاطفة كبيرة، وأراد أن تكون كارولين رفيقتها. فهل كان ذئباً شرساً أم إنساناً رائعاً مخلصاً؟ وماذا كان عليها أن تفعل عندما اكتشفت أنها واقعة في حبه؟

«انها ليست الطريقة المثالية في التوجه إلي...»

«يمكنك أن تتوجهي إلي بسعادتك. أو بمعاليك. الاختيار الذي ترغبينه، يا كارولين.»

ربما يتوقع منها أن تنحني له احتراماً. فانتصبت كارولين في وقفتها بتعالٍ وكبرياء.

«كذلك أنا.» قالت ببرودة أكثر من ذي قبل: «يتوجه إلي ايضاً بالآنسة بيشوب.»

قام بانحناءة صغيرة: «طبعاً. اعذريني ان كنت قابلتك بهذا الأسلوب غير الرسمي، يا آنسة بيشوب.»

٤٦ ٣٣٣

٥١٠

khouloub Abir 510

الربيع في روما

ساندرا مارتون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

ساندرا مارتون

«كان ينبع اهتمامي الأول بروما من خلال دراستي للغة اللاتينية وتفضيلها في نفسي. وقد سلب عقلي المكان الوحيد الذي كان يحكم ويقود العالم القديم. فعندما اطلعت على القصيدتين الجميلتين اللتين قام بكتابتهما رسفيغي، وهما، صنوبر روما، وينابيع روما، اكتشفت أنني عندما اغمض عيني قد استطيع حتماً أن أرى مدينة القياصرة. فعندما رأيت روما أخيراً وللمرة الأولى، احسست وكأنني كنت هناك من قبل. هل يا ترى كنت مرة سيدة رومانية تدثرت بغطاء طويل لملاقاة حبيبها القائد الروماني من وراء أسوار المدينة العالية؟ وهل كانت له عينان زرقاوتان مثل الياقوت الأزرق، ومثل بطل قصتي الربيع في روما، ومثل عينا زوجي؟»

الفصل الأول

كانت كارولين تركز نظرها على مكان ما فوق الحائط بينما كان فابيانو، يجثو امامها على ركبتيه، وهو يمرر الإبرة بخفة ورشاقة في حاشية الثوب الحريري ذو اللون القرمزي والذي التصق التصاقاً تاماً في جسدها.

«أجمل ما ابتكرت.» قال متذمراً إلى جماعة من معاونيه الذين تحلقوا حوله بفضول: «وانظروا ماذا حصل لهذا الثوب.»

تحولت انظار المعاونين إليها وكأنهم بذلك يتهمونها بأن افساد الثوب كان غلطتها هي.

«استديري.» طلب منها مصمم الأزياء، وهو يلكزها بيده الغليظة. «اسرعي، اسرعي، يا سينيوريتا. والآن، قفي مستقيمة ولا تتحركي.»

أخذ يدخل الإبرة ويخرجها في القماش بحركة فنية متواصلة، ثم انتصب واقفاً وهو مقطب الجبين: «كارلو، هات الطبشورة.»

اسرع احد معاونيه ليضع طبشورة صفراء في يد فابيانو الممتدة إليه.

«دبابيس.»

لكزها مرة اخرى. وارتعشت شفتي كارولين. لقد تراءى لها فجاة أن هذا المصمم القصير القامة والممتلىء الجسم قد تحول إلى رجل جرّاح برداء اخضر اللون وفي غرفة

للعمليات الجراحية. وتابعت بنظرها لترى أن معاوناً آخر سوف يتقدم منه ليمسح العرق الذي كان يتصبب فوق جبينه.

«المقص.»

امتدت يد المصمم مرة اخرى وحولت كارولين نظرها بسرعة إلى السقف. لا تبتسمي، قالت لنفسها مؤنبة. حاولي أن تفكري بشيء آخر. فكري كم سيندهش الجمهور الغفير الذي تجمع وراء الستائر المخملية من الضرر الذي حصل الآن في هذه الدقائق القليلة والأخيرة للعرض، كذلك المعاونون، ومزينو الشعر، والأخصائيون في فن التجميل وباختصار كل التقنيين الذين يشرفون على تنفيذ هذا العرض، احتشدوا وراء الكواليس في مكان ضيق من مسرح سالاديل آرت.

لا. انه الشيء غير المناسب لتفكر فيه. فقد تذكرها هذا كم سخرت هي وتريش وضحكا طويلاً عندما شاهدا تلك الدعوات المطبوعة لعرض الليلة بلغات اجنبية ثلاث.

«قاعة الفنون.» قرأت لها تريش في شقتها من مبنى الغرب الأوسط. «ألا ترين معي أنه المكان الملائم جداً لفابيانو كي يظهر نفسه في مجموعته الخريفية الساحرة بالنيابة عن اعتماد مساعدة الأطفال؟»

«احسان محلي؟» قالت كارولين مندهشة ببراءة، وغرق بالضحك زملاء لهن في الغرفة.

«اوافق.» قالت تريش بعد أن توقفن جميعهن عن الضحك: «قد يكون سوق السمك المركز المناسب لتصاميم فابيانو، لكن لن يعترف احد بذلك.»

أضافت كارولين: «خاصة وأنه ربط عرضه بذكاء

وحنكة شديدين بشؤون الاحسان وأموره. والذي سوف يناله من كل ذلك، مديحاً وثناءً على عمله الخيري. كما وانني اراهن أنه لن يبقى في القاعة مقعداً خالياً.»

هكذا كان. فقد استرقت إحدى العارضات النظر إلى الجمهور من وراء الستائر المسدلة المخملية فوق المسرح وعادت لاهثة لتقول ان كل كرسي مطلي بالذهب قد إمتلأ في القاعة المزدحمة.

«انتظرا حتى نرى من يوجد هنا.» همست بحماس، ثم قرأت عليهما بسرعة لائحة من الأسماء المشهورة التي جذبت اعجاب الجميع ودهشتهم.

تعرفت كارولين على بعض الأسماء، مع أنها لا تفهم كثيراً في هذه الأمور. معارض فابيانو عادة تجذب الناس مثلما تجذبهم تصاميمه، وهم من الأنواع التي تشع اشعاعاً مزيفاً. ولكن كان في هذه الليلة عدد لا يستهان به من رجال الاعلام وغيرهم، وكلهم من اصحاب الأموال والألقاب، والذين كانت تدعوهم تريش بالثقيلي الظل.

«سينيوريتا، سينيوريتا، ما بك هل اصبت بالطرش؟»

حولت كارولين نظرها نحوه. كان فابيانو ما زال جاثماً على ركبتيه، وعيناه تحملقان بها، ويداه على خاصرتيه: «طلبت منكِ أن تدوري حول نفسك، من فضلك. يجب أن تسرعي لكي نكمل اصلاح هذا الثوب. فقد اقترب موعد العرض.»

لقد اقترب موعد العرض الذي طالما ارادته كارولين. والذي شجعها على أن توقع على العقد الذي يخدم لمدة سنة مع شركة لعرض الأزياء العالمية، هذه هي رغبتها في معرفة كل ما يتعلق بشؤون الأزياء سنة كاملة في ميلانو،

المركز الايطالي المهم للأزياء، وبدا الأمر الأمثل لها، على الأقل أو هكذا كما اوحت إليها السيدة التي ابرمت معها عقد العمل في تلك الشركة.

«سوف تعملين مع أفضل وارقى المحترفين في هذا الحقل. وسوف تكسبين مبلغاً كبيراً من المال، وعندما تعودين إلى الولايات المتحدة تكونين قد حصلت على خبرة كبيرة وواسعة في هذا المضمار.»

اهتمام كارولين لم يكن محصوراً في هذا القسم الأخير. عرض الازياء كان فقط الخطوة الأولى والوحيدة إلى مهنة تصميم الملابس. وكانت الدروس التي تعطى في الولايات المتحدة في معهد برات للأزياء الأمر المهم الذي كانت تفكر فيه وتتمناه وعليها أن تحصل على مبلغاً كافياً من المال لهذه الدروس وهي الفكرة الصائبة، وكان العمل مع خبراء في هذه المهنة أولى خطوات الألف ميل. كانت، لسذاجتها أو لغبائها ـ لم تكن متأكدة أي منهما ـ تقف بين ايدي مصممي الأزياء فالنتينو وآرماني تتعلم منهما اصول خياطة الأقمشة الناعمة، وبالتالي التصميم لأروع الابتكارات الكلاسيكية.

بدا لها أن الحلم سوف يتحقق.

هنا تكمن العلة والصعوبة، فكرت وهي تسخر من نفسها. لأنه كان حلماً، اما الحقيقة فقد ظهرت شيئاً مختلفاً تماماً. آه، انها تحب ميلانو. فللمدينة مزيج حيوي بين العالم القديم والجديد. كما يمكنك التحديق بإعجاب شديد بلوحات دافينتشي والتسوق في كاليريا فيتوريو ايمانويل وهي من أضخم وأقدم الأسواق الأوروبية واوسعها انتشاراً. في

استطاعتك أيضاً، وعندما يكون الجو مشرقاً أن ترى الثلوج من على قمم جبال الألب الساحرة.

لكن لم يتحقق أي وعد من هذه الوعود التي وعدتها بها الوكالة. فهي لا تعمل مع فالنتينو بل مع فابيانو والمصممون الذين يعملون على منواله تستمر مهنتهم جزئياً مثل ذباب الفاكهة، لذا فإن نجاحهم لا يتوقف على المواهب التي يتحلون بها بل على افكار لا بأس بها قد تطرأ على رأسهم في فترات متباعدة. اما بالنسبة لمبلغ المال الذي خططت لتوفيره، لا تعلم كيف ستستطيع أن توفره؟ فقد اخذت الوكالة نصف مجموعه قبل أن تراه عيناها، قسم منه من أجل عمولة حجوزاتها والباقي لدفع ما يتوجب عليها من إيجار الشقة المتواضعة التي تشاركها فيها تريش وفتاتان اخرتان.

كان اسوأ ما اكتشفته اخيراً بأنها كرهت مهنة عرض الأزياء هذه. وأحد هذه الأسباب أضواء الكاميرا، فكانت تشعر بحرج كبير وهي تتمايل على صوت موسيقى شعبية وترتدي ثوباً شعبياً رخيصاً، وعيون الناس تحدق بها من كل صوب. ولكنها كانت تعلم، أن طريقة تفكيرها خطأ لا اساس له. فمهنتها عارضة أزياء، ومن الطبيعي أن تجلب أنظارهم إليها. فهذا ما جاء بهم إلى هذا المكان. لكنها لم تستطع منع نفسها من رؤية ما وراء نظراتهم، كالحسد الذي يظهر بوضوح من نظرات النسوة إلى نظرات الرجال النهمة المتعطشة.

وجدت مع الوقت طريقة ما تنسجم بلحظاتها فوق خشبة المسرح. وكانت الطريقة هي ان تتجنب ما يقلقها في

اللحظة التي تخطو فيها على الخشبة. مثل أن لا تلحظ نظر احد من الجمهور. ولا أن تفكر بالثوب السخيف الذي تعرضه أو بالمساحيق التجميلية التي تكسو وجهها أو بشعرها المسرح مثل عروة الأسد.

قررت بالمقابل أن ترفع رأسها عالياً بشموخ وإنفة وتصقل نظراتها بغشاوة شبه زجاجية وان تتحرك على صوت الموسيقى بالطريقة الصحيحة التي طلبت منها. وان تتخيل نفسها بعيداً عن الجمهور كونها ضمناً معهم، والمضحك في هذا الأمر كله أنها تظن نفسها قد اصبحت محترفة في النهاية كعارضة بارعة في هذا الحقل والتي تعيش لحظاتها تلك مع نظرات الجمهور.

«عظيم!»

جفلت كارولين، ثم نظرت إليه. بينما كان فابيانو يقف بتثاقل، وغابت كل الابتسامات التي تصورتها الآن. واحاط كتفيها بيديه بشوق، وقبلها قبلتين في الهواء على كل خد من وجهها.

قال بارتياح: «لقد تم اصلاح الثوب. إنك يا سينيوريتا، فتاة رائعة. فجمالك يضاهي جمال الثوب الذي ترتدينه.»

حاولت كارولين أن تهدىء من صوتها: «إنه... إنه ثوب غير عادي.»

«غير عادي؟ إنه رائع، يا سيدتي. انه اجمل ما سترتدينه إلى أن اقدم ابتكاري التالي!»

«لا استطيع أن اتصور كيف يمكنك ابتكار شيء آخر. فبهذا الابتكار تجاوزت كل حدود الجمال.»

ضاقت عينا الرجل للحظة وكأنه يحاول تفسير ما قالته

كارولين، لكنه سرعان ما ابتسم. فغروره لم يدعه يفهم ما قالته، على الرغم من مقدرته في تكلم اللغة الانكليزية.

قال وهو يبتسم: «متعي نفسك، يا سينيوريتا.» واسرع بالخروج، ومعاونوه يسيرون من ورائه تماماً.

قالت كارولين وكأنها تكلم نفسها: «يا لها من فرصة سانحة.»

«اهذا الذي يجبرني على ارتداء هذا الثوب؟ اهي الأفكار الإيجابية في العمل؟»

دارت كارولين بسرعة حول نفسها، كانت تريش قادمة نحوها ويعلو محياها الجميل إزدراء كلي للذي ترتديه. فقد كان لون ثوبها اخضر يميل إلى الصفرة وكأنه طلي بدهان من اصله.

قالت كارولين هازئة: «ما هذا الثوب؟»

قالت تريش وهي ترفع شعرها عن كتفيها وأدارت ظهرها لكارولين: «سؤال وجيه. اسدي لي خدمة، إن سمحت، وارفعي لي سحابة الثوب.»

قالت كارولين وهي ترفع لها سحابة الثوب: «هذا إن استطعت الاستمرار من دون تنفس. ها قد سحبتها، كيف تجدين نفسك الآن؟»

«غير محتمل، ولكني من أكون كي اتذمر؟» استدارت تريش لتقف امامها. «إنه رائع. إنه اجمل ما سترتدينه، حتى ما سابتكره قريباً.»

انطلقت كارولين ضاحكة: «هل سمعت ما قاله؟»

«نعم.» وتراجعت إلى الوراء بضع خطوات، ثم القت نظرة شاملة على زميلتها في الغرفة وعيناها تضيقان بحدة: «من

المؤسف انك لم تواجهيه بالحقيقة الكاملة، لأنه مهما كان مقدار اناقة هذا الثوب فإن نجاحه يعود إليك.»

شدت كارولين الرباط الذي يحمل القماش الحريري الأحمر حول عنقها، ثم اخذت تشد ايضاً اطراف الثوب وكأن بذلك وبطريقة ما ستزيد من طوله.

قالت بعصبية: «إنكِ لم تشاهدي ما سوف ارتديه في المرة التالية. يا له من إزعاج! على أية حال، ساعة أو ما يقارب، وساعود لارتداء سروالي الجينز و...»

«ليس الليلة حتماً، أيتها العزيزة.»

«ما الذي تقصدينه بقولك، ليس الليلة؟»

«لا تقولي انك قد نسيت. انها حفلة الكوكتيل التي ستقام بعد العرض وينتظر منا أن نتقارب من الجميع.»

تورد خدا كارولين وصاحت: «لن اتقرب من أحد.»

«اسمعي، اتعتقدين أنني لا أنكر أيضاً؟»

«آسفة، تريش. لم اقصد أن...»

تنهدت تريش قائلة: «اعرف تماماً من أنك لم تقصدي شيئاً. اسمعي، فالليلة هذه مختلفة والمقصود منها الاحسان. الاحسان من أجل الأطفال.»

«إذاً؟ سبب وجودنا هنا هو أن نعرض مجموعة من فساتين فابيانو الفاشلة، لا أكثر.»

«اصبتِ. وسيقدم خمسة في المئة من ارباح هذه الليلة من اجل اعتماد مساعدة الأطفال، وهذا يعني...»

«هذا يعني أنه يحور ويدور ليؤثر على الحضور كي يبيع تصاميمه كلها.»

«وهذا يعني ايضاً أننا محتجزتان إلى أن تنتهي الحفلة.

لذا علينا الابتسام دون تكلف ونعمل بجد واجتهاد في صالة الرقص تلك كي تدور العجلة التجارية ونؤمن كافة الطلبات.»

«يشير الرجال إلى بضائعهم بإشارة من اصبعهم نحونا.»

ابتسمت تريش ابتسامة عريضة: «لم ارَ رجلاً يشير إليك بعد.»

قالت كارولين بحدة: «أنت على حق. لكن العقد لم يأتِ على ذكر أية كلمة واحدة من هذا القبيل.»

«اسمعي، أنا اوافق على كل الذي تقولينه فبعض اولئك الرجال سفلة. وبعض الفتيات، اعني البعض منهن، يعتقدن أن الرجال يبتهجون لعمل كهذا.»

«هذا الذي يولد الرعب في الأمر كله.»

«آه، لكن ما رأيك بجيليا أو سوزي، فقد تعرفتا باشخاص اغروهما بالوعود الصادقة لادخالهما في الحقل السينمائي.»

قالت مقتنعة اقتناعاً راسخاً: «اما بالنسبة إليّ إنني لا أرى سوى سائق التاكسي الذي ينقلني إلى شقتي.»

«لا بأس به بالنسبة إلي.» قالتها تريش وهي تهز كتفيها من دون مبالاة.

«ايتها السيدتان.» والتفتت الفتاتان. فرأتا إحدى مساعدات فابيانو تصفق بيديها لهما: «اسمعا إننا على وشك البدء بالعرض.»

احست كارولين بانقباض في امعائها. وفكرت ممتعضة انني أكره هذا كله، انا حقاً اكرهه!

«هل أنتِ بخير؟»

www.elromancia.com

نظرت إلى تريش، وهي تغالب نفسها على الابتسام ثم قالت: «أنا بخير.»

فكّر نيكولو ساباتيني، بأنه افظع مكان يمضيه رجل في ليلة الخميس هذه. إنما هذا لا يعني بأنه يكره النساء. لا، لا احد يتهم الأمير نيكولو ساباتيني باتهام غير معقول كهذا. لكنه تعمد الابتسام بلباقة في الحفلة.

المشكلة هي، بأن هناك العديد منهن احتشدن في تلك القاعة. الجميلات منهن. وبنات العائلات. والشابات والعجائز. وكلهن يجمعهن هدف واحد.

إنها مجموعة فابيانو الخريفية من الأزياء. تحرك نيكولو بانزعاج على ذلك الكرسي المطلية بالذهب والتي حتماً لا تتلاءم وجسد الإنسان. لم يكن سبب انزعاجه عدم اهتمامه بالأزياء التي ترتديها النساء، لكن الذي كان يعجبه اكثر هو عندما تلامس اصابعه القماش الحريري عندما يحاول أن ينزع عن المرأة ثوبها في ظلمات غرفة النوم.

كان مجبراً على الجلوس، يدعي الاهتمام بعرض لا ينتهي لعارضات أزياء صبغن وجوههن بمساحيق مختلفة اصطناعية هذا بالإضافة إلى انهن يرتدين ملابس سخيفة، مفضلاً أن يلقي من وقت إلى آخر نظرات خاطفة على لوحات علقت على الجدران، وعاد ليحول نظره إلى خشبة المسرح مرة اخرى. لا، فكر في نفسه، لا، لا يستطيع أن ينظر اكثر، حتى ولو كان هذا اكراماً للأميرة. لكن كيف، فهو يحب أن يفعل أي شيء من أجل جدته الحبيبة نونا. ألم يؤكد ذلك عندما وافق على مرافقتها إلى هذا المكان في هذه الليلة، والسبب في ذلك حبها الشديد للأعمال الخيرية.

انه يشعر بأنه واحد من هؤلاء المتاتئين الأغبياء والذين يتكلفون الابتسام فيمن حولهم، حتى أنه يشعر بأسوأ من ذلك، يشعر بأنه مثل انطونيني وفرانتي وآخرون اكتشفهم، بأنهم خدعوا الفتيات الجميلات اللواتي حلمن بالجواهر والفرو الثمين وبعن أنفسهن بسهولة، وهو يجلس الآن وربما بينهم وفي نفس القاعة، كل ذلك جعله يشعر بالحقارة في نفسه.

ما كان من داعٍ لهذا كله. فهو يستطيع الآن أن يخرج من القاعة إلى غرفة الانتظار، ويشعل سيجاراً، ويستطيع حتى ان يقوم بنزهة حول المبنى، ويكون عنده الوقت الكافي ليعود ويرافق الأميرة بسلام من بين هذا الحشد الكبير إلى خارج المكان كله.

مال نيكولو نحو السيدة الطاعنة في السن والتي تجلس إلى جانبه. وقال بلطف: «نونا.»

نظرت الأميرة إليه: «نعم، يا نيكولو.»

«اتمانعين فيما لو خرجت اشم النسيم لبعض الوقت؟»

ابتسمت له: «يظهر أنك لا تشعر بالارتياح؟»

«لا، ليس هذا. إنني فقط...»

«إنك لا تشعر بالارتياح فقط، بل انك تشعر بأن هذا ليس موضعك الطبيعي. كان عليّ أن ادرك هذا.» ابتسمت له وهي تداعب خده. «رجل مثلك يفضل أن تأتي إليه النساء واحدة بعد الأخرى، أليس كذلك؟»

ابتسم ابتسامة عريضة، ولمعت اسنانه البيضاء مضاءة في فمه وعلى وجهه المعرض لأشعة الشمس قال لها: «تعرفينني حق المعرفة.»

أشارت له الأميرة بإصبعها: «اذهب، يا نيكولو.»

«متأكدة من انك لا تمانعين؟»

«بالطبع لا. ساكون على خير ما يرام.»

قال لها: «لن اكون بعيداً. فإن احتجت إلي...»

قالت بإصرار: «لن احتاج إليك. إذهب الآن.»

نهض من على كرسيه وشق طريقه بانتباه بين الحشد الكبير في القاعة، وهو يرد التحية بأدب للذين يحيونه باسمه، ثم لاحظ وهو يحاول اخفاء دهشته بأن سيدتين منحتاه ابتسامة خاصة كانتا تجلسان جنبا إلى جنب، ولم تكن لديه ادنى فكرة بأن الصديقتان كان لهما شيء أكثر من علاقة صداقة تربطه بينهما.

خفّ الازدحام في الجزء الخلفي من القاعة وفكّر بأن يتوقف قليلاً هناك، حيث كان في استطاعته مراقبة الأميرة وان يتنشق بعض الهواء النقي أفضل من هواء عابق بأنواع كثيرة من العطور، لكنه تناول السيجار من جيب سترته الداخلية الفاخرة والتي خيطت باليد لتتلاءم وجسده الرياضي ثم قرر بأن رائحة دخان سيجاره ستنقي انفه من الروائح المتنوعة التي عبقت في الغرفة كلها.

مال نحو الباب الخارجي - وغرقت القاعة فجأة بالظلام وتعالت الموسيقى الصاخبة من مكبرات الصوت في جميع الاتجاهات.

استند إلى الحائط، وثنى ذراعيه إلى صدره، وهيأ نفسه إلى لحظات الضجر التالية.

تلألأت الأضواء من سقف القاعة، وهي تضيء المكان بالوان قوية. وفتحت الستائر، لتكشف عن صف من

عارضات الأزياء بمساحيق متنوعة وغنية عن التعريف، وبشعر كثيف مصفف بأحدث التسريحات إنما ليست الملابس من تلك الأنواع التي تجذب الرجل إليها. تقدمت احداهن إلى الأمام، تتمايل بإغراء شديد مع الموسيقى، ولحقن بها الأخريات في الممر الخشبي الضيق للعرض. وصفق الجمهور استحساناً، ثم بدأ العرض.

لوى نيكولو فمه اشمئزازاً وهو يراقب سير العرض، وتاكد له جيداً، ان النساء هن ايضاً سلعة للبيع كما الأزياء. والذي لم يستطع ادراكه وفهمه هو، لماذا يرغب أي رجل في كامل عقله في الشراء؟ ولغاية الآن ما من شيء يستحق شراءه، كما وأنه حتى النساء لسن جميلات مثل...

سرعان ما احس باختناق في صدره. فقد رأى امرأة تتحرك فوق خشبة المسرح. وكانت ترتدي ثوباً احمر. واحس بحرارة شديدة تجري في شرايينه. والذي شده إليها قوامها الممشوق لا الثوب الأحمر الرخيص. كانت نظراته تتفحصها بالكامل. وقد اظهر الثوب مفاتنها المثيرة رغم رداءته. احس بأصابع يديه تلتوي، فكوّر يديه بإحكام وأخفاهما في جيبي سترته.

التفتت، وهي تتمايل مع النغم الموسيقي. كان وجهها جميلاً بكل ما في الكلمة من معنى: عظام وجهها عالية ونافرة، أنف مستقيم وفم جذاب ومغرٍ. وشعر لوحته اشعة الشمس بخيوط ذهبية، يتدلى قسم منه فوق ظهرها وقسم آخر فوق كتفيها وكان يتمايل كامواج البحر وهي تخطو على طول الممر الخشبي للعرض. وكانت تتحرك ببطء على ايقاع معين من الموسيقى. وكانت تعابيرها باردة لا حياة

فيها، وقد يتخيلها المرء بأنها عديمة الحس والشعور، وتساءل نيكولو فيما لو أنها تكون كذلك وهي برفقة رجل ما.

تلاحقت نبضات قلبه، وهو يركز نظره عليها تماماً، وعلى ذلك الثوب الأحمر المتألق.

نظرت مباشرة إليه. وعادت تحول رأسها، وتتأمل ارجاء القاعة، لتعود وتنظر إليه.

«إنها تدعى كارولين بيشوب. وهي اميركية الجنسية.»

قفز نيكولو مندهشاً لتلك العبارة وكأنها كانت تعنيه مباشرة. والتفت ليرى جياني انطونيني يقف إلى جانبه، برأسه العالي المنتصب، وابتسامة ماكرة ترتسم فوق وجهه الناعم جداً.

«انطونيني.» هتف نيكولو، وهو ينظر إليه وكأنه اجبر أن يحول اهتمامه من الفتاة نحوه: «لقد خيل إليّ أنني رأيتك بين هذا الحشد الكبير. كيف حالك؟»

«في استطاعتي أن اعرفك بها، ان كنت ترغب بذلك. تربطني... كيف اسمّي ذلك؟ تربطني صداقة خاصة بإحدى زميلاتها في الغرفة.»

تجمد الدم في عروق نيكولو: «انني على ثقة كبيرة من ذلك.»

ضحك الرجل الآخر بلطف: «ستكون طبعاً في الحفلة التي تلي هذا العرض. وهكذا جميع الفتيات، لأنه هذا هو الوقت الأفضل لعقد الاتفاقات. اترغب بالتعرف إليها؟»

دار نيكولو ليقف امامه: «لماذا؟ هل ستنال لنفسك شيئاً، يا انطونيني؟»

«أنت تحاول اهانتي دائماً في كل مرة احاول أن أكون ودوداً معك. أنت تعلم جيداً كيف هن الأميركيات. وهن بعيدات جداً عن وطنهن...» ابتسم وهو يحول نظره إلى خشبة المسرح، حيث كانت كارولين في تلك اللحظة تختفي وراء الستائر. «إنما هذه الفتاة تختلف تماماً عن الأخريات. تعمل بجهد كي تكسب المال، وكل شيء يمكن اخذه بثمن معين.»

لوى نيكولو فمه بنفور شديد: «هذا يدل على أن الشاري ارخص ثمناً من البائع.» قال بفتور وهو يبتعد عنه: «إلى اللقاء، يا جياني.»

سمع نيكولو صوت ضحكة صديقه الرقيقة بينما كان يمشي نحو الردهة. وتنفس بعمق عندما اغلق الباب من ورائه، واخذ يتنشق الهواء النقي بعمق إلى رئتيه.

اللعنة! لماذا سمح له أن يتدخل بشؤونه بتلك الطريقة؟ ليدع الرجل يفعل ما يحلو له. فهذا لا يعنيه على الاطلاق. ما كان من مبرر له أن يتصرف بهذا الغباء. ثم وجد لنفسه عذراً، فقد كان يعمل بكد مؤخراً. وبجهد كبير. وربما هذا يفسر كيف أنه فقد من هدوء اعصابه مع انطونيني، وكيف كانت ردة فعله تميل لتلك الفتاة.

ابتسم بثقة. فلا حاجة للرجل أن يبرر نفسه لنوع كهذا من الإنجذاب إلى النساء. واسبابها تعود لأجيال مضت منذ ازلية الرجل نفسه. لكن الحادثة تلك جعلته مضطرباً لا يعرف نوعاً من الاستقرار الذاتي. وكأنما اصيب بطعنة قوية في مكان ما في كيانه، في مكان مظلم يصعب التحكم به.

كان ذلك ادراك غير مريح.

تناول بعد لحظات سيجاراً آخر من جيبه، واشعله بولاعته الذهبية، وأخذ ينفث دخانها في الهواء. كانت الموسيقى ما زالت في اوج صخبها مع مرور اللحظات. كان السيجار قد وصل إلى نصفه وهو يحترق عندما رفع كم سترته لينظر إلى ساعة يده، حسناً. لا يمكن ان يستمر العرض أكثر، وعندها سيرافق الأميرة ويغادر المكان.

أخذ نفساً عميقاً ومشى نحو الباب، وفتحه. نعم فالجمهور كان واقفاً، وهو يصفق استحساناً، وعارضات الأزياء يبتسمن بفخر واعتزاز لفابيانو الذي وقف بينهن على خشبة المسرح.

شق نيكولو طريقه بين الحشد الكبير من الجمهور متوجهاً إلى الأميرة. كانت عينا الأميرة تلمعان وهي تنظر إلى نيكولو عندما وصل إليها. «لقد فاتك كل شيء، يا نيكولو.» قالت له وكأنها ترمز لشيء ما. أشارت له باصبع يدها، فمال نحوها إلى أن دنت شفتاها من أذنه: «كانت الأزياء رهيبة. لا تستطيع أن تتصور ذلك على الاطلاق.»

ضحك ثم قال: «لكنني استطيع تصور ذلك، يا عزيزتي.»

قالت مؤكدة: «لا. لا تستطيع. حتى هي، بالثوب الذي ارادوها أن ترتديه كان بشعاً للغاية.»

ضحك مجدداً وهو يحاول أن يلحق بنظراته إلى الفتاة التي تشير إليها بإصبعها. قال: «من؟ من التي ارادوا منها أن ترتدي شيئاً بشعاً وغير لائق...؟»

علقت الضحكة والكلمات بين شفتيه. ها هي تقف مرة ثانية، فوق خشبة المسرح مع الأخريات، وبنفس النظرات الباردة، والجامدة فوق محياها الجميل. وقد بدلت ثوبها

الأحمر الحريري بثوب أزرق طويل مطرز عكست الأضواء عليه فأصبح بألوان تشبه قوس القزح.

أخذت عيناه تتفحصانها جيداً. فعدا عن أن ثوبها الليلي كان طويلاً محتشماً، كانت كلما تحركت تزداد دهشة نيكولو أكثر للقوام الممشوق الخالي من العيوب.

«نيكولو، نيكولو؟»

أجرض نيكولو بريقه وحول نظره عن الفتاة: «نعم، يا نونا؟»

تمسكت السيدة العجوز بذراعه لتقف على قدميها: «الذي ترتديه الآن على الأقل، أكثر جمالاً. ومع ذلك فإنه ليس هو الثوب الملائم لها، انه لا يتلاءم مع هذا الوجه الساحر. الست على حق؟»

ردّ عليها بذهول تام: «إنني واثق من انك على حق.»

«من الغرابة وجودها في هذا المكان، أليس كذلك؟»

رمق الفتاة بنظرة اخيرة قبل أن يلتفت إلى الأميرة: «أرجو المعذرة، يا نونا. لكن إلى من تشيرين؟»

قالت بنفاد صبر: «اريانا.»

حدّق نيكولو بها: «اريانا؟»

تعجبت السيدة العجوز وقالت: «لا تنظر إليّ هكذا، وكأنني اصبت فجأة بالخرف.»

«ايتها العزيزة، يا نونا. ان اريانا ليست بين الفتيات. حتى أنها ليست في ايطاليا كلها منذ فترة طويلة. وأنت تعرفين ذلك.»

عضت الأميرة شفتها: «طبعاً اعرف. لكن الذي اردت قوله ان التشابه غريب.» وأشارت نحو خشبة المسرح، حيث كان

الفصل الثاني

تراجعت كارولين إلى الوراء بسرعة بينما اسدلت الستائر المخملية الثقيلة. كانت دائماً متحمسة عندما يأتي دورها لتعتلي خشبة المسرح وتمشي فوق الممر الخشبي الضيق بين الجمهور ولكنها الليلة كانت على عكس ذلك فقد تنفست بارتياح عندما انتهى العرض.

احست بأن شيئاً ما قد حدث خطأ. ربما قد تكون تبالغ بذلك، لكنها، وللمرة الأولى منذ اشهر عديدة، احست فجأة بنعمة الجمهور، وكانها تدري بكل همسة همسها، أو بكل نظرة فضول اطلقها.

«أيتها السيدات، أيتها السيدات! يجب ألا ندع الجمهور ينتصر أكثر من ذلك.»

حولت كارولين نظرها نحو مصدر الصوت. كان فابيانو واقفاً على بعد قليل منها وكان يرفع ذراعه وكانه قائد في معركة وهو يشير إلى العارضات حتى يخلين خشبة المسرح. التقت عيناه بنظرات كارولين ثم اومأ لها برأسه باعتزاز.

«اتسمعيني، يا سينيوريتا؟ اسرعي من فضلك!» وأشار إلى قاعة الرقص.

فكرت كارولين. وكان آخر ما تتمنى أن تذهب إليه، وبالأخص الآن. فقد مضى عليها وقت طويل منذ آخر مرة واجهت فيها الجمهور...

«انتبهن، من فضلكن، أيتها السيدات. فلتحافظ كل واحدة منكن على ابتسامتها واطلالتها المحببة، وسرن بخطوات ثابتة ما بين الجمهور كي يراكن الجميع جيداً.»

«تذكرن أيضاً، الرأس عالٍ، والأمعاء دائماً مختفية في داخل الجسد، والظهر منتصب. كذلك الشعر، والوجه، كل ذلك على اتم ما في الأناقة من معنى، اتفقنا؟»

... وكان ذلك كله مربكاً للغاية. مثل أن تكون مراقبة من الجميع، وكأنما حريتها الشخصية قد فقدت. لقد حاربت ذلك الشعور الرهيب بقدر ما استطاعت إلى أن توصلت كي تقوم بشيء جديد لم تقم به قط في حياتها، واخذت تنظر إلى تلك الوجوه بتعمد، وخاصة إلى آخر الغرفة المحتشدة...

«أنتِ! سرحي شعرك، ارجوك، يا سينيوريتا. ذلك الثوب. هناك! هل نحن في جنازة أم في حفلة راقصة؟ ابتسمي.»

.... رأت رجلاً يراقبها متأملاً، كانت عيناه تركزان على محياها الجميل بإعجاب.

لم يكن هذا شيء جديد عليها. فقد كان الرجال يلاحقونها بنظراتهم منذ سنوات، منذ ان تخطت سن السادسة عشر وتحولت من فتاة ساذجة تعوزها الخبرة إلى امرأة ناضجة تفتن العقول.

كان هناك عدا نظراته الملتهبة، مزيجاً من نوع آخر لا تدريه. قد تكون نظرات غاضبة، فكرت وكانها تنبهت إلى شيء ما، غضب حاد وشديد كحد السيف، وكانه يتهمها اتهاماً مباشراً بالرغبة التي ارتسمت بكبرياء على محياه الجميل...

«طرحت عليك سؤالاً، يا سينيوريتا. وأرجو أن تمنحيني رداً عليه.»

تفاجأت كارولين. فقد كان فابيانو واقفاً امامها، وهو يحدق بها كمدرس غير راضٍ عن تلميذه. فقهقهت إحدى الفتيات مما جعل الدم يتصاعد إلى وجنتي كارولين.

قالت بارتباك: «حسناً. انني... انني...»

همست تريش لها: «احني رأسك فقط وقولي نعم.»

فعلت كارولين بالذي اوصتها به تريش. فقطب المصمم جبينه للحظة ثم منحها ابتسامة تذمر.

قال: «تماماً.» وابتعد عنها، فقفزت تريش إلى جانبها ونظرت كارولين إليها بحيرة.

همست لصديقتها: «على ماذا وافقت أنا الآن؟»

«وافقت على التحذير التقليدي الذي يلقيه علينا دائماً بأن نصفي ذهننا من كل شيء ونحفظ غيباً العدد الكامل للأثواب. اعتقد أنه يخشى من عدم تمكنه من ابتزاز كل لير ايطالي من ذلك الحشد الكبير الا اذا وجهنا له كل الاسئلة شخصياً.»

هزت كارولين رأسها موافقة. يبدو هذا جيداً وقد يكون الاستعراض في قاعة الرقص جزءاً لا يتجزأ من عملها وهي لا تريد الآن أن تثرثر بحماقة حول ما كانت ترتديه، وهو ثوب ضيق أعد بطريقة غريبة وزين بالخرز الزجاجي المروّس الذي يعطي لمعاناً متعدد الألوان ولربما بلغت تكاليف هذا الثوب اكثر مما تكسبه في سنة كاملة.

فتح باب قاعة الرقص. وتعالت منها اصوات الموسيقى والضحكات مثل هبوب الرياح الخفية.

قال فابيانو: «جاهزات.» وشعرت كارولين باقل من لحظة بانقباض هو اقرب إلى الخوف الشديد. ماذا لو كان

الرجل ما زال هناك؟ ماذا لو شعرت به يراقبها مرة أخرى؟

أبعدت عنها تلك الأفكار المرعبة. ماذا تريد بالفعل؟ فلديها مهمة وعليها أن تؤديها على احسن ما يرام، ولن تدع ايطاليا واحداً يؤثر عليها أو يوقفها عن عملها. واخذت نفساً عميقاً، ثم ابتسمت ببرودة، وتوجهت إلى داخل قاعة الرقص.

كانت الغرفة واسعة جداً. وسقفها العالي المزين بالرسوم المتنوعة يصل على سطح ارضها المرمرية تواكبها الأجيال جيلاً بعد جيل. لمحت الثريات الكريستالية والجدران المطلية بالذهب المزخرف ومغطاة بالقماش الدمشقي الأحمر الشفاف، وشبيهة جداً بالجدران التي شاهدتها في لاسكالا. هل يا ترى المهندس الذي صمم القسم الداخلي من الأوبرا هو نفسه الذي صمم سالاديل آرت؟

إنها لا تريد أن تكتشف ذلك هذه الليلة، فكرت كارولين وهي تتنهد قليلاً. إنها موجودة هنا من أجل العمل فقط، ولتتخذ مكانها بين ذلك الجمع من الناس الذين تجمعوا وقوفاً حول مائدة الطعام الشهية، كان عليها ان تبتسم تماماً مثل عارضة ازياء مصنوعة من الشمع وتتوقف عندما يطلب منها ذلك، ثم تمشي بخفة وتجيب الجواب نفسه عن كل سؤال يطرح عليها بشأن الثوب الذي ترتديه فيما لو كان قد صنع على قياسات مختلفة، والألوان منه، وعن نوعية قماشه وعن قيمته المادية بالطبع.

«آسفة، لا استطيع مساعدتك.» كررت ذلك، وكانها تنشد ترنيمة ما. «ارجو منك أن توجه أسئلتك بخصوص قياس الثوب هذا إلى السيد فابيانو.»

تستطيع ان تردد هذا باللغة الانكليزية والفرنسية،

والإيطالية والإسبانية وكذلك باللغة الالمانية، كما تستطيع تسهيل مهمتها باللغة اليابانية. ربما تكرر ذلك ايضاً حتى اثناء نومها. إنها تستطيع...

احست بيد مجهولة تمسك بذراعها. «يا له من لون رهيب.» قالت السيدة بانزعاج واضح. ومنحتها كارولين ابتسامة غير محددة. «هل متوفر منه اللون الأحمر؟»

ردت كارولين بادب: «آسفة، لا استطيع مساعدتك. ارجو أن توجهي اسئلتك حول...»

«وتلك الياقة العالية.» أشارت السيدة بإصبعها إلى صدر كارولين. «هل من الممكن أن تخفض إلى هنا؟»

«آسفة، لا استطيع مساعدتك. ارجو...»

قالت مغتاظة: «بصراحة. هؤلاء الفتيات يشبهن الببغاء الذي يردد كلاماً لا معنى له.»

«ما الذي تتوقعينه اكثر من ذلك. انهن فقط ليعرضن جمالهن، وليس ليظهرن نكائهن.»

اصطبغ خجلاً وجه كارولين وهي تتحرك بعيداً عنهن. وفكرت بأن لا تقوم بهذا العمل مرة أخرى، ولتذهب الوكالة إلى الجحيم! إنها تقدر أن تدير الرؤوس على الأقل فوق خشبة المسرح عندما تقوم بعرضها، اما هنا وهي تتجول بين هذا الحشد، يعاملها الناس وكانها...

«مرحباً، يا عزيزتي. كيف حالك هذه الليلة؟»

حجب رجل طريقها، وفهمت من أنه بريطاني من لهجته الرفيعة المستوى التي تشدق بها. ابتسمت له كارولين بادب: «على خير ما يرام. شكراً لك. إنني أرتدي ثوباً مقاسه اثنان وثمانون. ان كان لديك اسئلة...»

«حسناً، نعم. لدي بعض الاسئلة.» وابتسم ابتسامة عريضة حتى ظهرت اسنانه الصفراء الكبيرة.

احاط به رجلان آخران، يبتسمان نفس الابتسامة الغبية. سأل أحدهما: «ما اسمك، أيتها الحبيبة؟»

قالت كارولين برحابة صدر: «آسفة لكنني...»

«لا داعي لذلك، يا عزيزتي، كل الذي نريده هو أن نعرف اسمك فقط تستطيعين الافصاح عنه بالتأكيد.»

قالت بعذوبة: «استطيع فعلاً. والآن، اعذراني...»

ضحك الرجلان وهي تبتعد عنهما وكانها تقوم بمناورة عسكرية، وراسمة على محياها ابتسامة ثابتة لا معنى لها. ورأت بعضاً من زميلاتها في العمل يقفن قرب مائدة الطعام، يضحكن وهن يجلسن مع الرجال. كما أن فابيانو لا يمانع ابداً في أن يختلط الفتيات مع الضيوف.

كانت الأوامر واضحة ومبسطة عندما اعطيت. ربما كان الأمر سهلاً، لكنه مضى عليها وقتاً طويلاً لتدرك ذلك، فكرت كارولين بحرارة شديدة.

«حفلة أنس لتصريف مبيعاتنا.» كان يقول رئيس مجلس ادارة الأزياء العالمية في كل فرصة مناسبة.

لكن كارولين لم توافق على هذا العمل حتى تكون مجرد بائعة، كما أنها لم تؤخرها هذه الوظيفة من الاختلاط بالجميع على هذا النحو. إنها...

امتدت ذراع رجل وطوقت رسغها. قال الرجل بمرح بلكنته الأميركية: «ها نحن الآن! انك العارضة الأكثر إثارة بين كل العارضات. تعالي، يا عزيزتي، ودعيني انظر إليكِ عن قرب.»

تصلبت ابتسامة كارولين على وجهها. فالرجل الذي

يمسك بها كان قصير القامة ممتلىء الجسم. وتمايل قليلا وهو ينفخ في وجهها رائحة كريهة فاحت من فمه.

وتابع يقول: «حتماً، إنه شيء مميز، أليس كذلك؟ دعيني القي نظرة على تلك الخيوط.» كانت نظراته عليها هي وليس على ما كانت ترتديه.

قالت كارولين وهي تتمسك بطول الأناة: «قياس هذا الثوب اثنان وثمانون. أرجو أن توجه اسئلتك إلى...»

قال ضاحكاً: «إنكِ اميركية، ألست كذلك؟ كان عليّ معرفة ذلك، يا عزيزتي. تتحرك فقط بهذه الطريقة الأميركية الفريدة بجمال ساقيها الطويلتين ومثلك تماماً. يا لجمال شعرك الأشقر، وعيناك الزرقاوتان الواسعتان من أين حصلت على هاتين العينين اللتين تلائمان تماماً الخرزات اللامعة في ثوبك يا حبيبة؟»

ابتسم واخذ يمرر إصبع يده بانعطاف حول جسدها وفي كل الاتجاهات. اجفلت وحاولت الافلات منه، لكنه كان اسرع منها فأحاطها بذراعيه.

«لا داعي لذلك، يا عزيزتي، ابقي جامدة. والا، كيف يمكنني أن احكم على الذي اود شراؤه؟»

احست بالدماء تجري سريعة في عروقها، ولكنها تمالكت نفسها كي لا يبدر منها ردة فعل اخرى.

«هذا امر سهل للغاية. ما عليك سوى أن تسأل فابيانو عن هذا الثوب ورقم المقاس الذي ذكرته لك. وحتماً سوف يعطيك كل التفاصيل بشأنه.»

«لا، لا كل التفاصيل، يا عزيزة. مثلاً، اراهن أنه لا يستطيع أن يقول لي أين تودين تناول العشاء معي.»

«شكراً لك، فأنا لست جائعة.»

«بعض المشروبات، ربما. اراهن أن العمل كعارضة أزياء يجفف الحلق.»

«شكراً لك، لكنني لا اشعر بالعطش، ايضاً.»

بقي على ابتسامته، لكن كارولين لمحت غموضاً مفاجئاً في عينيه الذابلتين. «والآن يا عزيزتي، ألا تريدين أن تعاملي أدي بلطف أكثر. لا اظن بانك تدركين من اكون.»

فكرت بانزعاج، انك لست اكثر من حيوان بغيض، لكنها تعرف جيداً كيف تتصرف مع اشخاص امثاله. فهي لم تبتعد، وهذا ما يجعلهم اكثر حماساً لملاحقتها. ولكن، وبالمقابل انها تنظر تماماً في عيونهم وكأنها تقول لهم عن عدم رغبتها الأكيدة في الانزلاق معهم في الوحول القذرة.

قالت بهدوء: «إنك على حق. فأنا لا اعرف من تكون. واكثر من ذلك، فأنا لا اهتم مطلقاً.»

خفت ابتسامته قليلاً ليقول بغرور: «إنني الشاري يا عزيزتي، واحمل دفتر شيكات يفيض بثقله في المصارف. واستطيع أن اوقع لفابيانو على مبلغ كبير، ان اعجبتني نوعية البضاعة.»

«قل كلامك هذا لفابيانو، وليس لي. انني اعرض الثوب فقط، وهو يبيعه.»

ابتسم الرجل ابتسامة بشعة: «ماذا هناك يا حبيبة؟ الأنني في غاية اللطف معك؟ إنني في مركز يخولك التقدم كثيراً في مهنتك ان...»

«ربما أنا التي في غاية اللطف معك. الثوب هو فقط للبيع.»

www.elromancia.com

نظر الرجل القصير شذراً إليها، وكان في عينيه مكراً وخداعاً: «توقفي عند حدك يا عزيزة. فلا اظن بانك تقبلين أن يكتشف فابيانو أن إحدى فتياته قد فوتت عليه مبلغاً كبيراً من المال.»

احست كارولين بوخز طفيف في راحة يدها. فصفعة قوية على وجهه الذي يسيل عرقاً هي ما يستحقه ذلك الرجل المتكور السمين. إنها اطول قامة منه مع ذلك كان يزن اكثر بكثير منها، إنه باختصار كرة متراصة من اللحم والشحم.

كانت آخر ما تود القيام به هو أن تثور غضباً منه امام العيان. لأنه كان مقرفاً ومذلاً امام ذلك الحشد الغفير. قالت له وهي تتمالك اعصابها: «اسمع. إن تركتني ارحل بسلام، سوف انسى ما حدث من الأمر كله.»

«تنسين؟» جاء صوته أعلى بقليل من قبل فنظرت كارولين بحذر حولها. ورأت شخصين ينظران إلى ناحيتهما، وكانهما يتوقعان شيئاً ما من جراء ذلك. قال منفعلاً: «فلتذهبي إلى الجحيم يا عزيزة. أنا الذي عليه أن ينسى. أنا الذي تعرض للإهانة كل الوقت، والذي...»

«هل من مشكلة هنا؟»

جاء صوت عميق، بارد وحاد، يدل عن لكنة ايطالي. عرفت كارولين حالاً صاحب الصوت، مع أنها لم تسمعه من قبل.

دارت وهي ترتعش في داخلها وكانها تتوقع شيئاً ما، ونظرت في عيني الرجل الذي طال تحديقه بها خلال عرض الأزياء.

كان طويل القامة، وقريباً من طولها مع انتعال كعبها

العالي. ويرتدي سترة انيقة سوداء، لكنها لم تخف منكبيه العريضين من تحت ثيابه الأنيقة. كان شعره اشعث وداكن اللون، وبشرته ملوّحة من اشعة الشمس. وكانت تقاطيع وجهه تنم عن الاصالة الرومانية في رجولته: أنف ارستقراطي مستقيم، فوق ثغر جميل، وذقن عريض.

كانت عيناه هي التي تفرض نفسها بنفسها. إنهما زرقاوتان بعمق الياقوت الأزرق، تحيط بهما اهداب داكنة كثيفة. عندما كانت كارولين تقوم بعرضها، احست ببريقهما الملتهب. ولكن الأميركي الذي يقف إلى جانبها هو الذي يشعر الآن بهذا اللهيب، فكرت وهي ترتعد خوفاً منه ومن وقفته على مقربة منها بنظراته الباردة المستهزئة.

قال وهو ينجدها بلطف بالغ: «ربما لم تفهم ما اردت قوله، يا سينيور، هل هناك أية امور مستعصية بينكما؟»

قال الرجل الأميركي بصوت قريب من العذوبة: «لا، لا شيء مما تتحدث عنه كنت اتحدث والسيدة بخصوص المكان المناسب لتناول العشاء لا أكثر.» ثم نظر إلى كارولين وهو يبتسم لها. «أليس كذلك يا عزيزتي؟»

نظر بعينيه الزرقاوتين نحوها وكانهما تسالانها عن صحة كلامه: «هل ما يقوله صحيحاً، يا سينيوريتا؟»

نظرت كارولين إليه وشعرت فجاة من أنه يشبه الاسطورة الخرافية، والتي تحكي بأن المسافر كان حائراً امام بابين وأي منهما يفتح، وهو مدرك تماماً أن وراء احدهما يقع خلاصه ونجاته بينما الآخر يربض وراءه نمر مفترس.

عاد ونادى عليها الرجل: «سينيوريتا؟ إن كنت فعلاً

تنوين أن تمضي السهرة مع هذا الرجل، ما عليك سوى أن تشيري بذلك.»

«سبق وقلت لك يا صديقي، إنها تريد ذلك فعلاً.» واصبح الرجل الأميركي مملاً للغاية الآن، ويده تزحف فوق ذراع كارولين. فما كان منها الا ان سحبت نفسها منه لتلتفت إلى الرجل الذي جاء لمساعدتها.

قالت بسرعة: «لا. لا رغبة لي في تناول العشاء مع هذا الشخص.» قال الأميركي بتحدٍ: «ستفعلين إن أردت الحفاظ على وظيفتك. كلنا نعلم جيداً كيف تدور عجلة عملك و...»

«نعم، نعلم جيداً.» وعادت عينا الإيطالي تركزان على وجه كارولين، وفي لحظة رأت فيهما شيئاً مميتاً ابعد من ازدراء، وعادت تفكر مجدداً ما الذي كان يوجد وراء أحد البابين غير ذاك النمر المفترس. «لكن السيدة سبق ووعدتني بشرف رفقتها لي هذه الليلة. أليس كذلك، يا سينيوريتا؟»

فغرت فاها بدهشة. «أنا... أنا...»

«لا داعي للخجل، يا سينيوريتا. فالعمل هو العمل، لا زيادة ولا نقصان في ذلك على أية حال. يفهم بالتأكيد - هذا الرجل المؤدب - بأن هذا التعهد المسبق سيأخذ مجراه الطبيعي رغم حاجاته لهذه الليلة.»

توردت وجنتا كارولين. لقد جاء ممتطياً فرساً أبيض مثل الفرسان في العصور السالفة لكنه الآن بدأ يهينها. على أية حال، في استطاعته سحب إهاناته وعروضه وكذلك مساعدته...

«كارولين.» دارت حول نفسها. إنه ارتورو سيلفيو، رئيس وكالة ميلانو لعرض الأزياء، وكان يمشي مسرعاً نحوها. والإبتسامة تعلو وجهه: «ارى أنك جلبت انتباه اثنين من اهم ضيوفنا في هذه الليلة. فهذا السيد جفرسون. كيف تجري امور مخازنك في تكساس؟ وهذا الأمير ساباتيني. وجودك هنا هذه الليلة لشرف كبير لنا، يا سيدي. هل الأميرة برفقتك؟»

ابتسم الأمير ابتسامة هادئة: «فما الذي يدعوني إلى المجيء إذاً؟»

لم تغب ابتسامة سيلفيو حين تابع: «طبعاً. وأرى أنك التقيت بواحدة من احب الفتيات على قوبنا. عزيزتي كارولين...»

«عارضة أزياء.» تكلمت كارولين من دون ان تفكر بمعنى قولها. والتفت الرجال الثلاثة نحوها. فتحولت عيناها إلى نيكولو ساباتيني وللحظة وجيزة، رأت شيئاً في عينيه ابعد من أن تكون نظرة تعالٍ لمعت في اعماق زرقتهما. إنها نظرة لاهية. نعم، فكرت بعصبية، إنها فعلاً نظرة لاهية! ورفعت رأسها بتحدٍ قائلة: «افضل أن ينسب إلي بعارضة أزياء، يا سينيور.»

قال رئيس الوكالة: «كم هذا مبهج يا كارولين. انك تتمتعين بسحر، وجمال... وبروح مرحة، كذلك.»

«الذي ينبغي عليك فعله هو أن تلقن اولئك الفتيات ادآب واصول التصرف أكثر من أي شيء آخر.» تكلم الأميركي وهو يقاطع كلام رئيس الوكالة.

كانت علامات اللهو واضحة هذه المرة في عيني الأمير.

قال بارتياح ظاهر: «إنها نصيحة ممتازة. خصوصاً عندما تظهر من نموذج كهذا حسن اللياقة والتصرف.»

«اسمع، أيها الأمير...»

«سمو الأمير، من فضلك...»

رفع ساباتيني رأسه: «إنني متأكد أيها السيدان أنه بامكانكما أن تجدان المتعة في مكان آخر. اما بالنسبة للسيدة، فقد سبق واوضحت ما تريده. وهي وأنا كنا على وشك أن نشرب شيئاً ما معاً.» قال هذا ووجه نظره إلى كارولين وهو يبتسم ابتسامة ناعمة ذات مغزى: «أليس هذا صحيحاً، يا سينيوريتا؟»

لا، فكرت كارولين، هذا ليس صحيحاً بالطبع. لِمَ عليها أن تنطلق مع هذا الرجل؟ فالاهانات التي وجهها إليها لا تقل سوءاً عن اهانات ذلك الأميركي، كان ينبغي عليهما أن يكونا اكثر لياقة وتهذيباً.

«سينيوريتا؟» مدّ ساباتيني ذراعه لها. «ألا تريدين بعضاً من الشراب؟» ولم تتوانَ ابتسامته المهذبة أن تقلص من حجم الإنذار الذي ظهر في عينيه، تعالي معي، هذا ما قاله، أو عليك أن تتحملي عواقب الأمور التي حتما لا ترغبينها.

وارتجفت لمجرد الفكرة من عواقب الأمور ونتائجها السلبية عليها. وهي لا ترغب ابداً في أن تساق للسيد جفرسون ولا حتى سيلفيو السخيف. أما بالنسبة إلى الأمير ساباتيني، فنواياه لم تكن مشرفة. ليست كما تخيل لها عندما كان ينظر إليها، كان فيها تعقيداً اكثر مما تتصوره. الرجال، وخاصة هؤلاء الذين يتمتعون بالسلطة والمال،

غالباً ما كانوا يرون في المرأة الخير أو الشر. وما من فكرة عن الكيفية التي يصنّف فيها الرجل الإيطالي صاحب الدم الأزرق، المرأة الأميركية الرشيقة القوام وصاحبة الشعر الأشقر الذهبي التي تعمل بعيداً عن ديارها والحماية التي توفرها لها عائلتها.

لكن هل هذا على شيء من الأهمية؟ الذي يلعب هذه اللعبة هو واحد من هؤلاء الأرستقراطيين الذين لا يقيمون وزناً لشيء بينما تكون زوجته في نفس الغرفة. ولا بد ان ساباتيني يهيىء الأمور لوقت آخر. والواضح، أنه رأى تصرفاً غير مقبول من الأميركي وممانعة من كارولين، فقرر أن يلعب لعبته القذرة عندما ظهر فجأة ليقدم لها يد المساعدة.

«كارولين.» ناداها سيلفيو وهو يرسم ابتسامة فوق شفتيه. «ان سعادة الأمير في انتظارك يا عزيزتي.»

رفعت كارولين رأسها بانفة، ورسمت ابتسامة مشعة كتلك التي كانت ترسمها فوق خشبة المسرح، ووافقت على اليد الممتدة من الأمير. قالت بأدب: «شكراً لسعادتك. وكما ارى أن فكرة تناول شراب ما معاً لا باس بها.»

ابتسم ابتسامة باردة، ثم احنى رأسه بأدب للسيدين الآخرين، ثم انسحب عنهما وتوجه مع كارولين إلى قاعة الرقص. كان الناس ينظرون إليهما وهما يمران بقربهم، فذلك المشهد الكريه لم يغب عن أحدٍ منهم. وتعالت ضحكة إحدى النساء فتوردت كارولين واسرعت في مشيتها، لكن الرجل الذي كان معها لم يجاريها بذلك.

قال مبتسماً: «على مهلك. فلسنا بحاجة لهذه العجلة.»

«ألا ترى أن الجميع قد حولوا انظارهم إلينا.»

قال بصوت جاف: «بالفعل. وماذا كنت تتوقعين منهم غير ذلك، فقد شاهدوا عرضاً جيداً كالذي قدمته على خشبة المسرح.»

رمقته بنظرة غاضبة كانت كافية لترى سحنة وجهه وقد تبدلت.

قالت بحدة ظاهرة: «كان عليك أن تبقى بعيداً وان لا تتدخل. إن لم تكن راغباً من الأساس في ان تكون جزءاً من ذلك العرض.»

«ربما أنك على حق. لكن فات الأوان الآن لنندم، لذا دعينا نتمتع بوقتنا.»

«ألا تزعجك نظرات الناس المتوجهة إلينا؟»

ضحك بغرور: «وهل يبدو عليّ أنني اكترث بهذه الأمور؟»

عادت تنظر كارولين في وجهه. لا، واللعنة عليه، إنه لا يكترث ابداً. فقد بدا غير مبالٍ وهمه الوحيد هو أن يصل إلى حيث تقدم المشروبات: «على فكرة، ان نظراتهم تتجه إليك، يا سينيوريتا. لكن، هذا ما تتوقعينه منهم، أليس كذلك؟»

تورد خداها خجلاً: «قد تكون محقاً فيما تقول، هذا ان كان قصدك بأنهم ينظرون إليّ من أجل الثوب الذي ارتديه.»

قال وهو يلوي فمه بفتور: «نعم، الثوب. كذلك ينظرون إلى قوامك الممشوق الذي يختفي تحت ثوبك هذا.»

وصلا إلى المكان المخصص للمشروبات. فسحبت كارولين يدها بحذر من ذراعه ثم نظرت إليه: «شكراً لمساعدتك، أيها الأمير. لكن...»

«إنها ليست الطريقة المثالية في التوجه إليّ. يمكنك أن تتوجهي إليّ «بسعادتك» أو «بمعاليك» الاختيار الذي ترغبينه، يا كارولين.»

يا له من متعجرف ماكر! ربما يتوقع منها أن تنحني له احتراماً. فانتصبت كارولين في وقفتها بتعالٍ وكبرياء.

قالت ببرودة أكثر من ذي قبل: «كذلك أنا، يتوجه إليّ ايضاً بالآنسة بيشوب.»

انحنى لها احتراماً: «طبعاً. اعذريني إن كنت قابلتك بهذا الأسلوب غير الرسمي، أيتها الآنسة بيشوب.»

امعنت كارولين النظر في وجهه. كانت ابتسامته هذه المرة صادقة وغير مزيفة. وتدفق الغضب الشديد إلى صدرها. كيف لا يتقدم منها بأسلوب رسمي؟ لا بد انه يسخر منها، هذا اللعين!

كان يكفي لتدبر الأمر ابتسامة صغيرة منها.

«هذا جيد وعلى اتم ما يرام، يا معاليك. يبدو أن كلانا اخطأ بحكمه على الآخر في هذه الليلة. والآن، ارجو أن تعذرني...»

امسك برسغها بينما كانت تحاول أن تبتعد عنه. «ليس بهذه السرعة، ايتها الآنسة بيشوب.»

نظرت كارولين إليه بانزعاج: «دعني اذهب، من فضلك.»

«إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟»

«هذا ليس من اختصاصي... اوه!» صرخت ودارت كي تواجهه تماماً، وكانت عيناها تومضان بغضب عنيف: «انك تؤلمني!»

اقترب منها كي تتمكن من ان تتنشق عطره الغالي الثمن، وهي تلاحظ عضلات فكه تشتد وترتخي.

«لم انته منك بعد، يا آنسة بيشوب.»

«اسمع، إن كنت تظن...»

دخل عليهما رجل وهو يحمل كأسين من الشراب على صينية ومرّ بجانبهما، فرمقه ساباتيني ثم تحول إلى كارولين، وكانت يده ما زالت تقبض على رسغها بشدة. قال لها بعزم: «لنناقش هذا الأمر في هذا المكان.»

«لن نناقشه ولا في أي مكان، أيها السيد. إن كنت تعتقد أنك ستكافا من أجل...»

«تملكين ذاكرة ضعيفة.» وما زالت اصابع يده كالفولاذ تحيط برسغها النحيل وعاد لينتقل من مكانه مرة أخرى. وما كان لكارولين خيار آخر سوى أن تقفز لاحقة به وهي إلى جانبه نحو الباب المقوّس. «نسيت كيف تتوجيهن إلي...»

قالت بعنف: «لم انسَ شيئاً. لا يعتقد الأميركي بهذه التفاهات.»

«انك تدينين لي. لا تعتقدين حتماً بأنني قمت بتلك المجازفة الغبية من أجل كلمة شكر سريعة ومصافحتك باليد، أليس كذلك؟»

«لا بد أنك تمزح.» دفع بها خارج الباب المقوّس، ثم إلى بهو صغير حيث كانت النار تتوهج من مدخنة قديمة، ثم دار ليقف امامها، وكانت عيناه تومضان بالغضب مثل سماء الخريف المكثفة بالغيوم.

«هل يبدو عليّ بأنني امزح، يا آنسة بيشوب؟»

حاولت كارولين التملص من قبضة يده. وقالت بازدراء: «إنك تضيع وقتك، يا معالي الأمير. إن كنت تعتقد بأن الذي حدث هناك يمنحك شيئاً تطلبه مني...»

«كنت تفضلين أن اتركك مع وداعة ذلك المعجب الأميركي؟»

قالت باقتناع أكثر مما تظن: «كنت سأتدبر أمري.»

ابتسم بعدم رضا: «نعم. إنني متأكد من ذلك. وفي كل الأحوال، إن تمضية ساعة من الوقت مع ذاك الرجل قد تجازفين فيها بمهنتك، أليس كذلك.»

لم تكن على ادراك تام بالذي تفعله، كل الذي شعرت به أنها رفعت يدها فجأة، ولكنه كان اسرع منها فقد امتدت يده بسرعة البرق ليمسك بيدها في المسافة التي تفصلهما.

قالت بتذمر شديد، وكان صدرها يعلو ويهبط من شدة انفعالها: «اللعنة عليك. انك... إنك تافه. إنك...»

«يجب أن تتعلمي كيف تنشبين مخالبك، أيتها الهرة. وإن لم تتمكني من ذلك فعليك عندها أن تدفعي ثمن نتائج ما قد يحدث.»

غضبت، وقابلت نظراته الغاضبة بتحدٍ كبير: «حقاً؟ وما الذي قد تقوم به إن لم افعل ذلك؟ تعذبني؟ ترميني في زنزانة في قصر كاستيلو سفورزيسكو؟ ربما غاب عن بالك بأننا لسنا في العصور الوسطى فانت لا تستطيع...»

«لا، لا استطيع.» وافلتت يدها من قبضته ودفعتها إلى وراء ظهرها. هذه الحركة المفاجئة جعلتها تتقدم خطوة واحدة منه. واصبحا على مقربة من بعضهما. فتفحصت عيناه وجهها وابتسم ليقول: «لكن، هناك مفاهيم اخرى ولها تأثيرها البالغ في أن تنكر المرأة من هو السيد.»

احمرت عيناه، تماماً مثلما شاهدته لأول مرة من على

خشبة المسرح. ثم تحرك قليلاً ليلامس جسده الرياضي جسدها. شعرت بحرارة تسري في عروقها. احست بصلابة عضلاته المختفية تحت سترته الأنيقة، وتحول الجو بينهما بصورة مفاجئة إلى رقة ولطف متناهيين، وكأن الغضب الذي اشتعل بينهما قد تبدل إلى شيء اولي واساسي...

التقت عيونهما، وخفق قلب كارولين بشدة. كان على وشك أن يقبلها، كان سيميل بها فوق ذراعه ويقبلها، وكانت ستغمض عينيها، وتستسلم له.

«نيكولو، هل احضرتها لأجلي! آه، كم هي رائعة الجمال. لا بد انني قد غفوت لبرهة. لكن، هذا ما يتوقع من سيدة عجوز مثلي، أليس كذلك؟»

تقلصت نظرات نيكولو ساباتيني. ونظر إلى كارولين كرجل استيقظ لتوه من نوم عميق، لكنه رسم التعابير الجدية فوق محياه. واخذ نفساً عميقاً، واسقط يدها. وكان قلب كارولين ينبض بغضب وبارباك، معاً.

كانت السيدة تتحرك محاولة النهوض ببطء بواسطة عصاها الخشبية عن الكرسي العالي الذي حجبها عن الجميع. كانت قصيرة القامة، ضئيلة الجسم، وشعرها أبيض يميل إلى الفضي صفف بعيداً عن وجهها وكانت تعقد عقدة جميلة حول عنقها. وبشرتها جميلة وشفافة كالورق الرقيق نتيجة عوامل سنواتها الطويلة. لكن ابتسامتها كانت مشرقة وعيناها تشعان بالسعادة.

قالت: «نيكولو. اعتقد أنه من المفروض أن تقدمنا لبعضنا البعض.»

لاحظت كارولين تغيراً كبيراً على وجه الأمير. وسارعت

دقات قلبها، وهو ينظر إليها نظرة عادية خالية من العواطف، ثم حملت نوعاً من الاحتقار. وبينما كان ينظر إلى السيدة العجوز، بدت ملامحه ناعمة، ولطيفة.

قال مبتسماً لها: «نونا. لم اقصد أن اسبب لك إزعاجاً ما هل كنت مستغرقة في النوم؟»

«كنت ارتاح فقط، يا نيكولو. لم اتمتع بوقتي منذ فترة طويلة.»

ومنح كارولين ابتسامة باردة، وكأن ما صرّحت به السيدة العجوز هو خطأ ناتج عنها بطريقة ما: «نعم. هذا صحيح، يا نونا.»

ابتسمت السيدة لكارولين. قالت بلطف: «لا تبالي بالذي يقوله حفيدي، يا عزيزتي. فغضبه ناتج عن عدم قيامي بوعدي له في العودة باكراً إلى المنزل. لكن كيف يمكن ذلك، وقبل أن ألتقي بكِ أولاً؟»

حاولت كارولين أن ترد الإبتسامة بمثلها: «آسفة، اخشى من أنني لا...»

«نيكولو؟ اين حسن لياقتك؟ هيا عرفنا ببعض.»

«ارجو المعذرة، يا نونا.» ومنح كارولين نظرة سريعة غير مرضية: «إنها كارولين بيشوب، هل في استطاعتي تقديم جدتي، الأميرة آنا ساباتيني؟ ولها الشرف الكبير بالتعرف عليك. يا سينيوريتا، رغم جهودي المتلاحقة في اقناعها عكس ذلك طوال الوقت.»

ضحكت الأميرة عالياً: «هذا صحيح جداً، يا آنسة بيشوب. فقد دفعته إلى قاعة الرقص، مع تعليمات شديدة بألا يعود من دونك.»

حولت كارولين نظرها نحو نيكولو ساباتيني. اذاً، لقد كانت مخطئة في حقه. لم يكن عازماً على رد دينه منها لأنه يريد اغوائها. كانت نواياه شريفة، حتى لو كان في تصرفه شيئاً يرمي إليه.

أنبها ضميرها وتورد خداها بلون زهري من الخجل. لكنها ما زلت تمقته. لأنه كان متغطرساً جداً، فخوراً جداً بالذي هو عليه، ومستعداً جداً ليطلق الحكم عليها، لكن...

«تعالي، يا آنسة بيشوب.» ابتسمت الأميرة ساباتيني وهي تشير إلى الكرسي إلى جانبها. «اجلسي معي على هذا الكرسي، ودعينا نثرثر لبعض الوقت. لقد امضيت وقتاً طويلاً في شبابي في الولايات المتحدة. وتنقلت ما بين نيويورك وواشنطن. وفلوريدا...»

تلاشى صوت السيدة العجوز فجأة. كانت كارولين مترددة، لكنها خطت خطوة نحو المدفئة، لكن نيكولو ساباتيني تقدم نحوها.

قال بلطف: «سوف تتكلم إلى الأبد، ولكثر مما يسمح لها. ارجو أن لا تسمحي لها بذلك.»

«لا. بالطبع لا. لكنني لا افهم لماذا...»

«يا له من وجه معبر تحملينه، يا سينيوريتا. إنك لا تفهمين بالطبع. وربما يزعجك أن تدركي بأنني لم اركض وراءك للأسباب التي اعتقدتها، أليس كذلك؟»

تورد خدا كارولين بعمق كبير. «يا صاحب السعادة...»

«آسف لأنني خيبت امالك. قد تكون فرصة نادرة أن تحصل عندما تلتقين برجل لا يرغب بكِ.»

أحست بوخز في وجهها وكان احداً قد صفعها، لكن عينيها حملتا نوعاً من التحدي والدفاع عن النفس.

«لكنها ليست فرصة نادرة كما تريدها أنت عندما تلتقي امرأة ترغب بك فعلاً.»

«ايتها اللعينة!» صرخ وامسك كتفيها بقوة، وفي هذه اللحظة بالذات، نادت جدته باسمه.

«نيكولو؟ اما زلت هنا؟ كن فتى مهذباً واحضر لنا شيئاً نشربه، ايمكنك ذلك؟» استرقت السيدة العجوز النظر ثم ابتسمت. اخذت كارولين نفساً عميقاً. فالذي تريده فعلاً هو أن تصفع وجه نيكولو ساباتيني، وان تترك سالاديل آرت وان لا تنظر إلى الخلف ابداً.

لكن مسؤولية الأميرة ساباتيني لم تكن محصورة بغرور حفيدها بل بالاحسان الخيري في هذه الليلة. وكانت سيدة عجوز تريد أن تمضي بعض الوقت بالعودة إلى الماضي وإلى حنين الذكريات الماضية التي قضتها خلال زيارتها للولايات المتحدة.

نظرت كارولين إليه نظرة أخيرة قبل أن تتحول عنه: «يبدو أن بعض العصير لا بأس به.» قالت ذلك وهي تشق طريقها إلى جانب الأميرة.

الفصل الثالث

تثائبت تريش وهي تخطو خطوات ثقيلة نحو المطبخ في صباح اليوم التالي. وتوجهت إلى الرف وأخذت عنه ابريق القهوة.

«يا سلام.» قالتها، وهي مبتهجة بأشعة الشمس الساطعة التي أرسلت خيوطها الذهبية إلى داخل الغرفة.

نظرت كارولين اليها، وكانت جالسة إلى الطاولة تحاول قراءة العناوين الرئيسية على الأقل في الصحيفة الإيطالية أوزرفاتور ميلانو.

«صباح خير مشرق لك أيضاً.»

تغيرت ملامح تريش وهي تسكب لنفسها فنجاناً من القهوة وقالت متنمرة: «لا أشرق وأبهج من صباح جيد.» وهي تطيل النظر إلى البخار المتصاعد من فنجان القهوة الساخن. ورشفت منه عدة مرات قبل أن ترفع رأسها نهائياً: «ليس قبل أن أتناول عدة رشفات من القهوة، يجب ان تفهمي ذلك أخيراً.»

ابتسمت كارولين ابتسامة واسعة: «لا عليك افهم ذلك، ولكن هذا لا يمنعني من أن أتامل دخولك يوماً إلى المطبخ بنشاط ملحوظ والابتسامة تعلو وجهك...»

أجابتها تريش: «أغنية جميلة اسمعها تفرح قلبي. الا اذا كنت تؤمنين بالعجائب، لكنني لن أؤمن بها.» وعادت ترشف قهوتها مرة أخرى، ثم وضعت فنجان القهوة جانباً واسندت رأسها بين يديها. وقالت: «حسناً؟»

أبعدت كارولين نظرها عن الصحيفة: «حسناً، ماذا؟»

«ماذا تقصدين، الم تفهمي؟ انك تعلمين ما ارمي اليه بسؤالي. أعني ما الذي يحدث؟»

تفرست كارولين بوجه صديقتها ورأت السؤال يطل من عينيها. وتدفق الدم الحار إلى وجنتيها ثم نهضت واتجهت نحو المنضدة.

قالت كارولين وكانها تتعمد أن تسيء فهمها للسؤال: «لا شيء أكثر من العادة لم تظهر سوزي وجيليا بعد.»

وتجهم وجه تريش: «ما زالت الساعة الثامنة صباحاً. لا بد انهما ما زالتا تحتفلان. كنت اعني ماذا حدث معك؟»

«معي؟» ترددت كارولين قليلاً. «حسناً، لا مشاريع لدي حتى بعد ظهر هذا اليوم، لذا فكرت ان أحاول رؤية سينيور سيلفيو وارى ان كان في استطاعتي ان انتزع مالي من جيب سروال الدبق.» وملأت لنفسها فنجاناً من القهوة. «لا أدري بصدق كيف يتهربون من ذلك، واعلم انه من غير المستحب ان ياخذوا عمولة كبيرة على بضائعهم، ولكن لا أرى مبرراً لأن يتحاشوا دفع ما طاب لهم من...»

«انني لم أقصد ذلك، أنت تعلمين جيداً ما الذي اقصده.»

التفتت كارولين اليها ببطء. «اخشى من أنني لم أفهم...»

«كفي عن ذلك، وتذكري مع من تتكلمين، لقد كنت في تلك الحفلة الليلة الماضية، مثلك تماماً.»

«إذاً؟»

قالت تريش بنفاد صبر: «لقد غادرنا سالادين آرت معاً، وأكلنا المثلجات وكسبنا مئات الحراريات من جراء ذلك، وعدنا سوياً إلى البيت، وأزلنا المساحيق عن وجهنا

وتمددنا في فراشنا من شدة التعب والإرهاق ـ وطوال ذلك الوقت، لم تتفوهي بكلمة تستحق السمع.»

قطبت كارولين حاجبيها: «ماذا يعني هذا؟»

«تعلمين جيداً ما يعني هذا. شاهد الجميع ذلك الأمير البهي الطلعة يغادر بك...»

«آه، ماذا تقولين!»

«حسناً، انه قام بذلك! فقد خلصك من ذاك الرجل القصير والفظ، بأن غادر بك إلى تلك الغرفة الخلفية...»

«لم تكن سوى بهواً.»

«وأقفل الباب ورائه. و...»

«لم يكن للبهو باباً! اللعنة، يا تريش...»

«لم تخرجي من تلك الغرفة الا بعد مضي ساعة من الزمن وعندما خرجت، لم تتفوهي بكلمة واحدة عمّ جرى هناك لاي كان!»

رفعت كارولين حاجبيها متعجبة وقالت باستياء: «لم يسألني أحد.»

«حسناً، انني أسألك الآن. يمكنك أن تقولي لي. فانا لن أبوح بكلمة واحدة.»

قالت بعد لحظة: «حسناً، لقد ثرثرت قليلاً مع جدة الأمير.»

حدقت بها الفتاة الأخرى وكانها لا تصدق: «فعلت ماذا ومع من؟»

ابتسمت كارولين ورشفت من قهوتها: «لقد التقيت جدته، الاميرة ساباتيني. وتكلمنا لبعض الوقت.»

«هل أنت جادة في كلامك؟»

«بالتأكيد. أتريدين مزيداً من القهوة؟»

«بماذا تحدثتما؟» وكانت تعابير وجهها ممزوجة بالذهول والشك في آن واحد.

«بكل شيء. عن الولايات المتحدة، وعن كل ما استطعت رؤيته في ايطاليا لغاية الآن... اظن انني نكرتها بأحد الأشخاص، بالفعل. فكانت تكرر القول انني أشبه ادريانا كثيراً. أو اريانا، لا أنكر.» وهزت كارولين كتفيها غير مبالية. «مهما يكن. لقد كانت الليلة وفي جميع الأحوال سارة... وغير مؤذية. وإن صح التعبير كانت ليلة مسلية جداً.»

رددت الفتاة الأخرى: «مسلية.»

«نعم. لأنها نكرتني نوعاً ما بجدتي التي تسكن في فرمونت. كان الحديث معها ممتعاً. صدقيني، إنها فعلاً سيدة خفيفة الظل.»

استوت تريش في مقعدها ثم ابتسمت. «حسناً، انها الطريقة الناجحة للفوز بقلب الرجل. فقد تظهر بعض الفتيات مهارتهن بفن الطبخ، وتظهر له زميلتي بأنها قادرة على أن تصادق جدته! خطوة بارعة، لطفلة. وهل نجح هذا الأسلوب.»

قطبت كارولين وقالت: «ماذا تقصدين بقولك هذا؟ لقد قلت لك، لا علاقة لنيكولو ساباتيني بالأمر. عندما قدمني للأميرة، لم يتفوه بكلمة واحدة. اما بخصوص استمالة قلبه، فقد يعوزني شيء كأداة لتكسير الثلج.»

قهقهت زميلتها ضاحكة: «هذا يدل على أن الرجل افتتن بك.»

«إنه تصريح لا يطابق الفكرة تماماً.»

«لقد كان شديد الإهتمام بك. هيا، اعترفي لا تحاولي ان تنكري ذلك. فقد اخبرتني جيليا بانه كان ينظر اليك بنهم ونظراته كرجل يتضور جوعاً لطبق المعكرونة.»

«انه وصف ملائم، مع انني اسمعه للمرة الأولى. ثقي بي يا تريش. فقد قابلت مثل هذه النوعية قبلاً.»

هزت تريش رأسها موافقة: «لكنه شق طريقاً، اليس كذلك؟»

تنكرت كارولين تلك اللحظة التي كان فيها على وشك ان يأخذها بين ذراعيه. وتنكرت الحرارة المنبعثة من عينيه.

«حقاً؟»

ابتعدت من دون مبالاة عن عيني تريش التي ارهقتها باسئلة كثيرة. «لاأكثر ولا أقل.»

«أنت، كما اعرفك، هياته تماماً. كم تمنيت لو كنت هناك لأسمع كل مادار بينكما. ماذا قلت له؟ أيها الأمير، أنا لست مهتمة؟»

«لا تتوجهي اليه بهذه الطريقة.»

«باية طريقة اذاً؟»

«أنت لا تناديه بالأمير.»

«لا؟»

قالت كارولين: «لا. وبما انني أفكر الآن بهذا الموضوع، اظن ان اسم الأمير هناك في منزله اسم يطلق على مغنٍ لموسيقى صاخبة، أو إلى كلب، تعرفين الكلمات التي تتكرر، تعال يا أمير. اذهب يا أمير. واجلس يا أمير.»

أضافت تريش وهي غير قادرة على الإحتمال أكثر: «إلى الأسفل، يا أمير.»

ابتسمتا، ثم استغرقتا في الضحك، وفي أقل من لحظة كادتا أن تنفجران من الضحك المتواصل. وانهارت كارولين على كرسي قريب.

قالت كارولين ضاحكة: «شكراً لك.»

سألت تريش وهي تحاول ان تتمالك نفسها: «من أجل ماذا؟»

لأنك وضعت الليلة الماضية في المنظور، فكرت كارولين في نفسها. لكنها لم تقل ذلك. ابتسمت، بالمقابل لتقول: «لأنك وضعت الصورة الصحيحة في ذهني من أجل مواجهة ذلك السافل سيلفيو. وسؤاله عن سبب تأخره في دفع راتبي شيء يثير الضحك في كل الأحوال.»

كان من الصعب ـ وأحياناً من المستحيل ـ طلب موعد مع مكتب رئيس وكالة ميلانو، وكانت دائماً المسؤولة عن مكتب الإستقبال تعتذر بأسف شديد، وان سينيور سيلفيو مشغول جداً.

لكن هذا لم يحدث اليوم. ودهشت كارولين، عندما رأت السيدة مهتمة ومسرورة لسماع اسمها.

«سينيوريتا بيشوب كنت على أهبة الإتصال بك. لأن السينيور سيلفيو يرغب في رؤيتك.»

حدقت كارولين باللاشيء وهي تمسك بسماعة الهاتف. «احقاً ما تقولينه؟»

«لديه عمل لك ويود أن يتباحث معك به. هل يناسبك الوقت في الساعة العاشرة؟»

قالت كارولين ان ذلك يناسبها، ثم أقفلت الخط. ليس من عادة سيلفيو ان يتحدث بالأعمال، انه فقط يوقع عليها.

www.elromancia.com

وفكرت بأنها سمعت شيئاً يتردد بخصوص افتتاح صالة لعرض الأزياء في إحدى أفضل دور الأزياء في فياموننتنابليون، فبالرغم من الحاح الوكالة الشديدة بأن لا تقدم نفسها لأي عمل من دون وساطتها، ذهبت كارولين في إحدى المرات لتستطلع عن تلك الدار وقدمت نفسها لكنها قرأت قائمة بأسماء عارضات للأزياء كن قد سبقنها.

هل يمكن هذا...؟

لقد كان هذا املاً صعب المنال. وبينما كانت تشق طريقها وهي تصعد الدرجات الضيقة لمكتب الوكالة قبل ان تشير الساعة إلى العاشرة بخمس دقائق، أحست بأنها غير قادرة على كبح مشاعرها. ان العمل مع ادورنو قد يكون عملاً ثابتاً، والراتب لا بأس به، وسيبقى لها بعض المال الكافي، حتى لو أخذت الوكالة النصيب العائد لها من ذلك. ولمصممي الأزياء عند ادورنو وجهة نظر جيدة في الأزياء. وسيفتح لها مجالاً واسعاً لتتعلم كل ما يختص بالأقمشة وتفصيلها.

التفتت عاملة الإستعلامات عندما فتحت كارولين الباب.

«آه، سينيوريتا بيشوب. وصلت في الوقت المناسب.»

ابتسمت كارولين: «نعم، هل سينيور سيلفيو...؟»

«إنه ينتظرك.» ومالت السيدة نحو آلة الطباعة ورسمت ابتسامة حميمة: «ليس أفضل من الفرصة الممتازة التي تسنح للفتاة في توقيع عقد عاجل معها، اليس كذلك؟»

فرصة ممتازة. وخفق قلب كارولين بشدة. فالسيدة على حق. لا بد وأن أدورنو قد اتصل بالوكالة، وهم يريدونها.

فتحت احد الأبواب وظهر سيلفيو، وهو يمد ذراعيه

نحوها، ووجهه المستدير يشع ابتهاجاً. قال بسرور: «يا عزيزتي، أرجوك، لا تقفي خارجاً، تعالي إلى مكتبي واستريحي.»

لم تصدق كارولين اذناها واخذت تحدق به وكانها تتاكد بأن الكلام موجه إليها فعلاً. ابتسمت بتردد، وهي تتجاهل ذراعيه الممدوتين، ودخلت إلى مكتب سيلفيو. رأت ان الأثاث فيه رخيصاً ومثيراً للإشمئزاز. ونافذة ذات زجاج مدخن تطل على زقاق ضيق. وإلى الجانب الأيمن من المكتب باب مفتوح يؤدي إلى مكاتب أخرى متصلة.

دعاها إلى كرسي قبالة طاولة مكتبه.

«أترغبين ببعض القهوة؟ لا؟ شاي، اذاً.» ثم تصنع الضحك. «لا أتذكر أبداً ما الذي تفضلن أكثر انتن الأميركيات، يا عزيزتي، قهوة أو شاي أو الشوكولاته؟ انني متاكد بأن فتاتي تستطيع...»

قالت كارولين بسرعة: «لا شكراً لك، فانا لا أريد شيئاً على الإطلاق. أريد فقط... أريد التحدث بشأن العمل.»

ابتسم سيلفيو وهو يلاحظ تصرفاتها: «طبعاً. فكرت فقط بأن اجعلك تشعرين ببعض الراحة قبل أن نخوض بالموضوع.»

«انني فعلاً اقدر ذلك منك؟ لكنني مبتهجة جداً بهذا العرض، و...»

«تعرفين شيئاً عنه، إذاً؟»

ترددت كارولين قليلاً: «حسناً، نعم. بالتاكيد. كانت دائماً الفكرة التي أحبذها، على أية حال.»

اتسعت عيناه بتعجب: «فكرتك؟»

هزت برأسها علامة الإيجاب: «نعم. أعرف جيداً بانه لا يفترض منا أن نلتمس اعمالاً لنفسنا، لكن...»

ضحك سيلفيو قليلاً لكن بحماس: «لا، لا، هذا جيد. لكن هل ينبغي منا استعمال كلمة، التماس؟ انها كلمة بشعة، ألا تعتقدين ذلك؟ اما بالنسبة للقلق من عدم سروري بذلك... ان كانت فتياتنا تغامر من أجل مناصب أرفع، فمن نكون نحن كي نعترض على ذلك؟»

هزت برأسها مرة أخرى، ونسيت كل ما يتعلق براتبها المتأخر في ظل ذلك الإبتهاج للعمل الجديد: «تمنيت ان ترى الأمر على هذه الصورة، يا سينيور. متى أبدأ العمل؟»

تابع ابتسامته، وهو يميل بكرسيه إلى الوراء وطوى ذراعيه فوق كرشه الكبير.

«يجب القول، يا سينيوريتا بيشوب، ان حماسك الشديد يدهشني. فأنت غير معروفة بتمتعك بتلك الروح المستعدة للتعاون.»

قالت كارولين: «أظن بانني كنت في غاية التعاون. لم يتنمر اي مصمم أزياء مني لغاية الآن.»

«حسناً، لم أقصد المصممون، لا.» وهز بكتفيه وكانه يعني شيئاً ما. «لكن بعض الزبائن...»

تذكرت الليلة الماضية. وذلك الشاري بكلامه المعسول... وتململت كارولين في مقعدها.

«ان كنت تشير للذي حدث في سالاديل آرت، آسفة لذلك. فلم يكن في نيتي أبداً ان يظهر مني مشهد غير لائق، لكن...»

«لست في حاجة لتبرير موقفك، يا سينيوريتا.» وصدر صوت تقريباً مكتوم من كرسي سيلفيو وهو يميل إلى

الأمام. «فقد جرت الأمور نحو الأفضل، تصوري؟ والسيد كان راضياً كلياً. لقد قدم لنا عرضاً ممتازاً و...»

دهشت كارولين من كلامه: «كنت اعتقد أن التي تدير العمل في دار ادورنو، امرأة.»

«ادورنو؟ ما علاقة ادورنو بهذا التحضير؟»

«انه... انه العمل الذي اردت الالتحاق به. أليس هذا ما نريد بحثه؟»

ألقى سيلفيو بنظرة سريعة على الباب المتصل بالمكتب.

«اننا نتباحث بالعرض الذي قدمه هذا الصباح صاحب السعادة، الأمير. لقد وافق على...»

شعرت كارولين بالدم يغلي في عروقها: «الأمير؟ اتعني انه نيكولو ساباتيني؟»

«تماماً. وقد وافق ان يدفع لنا اكثر من العمولة العادية. وقد شرحت له، طبعاً، باننا سنحتاج إلى تعويض ضخم ان جمعناه باحدى فتياتنا من أجل خدمات غير عادية من هذا النوع، وينبغي لي أن أقول...»

«خدمات؟» وقفزت كارولين على قدميها. «خدمات؟ هل جننت؟» وخبطت بيديها على طاولة مكتبه وطارت الأوراق في كل الإتجاهات: «أنا لا أقوم بالخدمات!»

«سينيوريتا، ارجوك. يجب أن تهدأي.» وعاد ينظر نحو الباب. «عنيت فقط...»

«أعرف جيداً ماذا كنت تعني، ايها الوقح!» واهتز رأسها بغضب شديد. «أنت وذاك الأمير القذر، ذاك... ذاك...»

«القذر؟»

دارت كارولين نحو الباب المتصل بغرفة المكتب، وكان

نيكولو ساباتيني يبتسم لها وهو يرتدي بذلة كحلية مقلمة، وقميصاً أبيض اللون وربطة عنق حريرية بلون احمر قرمزي «لقد خاب أملي، يا آنسة بيشوب. لقد شاهدت العديد من الأفلام الأميركية، لكنني لم أتوقع شيئاً مثيراً كهذا.»

«نعم؟ اذاً، ابقى قريباً، ايها الأمير لأريك المزيد.» قالت ذلك بنبرة قصدت من ورائها الإهانة لعدم استعمالها اللقب اللازم له: «امنحني دقيقة واحدة وسأفاجئك بشيء قد يحول لون وجهك إلى نفس لون ربطة عنقك!»

نهض سلفيو من مكانه. «معاليك...»

«أخرج يا سيلفيو.»

«يا صاحب السعادة، كنت على وشك ان اشرح لها التفاصيل للعرض الذي قدمته إلى السينيوريتا.»

«بكل رقة ولطف من ناحيتك، من دون شك.» وأشار نيكولو برأسه نحو الباب الذي يؤدي إلى غرفة الإستقبال. «لقد قمت بما فيه الكفاية. أخرج، الآن حالاً!»

أحدث سيلفيو صوتاً وهو يميل بكرسيه إلى الوراء. ودار حول الطاولة بسرعة، ثم احنى رأسه معتذراً إلى نيكولو، لكنه قطب حاجبيه في وجه كارولين، واسرع خارجاً.

تنفس نيكولو الصعداء. «من الصعب ترك الأمور المهمة للأقل قدرة على ذلك.» ومشى على مهل نحو طاولة المكتب. «أرجوك، يا آنسة بيشوب، الا تجلسين؟»

هزت كارولين رأسها بعنف. «لا داعي لذلك. فإن كنت تظن بأن عرضك الرائع سيروق لي لأنه صادر منك... ذلك الأحمق...»

«إنه ليس احمق.»

«ليس أحمق؟ إذاً، اعتقد لا، هذا ان اخذنا بعين الإعتبار جهتك في هذا المشروع الرخيص. لكن...»

«انه ليس كما سميته أبداً بل احقر بكثير من ذلك.» قطب نيكولو جبينه وهو يتكىء على حافة طاولة المكتب، وقد طوى ذراعيه فوق صدره. «انه انسان لعين ليس الا.»

«انني أقول لك، انه... انه....» ثم حدقت به بتعجب: «ماذا قلت عنه؟ لعين؟»

«تماماً كذلك. كما انك، يا آنسة بيشوب، أنت غبية.»

نظرت كارولين إليه شذراً: «استميحك عذراً؟»

«الم اوضح عن نفسي في الليلة الماضية؟ ثم قمت بالذي قمت به صباح هذا اليوم. انني لست مهتماً بشراء خدماتك.»

«آه، أرجوك! لقد لمست لتوي عرضاً لا يصدق، والآن تتوقع مني أن أصدق...»

«انه عرض عمل لا أكثر. فانا لا أشتري نسائي.»

وتقلصت ابتسامتها الساخرة: «لا؟ ما الذي تقوم به، اذاً؟ تمطرهن بالهدايا الثمينة كي تستمر بأكانيبك؟ اهذا ما كان يريد ان يشرحه لي سيلفيو، بأنك قد وافقت على ان تدفع للوكالة عمولة وبالتالي كنت ستعطي... ماذا؟ جواهر؟ أو ربما خاتم ماسي؟ معطف ثمين من الفرو؟ طبعاً، بعد ان تتمتع بكامل خدماتي.»

«أرى أنك تقيّمين نفسك بالكثير، يا آنسة بيشوب.»

شمخت كارولين برأسها بتعالٍ. قالت بهدوء: «صدقني انك لا تستطيع ان تتحمل مصاريفي، يا سمو الأمير.»

عاد يبتسم بسرعة مرة أخرى، وبطريقة ما أكثر من ذي قبل. قال بلطف: «لست مضطراً لذلك.»

«اسمع...»

«السبب، لو انني فعلاً اريدك، سوف تتبعينني بشوق كبير، يا سينيوريتا.»

قالت وهي تشتعل غضباً: «هكذا اذاً.» ودارت مبتعدة.

ابتعد عن طاولة المكتب ليلحق بها. وكادت يداه تلامس كتفيها.

قالت وهي ما زالت غاضبة: «دعني اذهب في حالي.»

قال وعضلات وجهه تتوتر: «لماذا تنكرين ذلك؟ الذي بيننا هو...»

حاولت التملص بغضب من قبضته. قالت وكأنها تتابع قوله: «هو انفعال غير مستحب!»

ضحك نيكولو بلطف. «اوافق على ذلك.» وسقطت يده فوق صدرها ثم إلى أعلى وجهها. «لكن ما علاقة ذلك بالرغبة؟»

«كم أنت مغرور بنفسك، أيها الأمير ساباتيني. في الواقع...»

أخذت اصابع يده تلامس شفتيها، وكأنه يبحث عن شيء فيهما وشعرت هي بذلك رغم غضبها الشديد منه.

قال بلطف بالغ: «لقد تنبأت بأنك تلعبين هذه اللعبة.»

«اللعنة عليك! انها ليست بلعبة. إن لم تتوقف عن ذلك...»

«على العكس. ان لها تأثير بالغ. فهي تعطي المرء احساساً بأنه من الضرورة الفوز بك.» ابتسم ومرّ بابهامه على عظام خدها الناتئة. «أو ربما الحصول عليك. كذلك ارجو ألا يتبادر إلى ذهنك انها خدعة وعليك صون نفسك منها.»

ضغطت كارولين بشدة على رسغ يده. «أيها اللعين! ما الذي يعطيك الحق في ان تتكلم معي على هذا النحو؟ هذا

لأنني جرحت كبرياءك وانانيتك اللتين لا تحتملان؟ وهل من المفروض مني ان اغرق في بحر من الآمال لأن الأمير المعظم نيكولو ساباتيني تقرب مني؟»

بدا مكفهر الوجه وزائغ النظرات. «انك تضللين نفسك، يا كارولين. فأنا لم اتقرب منك.»

«كاذب!»

اشتعل غضباً وقال: «انا لا أكذب أبداً.»

«حسناً، ها أنت تكذب الآن.»

سحب يديه منها. وقال بعنف شديد: «لو كنت فقط رجلاً، لكنت...»

«نعم. هنا تكمن المشكلة، اليس كذلك،» ابتسمت بسخرية شديدة إلى أن بانت اسنانها البيضاء. «انني لست برجل لان ذلك لا يغريني أبداً لذا فلن تستطيع أن تتعامل مع هذه الحقيقة.»

«السبب الوحيد الذي دفعني إلى التكلم معك ليلة البارحة، هو من أجل جدتي.»

«أجاد فيما تقول؟ اذاً، أين جدتك الآن؟ كما وانك تريد ان تخبرني بأنك قمت بذلك العرض مع سيلفيو من اجل خاطرها ايضاً؟»

«نعم. كما قلت.» وتغيرت نبرة صوته، واستطاعت ان تلمس نبرة الآمر المهيب منه. «الأميرة ترغب برؤيتك.»

«كم هذا يثير الشفقة! انك تتحامى وراء سيدة عجوز غائبة ولا تستطيع الدفاع عن نفسها!»

«انها الحقيقة العارية، لسوء الحظ. كنت افضل عدم ذلك، لكنها هي التي توجهت بالسؤال عنك.»

هزت كارولين كتفيها غير مبالية. «حسناً، هذا جميل منها. لكن اخشى انه ينبغي منك ان تخبرها بأن الأيام التي حكمت فيها روما العالم قد ولت وانقرضت إلى غير رجعة. وأنا الآن مشغولة جداً.»

بدا النفور واضحاً على وجه نيكولو. «انني متأكد من انك كذلك. لكنني وعدتها بأن احضرك اليها.»

«يا لسوء طالعك.» تحولت عنه وهي تحاول التوجه إلى الباب: «اسمع، قل لها انك حاولت جهدك معي، حسناً؟ قل لها انك قمت بأكثر ما لديك من طاقة لإقناعي، ولكن...»

«انها مريضة.»

توقفت تستوضح ويدها على مقبض الباب. قالت ببطء، وهي تلتفت نحوه: «مريضة؟»

«نعم.»

هذا كل ما قاله، كلمة واحدة وهو ينظر اليها بطريقة غريبة جعلتها تتردد.

«كانت ليلة البارحة على أحسن ما يرام.»

ضحك نيكولو بملء فيه. «كيف تكون سيدة في أحسن حال ان تجاوزت عمر الأميرة؟» وأدخل يديه في جيبي سرواله، ومشى نحو النافذة، واسترق النظر نحو الزقاق الضيق. «انه خطاي. ما كان عليّ ان اتركها تشارك بتلك المسألة، لكنها الحت عليّ كثيراً.»

فكرت كارولين ملياً قبل ان تقول: «قد تكون مرهقة لا أكثر.»

تنهد بعمق. «هذا ما أرجوه فعلاً. وان ترتاح يوم او يومين وتتناول حساءً خفيفاً... وزيارة منك، يا كارولين. أظن، ان هذا ايضاً سيساعدها على التحسن.»

حدقت كارولين في وجهه. لكان يخاطبها بالحقيقة؟ هل كانت جدته مريضة فعلاً، أم ان هذه خديعة فقط؟

رغم ما جرى بينهما ليلة البارحة من اختلافات في اوجه النظر، فقد كان واضحاً جداً بأن الأميرة دعت حفيدها إلى أن يحضرها من سالاديل آرت. وقد اعترفت في قرارة نفسها بأن الأمير كان يظهر للسيدة العجوز عاطفة ملحوظة.

«ان الأمر كما قاله سيلفيو، ذلك الغبي. لكنه لم يوضحه كما يلزم. سادفع للوكالة العمولة المعروفة من أجل خدماتك، بالإضافة إلى علاوة اخرى لأي خلل قد ينتج في تغيير برامجهم. كما سادفع لك راتبك كما كنت تتقاضيه عن كل ساعة، وخمسون بالمئة عمولة يضاف إلى راتبك. وان كنت تعتقدين بأنني غير منصف في هذا التدبير، فما عليك سوى أن تشيري بذلك.»

«احصل على هذا كله، في حال وافقت على زيارة جدتك.»

هز برأسه علامة الإيجاب: «نعم.»

«أرى الآن لماذا كان سيلفيو في منتهى السعادة. ذلك لأنه عرض سخي جداً.»

قال مبتسماً: «حتما هو كذلك. ألا تمضين وقتك احياناً مع العجائز؟»

أحست كارولين بحرارة شديدة تعلو وجهها. اللعنة على هذا الرجل! وها هو مرة أخرى، يقول شيئاً لكنه ضمناً يعني شيئاً آخر. وهو رجل له مفهومه وطرقه الخاصة به.

«اذاً؟ أأقول اننا اتفقنا؟»

قالت بقوة: «لا، اننا لم نتفق. ارجو ان تفهم بأنني لست

امرأة للبيع والشراء يا سمو الأمير. آسفة للذي ألمّ بجدتك، لكن هذا ليس من شأني.»

اكفهر وجهه وقال: «فهمت.»

«بلغها تحياتي، ارجوك، لكن اشرح لها بأن لدي اشغال كثيرة عليّ ان انهيها وبأنني من المستحيل...»

«آه، اعرف تماماً ماذا سأقول لها هذا ما كان ينبغي عليّ قوله ليلة البارحة، عندما ارسلتني وراءك.» ومشى نحوها، ولمس كتفه ذراعها وهو يتوجه نحو الباب: «سأقول لها لا وقت لديك لتفاهات كهذه. ما الفرق بين قلب سيدة عجوز وبين عارضة يملأ قلبها البهجة وهي ترقص شبه عارية فوق خشبة المسرح بينما العالم كله يراقبها باعجاب.»

«هذا جنون. فأنا لا أرقص شبه...» دارت كارولين لتنظر في وجهه. «ماذا تقصد، بقلبها؟ مما يشكو قلبها؟»

«لا شيء، سوى انك جرحته بطريقة ما. لكن، ومع ذلك، فأنا لا اؤيد تلك الخرافة من الحكمة التي ترافق العجائز.» واقتربت يده من مقبض الباب. «اتمنى لك صباحاً جيداً، يا آنسة بيشوب»

أخذت نفساً عميقاً: «انتظر. هل طلبت رؤيتي فعلاً؟»

نظر نيكولو إليها بنفور: «ما الذي يدعو إلى وجودي هنا اذاً؟»

ترددت قليلاً قبل ان تقول: «لقد احببت جدتك فعلاً. كانت في غاية الرقة واللطف، و... حسناً، سأذهب لرؤيتها.»

رأت الدهشة تعلو وجه نيكولو، لكن لم تكن دهشته توازي دهشتها هي. لأنها لم تخطط لهذا القول، ولكن كل ما في الأمر ما من داعٍ لكره سيدة عجوز فقط من أجل كرهها

لحفيدها الذي لا يحتمل، وخصوصاً، عندما نكرتها، بجدتها، بطريقة تعذر تعريفها ـ لكن لماذا عليها ان تشرح ذلك لهذا الرجل؟ وها انها تراه الآن حائر فيما يريد قوله ـ وهذا عذر كاف لها لتسر من قرارها السريع.

هزّ برأسه، وهو ينتقل من مكانه: «اعتقد أنه واجب عليّ ان أشكرك.»

قالت كارولين بصوت جاف: «من حسن لباقتي، أكيد لكن لا تزعج نفسك. فأنا لا اقوم بذلك من اجلك، بل من أجل جدتك الطيبة. واضيف عليك، بأنني لا أريد شيئاً منك على الإطلاق، يا سمو الأمير.»

قال ببرودة شديدة: «ربما لم استطع توضيح ذلك بنفسي سأستدعي سيلفيو الآن ومعه العقد...»

قالت بحدة: «انك تسيء فهمي تستطيع ان توقع أية اوراق ترغبها مع الوكالة. فلك الحق بذلك، لأنهم سيخسرون مالاً عند انسحابي منهم اليوم. لكنني لن أتقاضى قرشاً من زيارتي للأميرة.»

ضاقت عينا نيكولو بحيرة: «اخشى بأنني لا افهم ما ترمين إليه.»

«ان الأمر واضح جداً. فأنا لا أريد أن أقبض ثمناً من أجل رؤية جدتك. لأنها مجرد زيارة، وليست اتفاق عمل. افهمت الآن؟»

حدق بها واللحظات تمر ببطء شديد، ثم هزّ برأسه. وقال بسطحية بالغة: «لا أفهم.»

ابتسمت كارولين قليلاً: «لا أظن أبداً أنك ستفهم. لكن هذا هو شرطي، يا سمو الأمير.»

عبس، وتحولت نظراته إلى وجهها. لكنه هزّ كتفيه غير مبالٍ: «حسناً، ان كنت ترغبين ذلك...»

«انها الطريقة الوحيدة.»

وافق نيكولو بإشارة من رأسه ثم فتح الباب. وكان سيلفيو ينتظر في الخارج، يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بتعثر.

قالت بعذوبة: «انتبه إلى نفسك، سينيور. فانا لا أرغب أن أراك متأذياً.»

اوما سيلفيو برأسه بعصبية ظاهرة، وكان يسدد نظراته ما بينها وبين نيكولو. «شكراً لك، يا سينيورا. انني اقدر مدى اهتمامك.»

«ان السيدة محقة في قولها، يا سيلفيو.» ابتسم نيكولو بثبات. «فإن كنت ترغب في أن يكسر عنقك، فيسعدني ان أقوم بذلك بنفسي.»

«سينيور، أرجوك...»

«هيا يا رجل، تحرك! اين العقد؟ واين يجب ان اوقع.»

انفعل ببهجة رئيس الوكالة من شدة سعادته: «انه هنا، يا سيدي» قال وهو يسحب وثيقة عن طاولة المكتب. واشرق بوجهه نحو نيكولو: «ستذهب السينيوريتا معك اذاً؟»

التقت نظرات نيكولو بنظرات كارولين. وقال باختصار: «نعم ستفعل.»

قطب وجهه وهو يدقق بالوثيقة، ثم وقع اسمه في اسفلها.

«سينيوريتا؟» قال سيلفيو وهو يدفع بالوثيقة نحوها. وازداد تقطيب وجه نيكولو. وقال ببرود: «انها لن توقعها.»

«لن... لكن...»

مشى نيكولو بمحاذاة سيلفيو وقبض على ذراع كارولين. وقال بجفاف: «هيا نذهب.»

اومأت برأسها: «بالتأكيد. كلما اسرعت لرؤية جدتك اكون قد اسرعت بالقول وداعاً لك وللمرة الأخيرة. وكم سأشعر بالراحة تغمرني عندها!»

فنظر في عينيها اللتين تومضان حقداً، ولشدة دهشتها، ضحك، ضحك فعلاً من اعماق قلبه، وبطريقه لم يقم بها قبلاً.

«أتقولين دائماً ما يجول في خاطرك، يا سينيوريتا؟»

قالت بتحدٍ: «نعم وفي كل الأوقات.»

لكفهر وجهه قليلاً. وقال ساخراً: «انها ناحية مشوقة وممتعة في المرأة. شيء لم اصادفه من قبل.»

قالت وهي تمر من جانبه: «حسناً اذاً انك تتعثر في طريق وعر.»

قال ثم ضحك مرة أخرى بنفس تلك السهولة: «نعم.»

تساءلت كارولين للمرة الأولى، إن كانت قد سمحت لغرائزها أن تقودها. وكان نيكولو يعجل عليها بالإسراع فوق السلالم، إلى خارج المبنى وبالتالي إلى المرسيدس السوداء.

كان الوقت متأخراً جداً للتساؤل حول أي شيء.

الفصل الرابع

فكرت كارولين وهي تستقر داخل السيارة، المرسيدس، طبعاً. يجب أن يكون شيئاً كهذا، سيارة باهظة الثمن مع سائق يرتدي البزة الرسمية ونظارة سوداء تدل على الخصوصية التامة. وأي نوع من السيارات الأخرى تتلاءم مع شخصية مثل نيكولو ساباتيني.

المثير في الأمر، ان اولئك الاشخاص الاذكياء لا يرغبون بأن يتخذوا طريقهم نحو قلب المدينة الصاخب والمزدحم وخصوصاً في مدينة ميلانو وفي يوم معين من أيام الأسبوع. مثلها ومثل أي مدينة أخرى تستطيع أن تفكر بها، إن هذه المدينة كانت تتشابك بازدحام هائل. فكانت السيارات تتحرك ببطء شديد بينما المشاة، وطبعاً الدراجات النارية التي تملأ ايطاليا كانت تنطلق بسرعة قصوى.

ان الرجل الذي يجلس إلى جانبها لن يترجل أو يقود دراجة نارية فيما لو انفصل بملء اختياره عن تلك الهالة الكبيرة والملفت للنظر من ثرائه. وتابعت تفكر، وهي ترمقه من وقت لآخر، انها تستطيع أن تتصوره أكثر في سيارة من نوع مزيراتي. لا بسيارة من نوع فيراري. فمن وجهة نظرها، كانت سيارة الفيراري تحفة رائعة ومصممة حقيقة بأناقة مميزة، ومزينة بخطوط مستقيمة على جانبيها. انها سيارة تمثل القوة والرجولة، تماماً مثل الأمير ساباتيني نفسه.

تململت كارولين في السيارة بانزعاج. كم هو شيء سخيف أن تفكر في الرجل الذي تمقته وتكرهه. لكن، ربما ذلك لا يدعو إلى السخف منها، لأنها كانت تتمتع بذوق رفيع في التصاميم الجيدة، أليست هي كذلك؟ كما انها تعترف في قرارة نفسها بأنه يلفت النظر وهذا ليس سوى حدس فني صادق عندها. لكن هذا لا يغير حقيقة بأنها تكرهه بشدة.

عادت ترمقه مرة أخرى، وكان يجلس إلى جانبها وهو يضع ساقاً فوق ساق، وينقر بأصابعه على فخذه بنفاد صبر. فقد واجهتهم مشكلة عويصة من ازدحام يضم شاحنات كثيرة وسيارات أجرة، وكذلك عدد لا يستهان به من السيارات الخاصة، يتقدمون ببطء شديد لا ينكر، مما أظهر الاضطراب والتوتر في ملامح نيكولو.

كان هذا ليس أكثر مما يستحق. فيجب أن يذكر رجل كهذا في كل الأوقات، بأنه لا يستطيع السيطرة على كل شيء في العالم، رغم ثرائه الذي لا يتصوره العقل. والدم الأزرق الذي يجري في عروقه.

كان الذي يرضي غرورها أكثر، هو انها لقنته درساً لن ينساه، ليس مرة واحدة فقط بل مرتين، هذا الصباح عندما صعقته بموافقتها على رؤية جدته ولكن كان ذلك على حسابها الخاص، وكذلك الليلة الماضية، عندما أوقفت كل محاولاته، وليس مهماً ادعاؤه بأنه غير مكترث على الاطلاق.

كان بالطبع مهتماً كثيراً. ككل الرجال، خصوصاً واحد مثل ساباتيني. لأنها كانت تماماً مثل سيارته المرسيدس، رمزاً آخر من الثراء والعظمة.

شعرت بنفسها تبتسم. وكانت تتساءل كيف يقيمها نيكولو ساباتيني لو رآها ترتدي سروال من الجينز الباهت اللون وقميصاً قطنياً وهذا ما تفضله في كل الأوقات، وحذاء رياضي مريح، وترخي شعرها على كتفيها، أو تجدله إلى الوراء على الطريقة الفرنسية. فإن شاهدها على هذا النحو، فإنه من المؤكد سيمر من جانبها من دون أن يكترث لها أو يعيرها أي اهتمام. وقد...

«هذا غباء!»

التفتت كارولين نحو نيكولو، ولم يعد ينقر بأصابعه فوق فخذه. لكنه، بالمقابل، مال إلى الأمام، وهو يسترق النظر من الزجاج الذي يفصلهما عن السائق، ويحدق بغضب بالسيارة التي أمامهما. قال بعصبية: «كان هناك مخرجاً. ولكن الغبي الذي أمامنا لم يقد بسرعة كافية.»

منحته كارولين نظرة باردة وخالية كلياً من أي تعبير. «يا للحظ التعيس.»

غمغم نيكولو من بين أنفاسه، وعاد يميل إلى الأمام، وأقفل اللوح الزجاجي الفاصل.

قالت بتذمر شديد: «من الأفضل عدم مراقبة كيف يقودون هؤلاء الأغبياء سياراتهم.»

«ومن الأفضل أكثر ان لا نكون بينهم. كنت على علم وثقة بأن الشوارع ستكون مستحيلة في ازدحامها الخانق.»

«شكراً لك.»

وجاء دورها لتتلقى ملاحظة ساخطة منه: «الذي فعلاً أحتاجه في هذه الدقائق المرهقة، هو تعليق سخيف عن ازدحام السير في ايطاليا من فتاة من الغرب الاميركي الأوسط.»

ارتفع حاجبي كارولين بحيرة بالغة: «لماذا تفكر على هذا النحو؟»

ردّ عليها بلباقة مهذبة: «الذي عايش الازدحام الايطالي الخانق فقط هو وحده يعلق حول هذا الموضوع.»

«أقصد، ما الذي يجعلك تعتقد بأنني من ذلك القسم في أميركا؟ ماذا تعرف عن الغرب الأوسط؟»

«انني لا أجهل شيئاً عن بلادك، يا سينيوريتا. فقد كنت هناك أعمل لسنين عديدة وكذلك للمتعة.»

«انني متأكدة من ذلك. ربما إلى نيويورك وسان فرانسيسكو. لكن إلى الغرب الأوسط؟»

«ليس من الضرورة زيارة ذلك القسم من أميركا كي يعرف بأنه يشتهر بنساء مثلك.»

«حقاً.» وتحركت في مقعدها على الاتجاهين وعادت تنظر إليه. «وكيف أبدو لك، يا سمو الأمير؟»

«كما أنت.» قال بنفاد صبر، وهو يشير إلى شكلها الكامل: «طويلة القامة. زرقاء العينين. باختصار مثل فلاحة صغيرة وبريئة. وأنا متأكد ان هذا يكسبك كثيراً من المال.»

كان هناك كلاماً عالقاً في حنجرة كارولين وربما كادت أن تتفوه به. لكنها أبعدت نظرها عنه إلى الخارج.

قالت ببرودة شديدة: «انك واثق من كل شيء. وبالتالي فانت مخطىء جداً. لأنني من نيو انكلاند، وليس من الغرب الأوسط. وليس من الضرورة أن تكون ايطالياً لتعرف أن المجيء بالسيارة في هذا الوقت من الفوضى والازدحام هو عمل ليس متسحباً أبداً. فلو انك وضعت جانباً ذاك

الغرور والغطرسة التي تتحلى بها، لكنت استنتجت ذلك واستعملت المواصلات الشعبية. أعرف ان هذا قد يعني الاختلاط في تلك الفوضى التي لا تناسب مقامك الرفيع، لكن...»

اندفاعها وتوترها الشديدين جعلاه يضحك: «هل تتهمينني بالغرور والغطرسة؟ أظن انه عليك الاصغاء إلى نفسك، يا كارولين، وعندها ستعرفين كيف تقومين بافتراضات سريعة... لكن غبية.»

«كنت أشير ببساطة بانه قد يكون هناك وسائل أفضل في القيام بهذه الرحلة اليوم.»

«لا أعتقد ذلك.»

كان لذلك التصريح البسيط وقع على كارولين أشبه باعتزازه بنفسه وتوضيحه، مما جعل الدم يسري حاراً في عروقها. لكنها أطبقت فمها وكانها تحاول ألا تثيره. فقد قام لغاية الآن بعمل يكفي ان يجعلها تقوم بهذه الزيارة، وستكون حتماً غبية ان كررت ذلك وكانها ترضي غروره وطمعه. انها تستطيع تدبير ذلك. وكل ما عليها فعله هو أن تنتبه دائماً وفي كل وقت بانها لا تستطيع أن تحتمل رفقته أكثر مما تحملت. وستجلس قريباً أمام الأميرة، وبقدر ما هي قلقة، سيكون الأسرع لها...

تأرجحت كارولين عندما تحركت السيارة بشكل مفاجيء. ولامس جسدها ذراع نيكولو. وكان الاتصال سريعاً، لا أكثر من لحظة، لكنه كان يثير الاعصاب. كان أشبه بالنار المتلهبة. فانسحبت إلى مكانها بسرعة، لكن ليس قبل أن يمنحها ابتسامة صغيرة ذات معنى. ان هذا

الرجل غير جدير بالاحترام أبداً، فكرت متأملة، لكنها منحته بالمقابل ابتسامتها الأكثر براءة.

«إذاً، أنت أمير على ماذا؟ ايطاليا؟ أو ربما أوروبا بأسرها؟ أو قد تكون أمير العالم؟»

كما توقعت، تلك الابتسامة التي هي مزيج من الاعتزاز بالنفس والأناقة، تحولت إلى عبوس شديد. «لا شيء كهذا، يا سينيوريتا. انني أمير فقط على كورديا.»

قالت مفكرة: «كورديا، كورديا... لا أظن بأنني سمعت بها.»

«لا، لم تسمعي عنها، إلا إذا كنت تلميذة تاريخ. فقد كانت كورديا امارة لكنها اختفت منذ أكثر من مئتي سنة مضت.»

«هذا شيء ساحر.» قالت كارولين بنبرة أوضحت بها ان الموضوع يعني أي شيء عدا هذا الذي ستلحق به قولها: «تبدو انها ممتعة، خصوصاً ان تملك لقباً لا فائدة منه في هذا العصر وفي أيامنا هذه.»

اكفهر وجه نيكولو أكثر. «المرء لا يملك لقباً، بل يعطى له بالميراث عبر الأجيال الغابرة.»

«يا لها من مسؤولية.» قالت وهي تمر بيدها فوق المقعد الذي صنع من أفخر أنواع الجلود: «ومن عبء وواجب كبيرين كي...»

عادت السيارة وقامت بمناورة سريعة هذه المرة وسقطت فوقه تقريباً. لكن هذه المرة، كان الاتصال بينهما أكثر اشتعالاً.

«أينبغي على سائقك أن يسرع بهذا القدر المخيف؟»

هزّ نيكولو كتفيه غير مبالٍ. «انه يحاول أن يصل بنا في الوقت المحدد.»

«لماذا؟ لا أظن انه علينا أن نقطع مسافة أطول الآن. كما اننا لسنا في ميدان لسباق السيارات.»

تنهد بنفاد صبر: «اسندي ظهرك وحاولي أن ترتاحي، يا كارولين. فهذا سيسهل علينا ساعات الرحلة معاً.»

«قد تكون أعجوبة من العجائب السبع لو كان ما تقول!» قالت ذلك متذمرة ثم ثنت ذراعيها ووجهت نظرها إلى الأمام: «وعلى أية حال، أين تقع شقتك؟»

«لا أملك شقة في ميلانو.»

«منزلك إذاً. لا يهمني ما تسميه. كل الذي أريد معرفته هو لماذا يقتضي علينا هذا الوقت كله للوصول إليه!»

«انني لست أصلاً من أهل ميلانو.» وكان في صوته نبرة تفرض شيئاً واضحاً، حتى لو كانت أميركية.

«لست منها؟»

«لا. انني روماني، فقد أحضرت الأميرة إلى ميلانو فقط كي تشارك بالليلة الأخيرة من عرض الأزياء. فالمشاريع العائدة لمساعدة الأطفال هي أفضل ما تحب أن تحسن إليها.»

«نعم، فقد قالت لي ذلك.» عبست كارولين وهي تحدق بالخارج. وكان الازدحام قد خف فأخذت المرسيدس تشق طريقها بسرعة، ولكن الشوارع كانت غير مألوفة لها. «في أي فندق هي؟ يبدو لي اننا مررنا...»

«لماذا يجب أن تكون في فندق؟»

«اسمع، هل فاتني شيء؟ فان لم تكن جدتك تنتظرنا في فندق ما، إذاً أين...»

«انها تنتظرنا في البيت.» ومنحها ابتسامة باردة بينما

صدر عن السيارة هدير مزعج لتنطلق مسرعة بشكل مستقيم. وتابع: «في روما.»

أحست كارولين بجفاف في حلقها: «في روما؟»

«طبعاً.»

«لكنها... لكنها تبعد عن هذا المكان مئات الأميال!»

بدا غير مبالٍ: «سنقلع إليها بالطائرة بأقل من...»

«بالطائرة؟ تعني باننا ذاهبين إلى المطار؟»

«حتماً. فقد تستغرق المسافة ساعات أطول بالسيارة.»

مالت كارولين نحوه: «انتظر لحظة! انتظر فقط لحظة لعينة واحدة...»

قال وهو ينظر إليها ببرودة أعصاب: «لا تكوني فظة في حضوري. قد يكون كلاماً كهذا ملائماً جداً في العالم الذي تعيشين فيه. لكن في عالمي - وفي عالم جدتي - على المرأة أن تعرف تماماً ماذا تعني كلمة سيدة محترمة.»

انفجرت كارولين غاضبة: «يا لك من مغرور، ومتبجح، ومبغض... كيف تجرؤ على أن تقوم أمامي بمحاضرات حول ما هو لائق أو غير لائق؟ لقد كذبت عليّ، اللعنة عليك! وقلت لي ان جدتك كانت...»

كانت تلهث لهاثاً عظيماً عندما امتدت يدا نيكولو لتمسكانها من كتفيها: «انتبهي للكلام الذي تقولينه لي، يا سينيوريتا. فالذي ينتمي إلى عائلة ساباتيني ليس بكاذب.»

«لا؟ إذاً ماذا بشأن تلك القصة السخيفة بأن جدتك مريضة وتسأل عني؟ وكيف تستخدم سيدة عجوز من أجل...»

«لم أستخدم أحداً! انني فقط أحضرك إلى الأميرة! والذي تكلمت به حول ذلك العمل السخيف هو خارج نطاق فهمي وادراكي.»

طلبت كارولين بالحاح: «هل هو فعلاً كذلك؟ أو هل راق ذلك لمخططاتك، بعد ذلك الفشل الذريع مساء البارحة؟»

«فشل؟ عن أي فشل تتكلمين؟»

«هيا، وتوقف عن ألاعيبك الماكرة! لقد حاولت أن تغويني، لكن خطتك لم تنجح. لذا الآن...»

«وتتهمينني بانني أناني كبير؟ انتبهي لما تقولينه!» واشتدت قبضة نيكولو فوق كتفيها. «أعيد عليك القول وللمرة الأخيرة، لم أحاول أغواءك قط.»

«لكنك فعلت. وساكون من الغبيات لو انني سمحت لك بأن...»

«أهذا ما يقصدونه بالمرأة المتحررة؟ وهو أن تلعن؟ وأن تلطخ شرف الرجل؟ وان تتهمه بالفشل، لأن أنانيتك لم تتحمل المعرفة بأن الرجل لا يريدك؟»

«هذا في غاية السخف! انه... انه...»

قال بتنمر: «لو انني فعلاً حاولت ذلك، لكنت عرفت.»

رفعت كارولين حاجبيها حانقة: «أيعني ذلك ان أنهار وأصاب بالاغماء؟»

ابتسم ابتسامة صغيرة. وتكلم ببطء: «يعني. انك قد أردت أن نقضي الليلة الماضية في مخدعي.»

«انك شيء لا يصدق! ومستحيل! انك...»

«لكنت أمضيت الليلة بين ذراعي، يا كارولين.» وأمسك بيديها الاثنتين لكنها حاولت التملص منه.»

كانت تتلوى بين ذراعيه، كارهة وقاحته اللطيفة في نبرة صوته، كذلك تلك الابتسامة الواثقة التي ترسم حول فمه، كارهة أيضاً، الواقعة المؤلمة بأنها شعرت بفقدان قواها،

انها لم تكن فتاة ضعيفة، كانت دائماً قوية وتتمتع بصحة جيدة في السنوات الطويلة التي كانت تراقب فيها نظامها الغذائي ومن ممارستها لمختلف أنواع الرياضة المرهقة. كانت تفتخر بقوتها. ومع ذلك، فهذا الرجل، الذي يبرهن الآن انه يستطيع الوقوف في وجه ما تتلفظ به من عبارات، كان يصدها تماماً مثل ورقة في مهب الرياح.

قالت لاهثة: «أنت... أيها اللعين الذي لا يطاق! أتنال دائماً كل ما ترغب به؟»

انطلق ضاحكاً: «دائماً وأبداً.» وحاول تقبيلها.

كان لصدى قبلته دهشة بالغة في نفسها. وما عدا ذلك، فقد أنباتها غريزتها أن نيكولو ساباتيني ليس بالرجل الذي يفرض نفسه على المرأة.

ما الذي أراد أن يبرهنه، إذاً؟ بانه يستطيع السيطرة عليها؟ على أية حال، فقد فعل ذلك الآن، وما البرهان الأعظم الذي يريده عدا عن اقتناعها من أن ترتمي بين أحضانه؟ وبأنه من الصعب مقاومته؟ لكنها قاومته فعلاً. فعلت ذلك!

خفق قلبها بشدة. ماذا كان يفعل؟ فقد كانت قبلاته في البداية ناعمة، وهادئة، لكنها الآن أصبحت عنيفة وملحة.

كان شيء ما يتحرك عميقاً في داخلها. يتحرك مثل ضباب فرمونت عند الصباح فوق السهول، مثل... مثل...

«كارولين.» همس نيكولو باسمها ومن دون أن تدري، همست باسمه في المقابل، ثم أخذت ترتعش ليس غضباً ولا استياءً بل بشيء من العاطفة العميقة.

تمتم بكلمات ايطالية، كلمات لم تستطع فك رموزها، ثم

حرر رسغها من قبضته، وسحبها بين ذراعيه، وضمها بقوة نحو صدره ليقبلها.

أطلقت كارولين صوتاً عبّر عن ألم، عندما أبعدها عنه.

«كارولين.»

كان وجهها متورد احمراراً عندما فتحت عينيها.

كان يراقبها بعينين ملتهبتين، ليس بعاطفة فحسب بل برضاً بارد. قال بهدوء شديد: «أرأيت كيف يكون الأمر. فلو رغبت في الحصول عليك، لكنت فعلت تماماً كما فعلت الآن.» ثم ابتسم ولامست أصابعه خديها. «وكان القرار قد صدر مني لا منك بأن تمضي ليلة ممتعة برفقتي.»

«أنت... أنت...» كانت ردة فعل كارولين سريعة. وأرادت أن تصفعه لكن نيكولو أمسك بيدها وشدها إلى جانبه.

«ربما علينا أن نتباحث بالأشياء والأنظمة التي ستسير وقتنا غير المناسب الذي سنمضيه معاً إلى أن أعود بك إلى ميلانو غداً.»

«ستعود بي إلى ميلانو حالاً، أتسمع ما قلت؟ فلا نية لي من...»

كرّر بحدة: «غداً. بعد ان تقابلي الأميرة، وبعد أن تقضي معها وقتاً يمنحها بعض السعادة. هل هذا مفهوم؟»

«من تظن نفسك؟»

«طرحت عليّ هذا السؤال قبلاً، وقد أخبرتك بمن أكون.» وظهرت المتعة واضحة في وجهه: «مع ذلك، أعتقد الآن انه من الأفضل لو تناديني باسمي نيكولو، مفهوم؟ هذا بالاضافة إلى ان جدتي ستتوقع قليلاً من الرسميات والشكليات، عندما تكونين في بيتي.»

«لن أذهب إلى روما! من الأفضل أن تفهم ذلك جيداً! كما من الأفضل لك أيضاً أن تحرر رسغي من قبضتك الموجعة. أيها اللعين...»

«أرى انك نسيت النظام الأول. لقد سبق وذكرت لك أن تمتنعي عن فظاظتك في الكلام. ربما يرى بعض الرجال الآخرين ان في كلامك هذا اثارة أكبر، خصوصاً عندما يصدر من امرأة جمالها يوازي جمال آلهة الأغريق، لكن هذا لا يلائمني أبداً.» ونظر عميقاً في عينيها. «سوف تتعبين جهدك كي تعتقد جدتي بأنك سعيدة لرؤيتها مرة ثانية.»

«سافعل ذلك، فقط ان لم يعنِ ذلك اضطراري لرؤيتك أنت، كذلك!» وسحبت كارولين يدها بقوة ووضعتها فوق صدرها لكنه عاد والتقطها بسهولة، ليسجنها في يده. قالت له: «هل لديك أدنى فكرة كم أكرهك؟»

«أؤكد لك أن الذي تحملينه لي في أعماق نفسك يرد لك أكثر من أعماقي، ان كان يبهجك سماع ذلك.»

قالت بعنف شديد: «أنا لا أفهمك أبداً. ان كنت تكرهني لهذه الدرجة، لماذا تصر إذاً على اصطحابي عنوة إلى روما؟ وهل من الأهمية حقاً ان أسير على خطاك؟»

«قلت لك، أقوم بذلك فقط من أجل الأميرة. اكراماً لها فقط، سوف تبتسمين لها وتتظاهرين بأنك آنسة عذبة، ساحرة وبغباء شديد سوف تصدق ما تراه فيك. على أية حال، أنا لا أطلب منك الكثير. لأنك بارعة في التمثيل، فقد سبق ورأيتك فوق خشبة المسرح، تتظاهرين بذلك السحر وتلك العذوبة بينما أنت في الحقيقة جامدة وفاقدة الاحساس مثل

عواصف الشتاء المثلجة. أو انك تلعبين دور الملكة الجليدية فقط من أجل أن تتصيدي الرجال؟»

عادت كارولين تحرر يدها منه. وأخذت تحف رسغها المتألم: «لن تعرف أبداً. لأنه بقدر ما يعني لي الأمر، وان لم يتح لي رؤيتك مرة ثانية...»

«نعم، هذا جيد بالنسبة إليّ. ساعيدك غداً إلى ميلانو، وان حالفنا الحظ، لا يرى أحدنا الآخر مرة أخرى. لكن عليك أولاً، أن تقومي ما في وسعك كي تسعدي سيدة عجوز تعاني من التعب والارهاق. هل هذا واضح بما فيه الكفاية؟»

حدقت في وجهه لتقول: «وهل أملك خياراً آخر؟»

ابتسم لها ببرودة شديدة: «أرى انني أوضحت الأمر لك بالفعل، وبدأ أحدنا يفهم الآخر.»

«لكن الذي أشك فيه فقط هو ان تكون جدتك قد أرسلتك مع تعليمات مشددة، في ان تختطفني وتسحبني إلى روما بأي ثمن.»

سدّد إليها نظرة سريعة: «لن تقولي لها هذا.»

سأقول ما يطيب لي قوله، فكرت كارولين في قرارة نفسها. لكنها عادت وتنكرت تلك السيدة العجوز الضعيفة بشعرها الأبيض التي التقت بها الليلة الماضية، وتنهدت بعمق.

«لا. لن أقول شيئاً. لكن من دون أي اعتبار لك بالتأكيد.»

«نعم.» قالها وهو يميل إلى الأمام ويفتح الزجاج الذي يفصلهما عن السائق. فقد كانا يقتربان من المطار.

«الذي يتوجب عليّ اقراره، بأن اذعانك للأمر يدهشني. فقد كنت أستعد لأن أقول للأميرة انك لم تستطيعي القيام بزيارتها.»

«نعم. انني أكيدة من ذلك. كما انني متأكدة بالفعل، من أنك تستعد لأن تقول لها إن ذلك لا يهمني سواء كانت مريضة أم لا.»

بان التعجب على وجه نيكولو. «لقد سبق وقلت...»

«انني أدهشك. حسناً، انك لم تدهشني، لم تدهشني البتة. انك تماماً كما تصور لي.»

ضحك سريعاً وقال: «لا اعتبر ان هذا يعني مديحاً.»

قالت بصلابة: «لقد اعتبرته على نحو صحيح.» وخيم صمت قليل، ثم نظرت إليه لتتابع: «لم تفصح عن كم من الوقت ستستغرق هذه الرحلة.»

ردّ من دون مبالاة بمشاعرها: «الذي تريدين معرفته فعلاً هو كم من الوقت عليك أن تلعبي دور السيدة. فلا تقلقي يا كارولين. سوف تكونين في شقتك غداً وقبل موعد الغداء.»

فكرت بالتصوير المقرر في صباح اليوم التالي عند باولو، وهو دار أزياء جديد نسبياً، فهزت رأسها لتقول: «يجب أن أكون في شقتي هذه الليلة. فلدي ارتباط مع...»

«لكن، هذا مستحيل!»

«لا شيء مستحيل. ألم تثبت ذلك طوال الصباح؟»

«ورغم ذلك، لن تعودي إلى ميلانو قبل يوم غد.»

قالت كارولين بغضب وهي تدير رأسها لتواجهه: «تجعلني أبدو وكأنني طرد بريدي ترسله متى شئت. هذا ما تظنه أنت بالفعل! فأنا عندي قدرة وافية في أن أعود بمفردي، شكراً لك.» ثم أبعدت وجهها عنه، وثنت يديها، وأخذت تحدق إلى الخارج: «من المؤكد ان هناك رحلة إلى ميلانو هذه الليلة؟»

قطب نيكولو حاجبيه: «لقد أحضرتك من ميلانو. وسوف أعيدك اليها بنفسي.»

قالت بسخرية: «انه فعلاً عمل نبيل وبشكل ملحوظ. لكن عليّ ان أعود الليلة. لقد قلت لك، ان لدي ارتباط مع باولو، ولن أتحمل خسارة ذلك.»

«ألا تخجلين من نفسك؟ اسمعي، لا رغبة لي في سماع تفاصيل ذلك اللقاء، أستطيع أن أؤكد لك هذا.»

فغرت كارولين فاها بدهشة: «أي لقاء تتكلم عنه؟»

«وان كنت تخشين أن يدري ذلك الرجل بأمري، أو أن يعرف من انك أمضيت ليلتك معي...»

«من المؤكد انني لن أمضي ليلتي معك!»

قال نيكولو بتوتر: «يا له من تحليل عظيم في الكلام. الذي أشرت إليه لا داعي لأن تقلقي منه فلن يعرف حبيبك برحلتنا الصغيرة هذه.»

«اسمع يا هذا! ان باولو ليس حبيبي. انني أتكلم عن ارتباط عمل...»

«لقد سبق وقلت لك ان التفاصيل لا تهمني، يا كارولين.» وكان صوته بارداً وحاداً وتناول سماعة الهاتف من مكانها وقدمها لها. «اتصلي بباولو واخبريه بأن هناك تعديل في الخطة، وبانك لن تتمكني من أن توافيه هذه الليلة.»

حدقت كارولين في وجهه مندهشة. «أعرف لماذا جدتك تعاني من المرض، ذلك لأن عليها أن تجد الطريقة المثلى في الأخذ والرد معك يوماً بعد يوم.»

«هذا ممتع جداً. على أية حال، لقد كان هذا اختيارك بالذات. هيا اتصلي به، أو دعيه ينسحب، كما تفضلين.»

«الأصح أن تقول ان أفي بوعدي معه، لا أن ينسحب. فإن أردت أن تستعمل الاصطلاحات الاميركية عندما تعرض طلباتك، فعلى الأقل حاول بطريقة أخرى. على أية حال، لا أستطيع الاتصال به، لأنني لا أحمل رقم هاتفه.»

قال نيكولو ببرودة: «اسألي دائرة الاستعلامات. وانني أقول في انك ستندهشين عندما تعرفين أن ايطاليا بلد متحضر جداً. وستجدين دليلاً من المساعدين يساعدك فيما ترغبين.»

«لن يساعدني ذلك الدليل من المساعدين. لأنني لا أعرف عنوان باولو.»

«كل ما تحتاجينه هو اسم عائلته.»

عرفت بأنها اللحظة المناسبة لتوضح الأمور، ولتشرح بأن باولو اسم شركة ليس إلا، وليس رجلاً.

لكنها أيضاً فرصة مناسبة كي تجعل من نيكولو ساباتيني غبياً جداً.

قالت بعذوبة: «في الحقيقة. لا فكرة لديّ عن اسم عائلته.»

التفت نيكولو ليحدق بها. وقال بتحفظ شديد: «فهمت. لديك ارتباط...»

«موعد عمل. نعم. و...»

«مع رجل. ومع ذلك، لا تعرفين اسمه بالكامل.» وتمتم كلمات بلغته الايطالية حتى وان لم تدرك كارولين معناها، فالمعنى والمراد منها كان واضحاً بما فيه الكفاية.

قالت وهي ترفع يدها وتتفحص أظافرها بعناية: «لا أخشى من انني لا أعرف ذلك. فكما ترى، انني لم أحدد الموعد بنفسي. لأن سيلفيو اهتم بالأمر بنفسه.»

«سيلفيو. يقوم بهكذا ارتباطات من أجل مصلحتك؟»

أسندت رأسها فوق جلد المقعد الفاخر لتقول غير مبالية: «بالتأكيد. وعلى ما أعتقد يجب أن أتدبر ذلك بنفسي، لكن...»

«الا يحرجك أن تتكلمي بهذه البساطة؟»

«ولِمَ الحرج؟ فالعمل هو العمل. كما انني قصدت ايطاليا من أجل العمل فيها. فلماذا عليّ ان أقوم بأشياء تخفف من امكانية كسب المال.»

قال بعد لحظة تفكير، وبصوت قريب من الهمس: «مع ذلك، وعندما ظننت ليلة البارحة بأنني مهتم بك... فقد أوضحت جيداً بأنك غير مهتمة بي على الاطلاق.»

«بتاتاً. لأنني أتحفظ باختياري الأفضل وهو مع من أمضي وقتي معه.»

«ولست بالرجل الذي تعنينه.»

نظرت إليه كارولين بطريقة مباشرة. وقالت ترافقها ابتسامة مهذبة: «لا. من المؤكد انك لست ذاك الرجل.»

لم يقل شيئاً، كما لم يفعل شيئاً، وظنت للحظات قليلة من انها أسكتته أخيراً. لكنه قبض فجأة على سماعة الهاتف وطلب رقماً. مالت السيارة بهما في تلك اللحظة ومال نيكولو بالتالي نحوها، وكانت عيناه تلتهبان بغضب شديد مما جعلها تنكمش في زاوية مكانها.

«اسمعي جيداً، يا سينيوريتا. لأنه لا نية لي في أن أكرره في فرصة أخرى. انني ذاهب بك إلى بيتي، وإلى صميم عائلتي. فلو لم يكن هذا من أجل اهتمامي بجدتي، لكنت دفعت بك خارج السيارة الآن، وتركتك تنتظرين إلى جانب

الطريق إلى أن يشفق عليك أحدهم ويتكفل في العودة بك إلى ميلانو. لكنني قطعت وعداً على الأميرة، وقلت لها انني سأسألك المجيء معي، وقد وافقت ولا أدري لماذا. ولذلك، وبقدر ما أنت تحت حمايتي....»

قالت بجدية: «انني هنا لأنني اخترت ذلك بنفسي. في استطاعتي الاهتمام بنفسي. وعندما تفهم ذلك جيداً، أعتقد أننا سنتفق عندها على الرأي. أما بالنسبة لقولك انني تحت حمايتك....» وردت برأسها إلى الوراء بصورة مفاجئة. «ان كان هذا يعني ان أكون تحت حمايتك، أود أن أعرف جيداً، ماذا قد يحدث ان لم أكن فعلاً؟»

نظر نيكولو للحظة إليها. ثم منحها ابتسامة باردة للغاية، مما جعل الدم يغلي في عروقها.

وقال بلطف شديد: «حاولي أن لا تطيعينني. وربما عندها تعرفين ما قد يحدث.»

مال إلى الأمام ونقر بيده على الزجاج الفاصل بينه وبين السائق. فانتقلت السيارة بسرعة فوق الطريق. ومضى على كارولين لحظات طويلة قبل أن تهدأ وتتذكر بأن الفخ الذي أعدته لم يكتب له النجاح. فما زال نيكولو ساباتيني يعتقد بانها تزيد مدخولها بعلاقاتها مع الرجال.

حدقت به سريعاً من بين أهدابها الطويلة. كان وجهه قاسياً وخالياً من أي تعبير لطيف، عدا رعشة خفيفة حول فمه، وكان يبدو وكأنه منحوتاً من الحجر.

كان في مظهره على هذا النحو، الشيء الكبير من الغباء والسخافة الشديدة. فما الهدف من ذلك؟ فبعد هذا اليوم... ثم صمتت في نفسها بألم، بعد هذه الليلة... لن تراه أبداً في كل

الأحوال. وأحست بأن السيارة توقفت، خارج حاجز مؤلف من سلسلة حديدية. ورأت طائرة صغيرة تنتظر مثل طائر فضي أنيق قرب موقع الاقلاع.

لم تتفوه كارولين بكلمة. فلتدع ذلك اللئيم يظن ما شاء له من الظن.

الفصل الخامس

كانت الطائرة مريحة جداً، حتى انها بدت أكثر رفاهية من سيارة المرسيدس، وكانت ملكاً لنيكولو. قرأت «ساباتيني» وقد كتبت بماء الذهب على جسم الطائرة، ورسم فوق الاسم رسماً لأسد ودرع. وظهر في داخل الطائرة نفس ما رأته على جسمها من الخارج. وفوق المقاعد الجلدية المريحة، وفي قمرة قائد الطائرة ومرافقه، حتى على فناجين القهوة التي احضرت بعد لحظات من تحليق الطائرة في الجو.

رفضت كارولين القهوة لكنها وافقت على مجلة عندما عرضت عليها. ليس لتقرأها فحسب، بل لتدفن وجهها بين صفحاتها وتتجنب رؤية وجه نيكولو الساكن والمتحجر الملامح. كانت الرحلة قصيرة، تعدّت الساعة ببضع دقائق. وقفا بعد ذلك فوق طريق معبد في مطار سيامبينو.

سألت بصلابة: «ماذا الآن؟»

كانت يد نيكولو قريبة من مرفقها وهو لا يشعر بذلك. تكلم أخيراً: «الآن. سننتقل إلى السيارة.»

كان عليها أن تهرول لتلحق به وتحاذيه مع خطواته الطويلة، وطريقة مشيته التي لا تحتمل، وكان هذا الشيء يبدو غريباً عليها لأنها كانت عادة بطيئة بخطوتها. تمهل في مشيتك، هذا ما كانت تفكر فيه، وكان كعب حذاءها العالي يضرب الرصيف ضرباً على نحو ايقاعي. لكنها لم

تقل ما فكرت فيه. فمهما يكن الحال، فهي لن تطلب الرحمة من نيكولو. على أية حال، كم تبعد سيارة المرسيدس الأخرى؟ فمن المؤكد أن هناك واحدة وهنا أيضاً، سيارة توأم للأخرى التي في ميلانو.

ابطأت خطواته عندما دخلا قطعة ارض تعج بالسيارات. اشار لها أن تلحق به إلى صفٍ من السيارات، ثم توقف فجأة. قالت متعجبة: «ماذا هناك؟ هل نسي سائقك أن ينتظرك في المكان المتفق عليه؟»

قطب نيكولو حاجبيه وهو يمد يده ليسحب علاقة مفاتيح من جيب سرواله. «كم هو حاد لسانك يا كارولين.» ودفع بها قليلاً نحو سيارة سوداء من نوع الفيراري. «هيا، ادخلي. بقدر ما اسرع بك إلى زيارة جدتي، تنتهي هذه المهمة بوقت اسرع.»

نظرت كارولين إلى السيارة بإعجاب. فيراري؟ نعم، إنها كذلك. وهذا ما كانت تفكر فيه وهي تجلس في مقعد السيارة وتضع ساقيها الطويلتين واحدة فوق الأخرى. هذا ما تصورته قبلا، سيارة فيراري.

حاولت أن ترتاح في مقعدها. لا بد أن الحياة التي يحياها نيكولو صارمة إلى حد ما. فلا عجب ان لم يستطع أن يفهم عن الذي يعمل ويجهد في هذه الحياة من أجل حياة تؤمن له القوت. فرجل كهذا لا يستيقظ ابداً عند الفجر الباكر، أو أنه يسرع لتاديه اعماله، حين يعود بعد ساعات طويلة كئيباً ومنهوك القوى.

لكن، عليه في صباح يوم الغد أن يتذوق طعم الحقيقة. فقد وعدها بأن يعود بها إلى ميلانو في الصباح. فهي تود

أن ترى فقط تغيير ملامح وجهه عندما تقول له ان الصباح عندها يبدأ في تمام الساعة السادسة. فالأمير المعظم نيكولو ساباتيني قد لا يتلذذ ببدء نهاره في ساعة مبكرة. ابتسمت وهي تفكر بكل هذا وشعرت براحة كبيرة في نفسها وكأنها بذلك ترضي كبرياءها كامرأة.

الأمير ساباتيني. رفعت كارولين سبابة يدها وخبطت بها فمها. إنها ردة فعل نفسية، لأنها تكره أن تناديه على هذا النحو، ليس فقط لأنها أميركية تحتقر هذه التفاهات التي غيبها الزمن ومحاها، بل لأن نيكولو يسر بأن ينادى بذاك اللقب.

إنه لن يسمعها تناديه بذلك اللقب مرة أخرى، لأنه اقترح عليها أن تستعمل اسمه الأول وهذا ما ستفعله، حتى لو لم يكن فيها مودة غير مستحبة. وكان أي شيء افضل من أن تختنق في قول يا سمو الأمير.

فكرت باسمه، نيكولو، وكأنها تتذوق طعمه على لسانها. فبالرغم من أنها تكره الاقرار به، كان اسماً جميلاً، فيه الرجولة الكاملة والثقة، لطيفاً وممتعاً على الأذن كذلك. لكن كلمة اللطف لم تكن الكلمة الصحيحة لوصف الرجل نفسه. ورمقته كارولين بنظرة سريعة. وكأنها تؤكد ما فكرت فيه.

«يمكنني أن اقرأ ما يدور في خلدك، يا كارولين.»

توردت خدا كارولين، ونظرت إليه. كان محور انتباهه كله يصب على الطريق، لكن هناك ابتسامة باردة ترتسم فوق شفتيه. «إنك تحسبين الدقائق والساعات التي سوف تمضينها برفقتي.»

تنفست قليلاً قبل أن تقول: «آه، فعلاً لقد فعلت ذلك. كما

أنني اشعر وكأنها ابد الدهر.» وحولت انتباهها لأول مرة نحو الطريق. وقرأت لائحة تشير، فيا آبيا نوفو. فشعرت بخيبة أمل كبيرة. «إن هذا طريق عام.» قالت ذلك وكأنها تكلم نفسها.

نظر نيكولو إليها وقال بجفاف واضح: «بالفعل. ما الذي كنت تتوقعينه؟»

جفلت كارولين: «عنيت فقط...» ثم هزت رأسها لتقول: «لا شيء.»

«هل توقعت ممر قذر، أو ربما فندق ما؟» وعاد لينظر إليها، وكانت تعابير وجهه أكثر برودة من ذي قبل. «لماذا يظن الأميركيون دائماً أن بلادهم هي فقط القسم المتحضر في العالم؟»

قالت باندفاع شديدة: «الذي توقعته. انه قد يظهر الايطاليون بعض الإحترام والتبجيل لماضيهم العريق. لكنني متأكدة بأنه كان أهم بكثير لو لم تمحوا التاريخ ورصفتم وشيدتم هذا الطريق العام، من أن تقلقوا حول الاحتفاظ بأي شيء فوق طريق آبيا!»

«فوق طريق آبيا؟ لكنها ليست...»

«لا. ليس بعد اليوم، ابداً!»

نظر إليها نيكولو: «ما الذي تعرفينه عن فيا آبيا؟»

قالت بنبرة باردة: «أكثر بكثير مما تتصور. وهذا بالرغم من انني اميركية الأصل. وانثى. وكذلك عارضة أزياء.»

«قصدت فقط...»

قالت بغضب شديد: «أعرف تماماً ما اردت قصده، انكم جميعكم متساوون. وتظنون فقط لأن المرأة تملك الجاذبية...»

ضحك بلطف: «ولكن انت لا تملكين الجاذبية، يا كارولين... ولكنك جميلة.»

توردت خجلاً: «الذي اردت توضيحه هو...»

«بأنني مذنب في اصدار احكام بالجملة حول نساء على شاكلتك. أليس كذلك؟»

هزت كارولين برأسها موافقة. «نعم.»

ارتسمت ابتسامة عند طرف فمه: «آه، يا سينيوريتا. ولكننا نتساوى بالذنب.»

«لست كذلك!»

اتسعت ابتسامته: «كلكن متشابهات.» قالها وهو يقلد ليس صوتها فقط بل نبرة الغضب التي ختمت بها كلامها: «تعتقدن، عندما تتحلى المرأة بالجاذبية...»

«ليس كما تظن مطلقاً! الرجال امثالك...»

انجرفت الكلمات من أعماق نفسها. الرجال امثالك لا يمنحون المرأة فرصة حتى تثبت نفسها حقيقة. لكن هل يهم ذلك؟ يستطيع نيكولو ساباتيني أن يظن بما يحلو له، فهي لن تراه ابداً بعد هذا اليوم ولن تجتمع به.

قال وكأنه يحثها على متابعة ما ارادت قوله: «نعم؟»

هزت كارولين رأسها: «لا شيء.» وعادت تستوي في مقعدها لتنظر امامها. «كم يطول بنا الوقت كي نصل إلى روما، على أية حال؟»

ضحك بلطف وهو يترك الطريق العام: «إلى روما نفسها؟ نكاد نصل تقريباً. تحلي بالصبر ومتعي نظرك بجمال الطبيعة.»

لم تكن تريد أن تلبي رغبته. لكن كانت الطريق التي

اتخذاها الآن مختلفة، كانت اضيق بكثير، واصطف على جانبيها اشجار من السرو والصنوبر. وخفف نيكولو من سرعة السيارة، فاستطاعت أن ترى بأنهما كانا يعبران تماثيل تذكارية نحتت من الحجر والمرمر.

فكرت في أنها قد تكون خرائب، ولمعت الفكرة في رأسها بحماس. لقد كانت هذه خرائب، ولا أحد يعلم كم مر من الأجيال وهي تقف على جانبي هذا الطريق ـ هذه الطريق المعبدة من حجارة قديمة العهد...

«كانت هذه طريق آبيا.»

قال نيكولو بهدوء: «نعم.»

التفتت كارولين نحوه، ولم تنتبه في البداية بأنها تكلمت بصوت عال: «لكن الإشارة، التي على الطريق الأخرى...»

أوما برأسه: «إنها فيا آبيا أني آبيا الجديدة، نعم. لكننا نحن الايطاليون لسنا اغبياء لهذه الدرجة كي ندفن ماضينا العريق وننساه. اترغبين في التوقف قليلاً؟»

ارادت أن تقول لا، وان تتابع معاملته بنفس اللامبالاة التي مارستها لغاية الآن. لكن كيف تستطيع ذلك، ولقد تاقت نفسها بأن تشعر بالجمال السرمدي من هذا المكان؟

قالت وهي تحاول بقدر المستطاع أن تظهر عدم المبالاة: «حسناً.»

توقف إلى جانب الطريق وفتحت باب السيارة وترجلت منها. كان المكان هادئاً جداً، عدا صوت همسات الريح، وكأنهما وحيدان على سطح الأرض. ورأت أمامها حجر على شكل اسطواني وخرائب من حجر القرميد مع اعمدة منحوتة.

سألت كارولين بلطف: «ما الذي هناك؟»

«إنها مقبرة سيسيليا متيلا، سيدة نبيلة من نبيلات روما.» قال نيكولو وهو يتقدم إلى الأمام، وكارولين إلى جانبه: «لقد دفنت في هذا المكان في القرن الأخير ما قبل المسيح.»

«لكن لِمَ هنا، وخارج اسوار المدينة؟ هل قامت بعمل سيىء؟»

ابتسم لها: «لم يدفن احد داخل روما في العصور الغابرة، يا كارولين. كان ذلك... كيف افسره لك؟ كان ذلك لأسباب تتعلق بالصحة العامة. لذلك ترين معظم الخرائب الجميلة في فيا آبيا أنتيكا هي كلها مدافن.»

«اتعني بأنها، سراديب تحت الأرض للموتى؟»

«نعم. لكن هناك أنواع أخرى من الخرائب على فيا، كذلك.» وتوقف ليشير إلى شيء آخر: «هناك مكان قديم جداً وله روعته الخاصة في مكان غير هذا، اتودين أن تلقي نظرة عليه؟»

لم تتردد هذه المرة. وقالت بحماس: «نعم. ارجوك.»

عادا إلى السيارة وانطلق ببطء في طريق جانبية وضيقة، إلى أن وصلا اخيراً وأشار نيكولو قائلاً: «انها هناك.»

اطفأ المحرك وخيم عليهما صمت مهيب. كان هناك اعمدة أيونية تهدمت لكنها كثيرة ترتفع بشموخ نحو السماء وبعض الأعمدة الأخرى المتفرقة فوق العشب هنا وهناك، وشعرت كارولين بدهشة لجمال وروعة هذا المكان.

«اتودين الاقتراب اكثر؟» وافقت كارولين وهي تميل برأسها، وترجل نيكولو من السيارة وساعدها على الخروج. «اننا فوق الطريق التي تعود لأجيال كثيرة

مضت، إنه المكان المقدس. وكان معبداً لديانا، آلهة...»

«آلهة القمر.»

«نعم. هذا صحيح. كانت مغرمة بـ...»

«انديميون. فقد هبطت من الأليمبوس وقبلته أثناء نومه. وقرأت رقية عليه، كي ينام إلى الأبد ولا يشيخ ابداً.»

ظهرت ابتسامة خفيفة حول فمه. «وكيف عرفت بكل ذلك؟»

توردت وجنتا كارولين وهي تقول: «ولما لا اعرف ذلك؟ ألأنك تظن أنك الوحيد الذي على معرفة وثيقة حول...»

«الذي قصدته فقط بأن القليل من الناس يعرف شيئاً حول قصص الآلهة في ايامنا هذه.»

وترددت قليلاً: «حسناً، لقد سمعت ببعض الأساطير.»

«في ما وراء الكواليس، في دار فابيانو لعرض الأزياء؟»

كانت على وشك أن تهب غاضبة، لكنها نظرت إلى ابتسامته التي تشع بروح مرحة. فهونت من غضبها لتقول: «لا، ليس تماماً. كانت جدتي مولعة بتلك الاساطير والخرافات. وكانت عندما تضعني في سريري كل ليلة، تسرد عليّ الحكايات المدهشة والعجيبة.»

«آه. لقد عاشت معك، إذاً؟»

«لقد ربتني. هذا هو السبب...»

غرقت كارولين بالصمت لتقول في نفسها. من أجل ذلك وافقت على زيارة الأميرة، وهذا ما كانت تقوله، لكن ما شأنه هو بذلك؟ إن لها حياتها الخاصة وهو لا علاقة له بها على الإطلاق.

كانت الرياح تصفر بين تلك الخرائب التي تقف متحدية الزمن، فشعرت كارولين بقشعريرة باردة تسري في

عروقها. وتمنت فجأة، لو أنها لم توافق على مجيئها إلى روما، وتمنت ايضاً...

«اتشعرين بالبرد؟»

اجفلت قليلاً وقالت: «البرد؟»

«نعم. فأنت ترتجفين.» ولف نيكولو ذراعه حولها. «هيا، دعيني اقف درعاً يحميك من الرياح.»

قالت بسرعة: «هذا ليس من الضروري.»

«لكنني لا اود أن اعيدك إلى ميلانو وأنت مصابة بذات الرئة. وسوف يحاسبني سيلفيو على المحارم من أجل انفك الذي يرشح وعلى حبوب الأسبرين من أجل الحمى التي ستحل بك.» وابتسم ليظهر لها أنه كان يمازحها فقط، ودار بها إلى حيث تشرق الشمس. «انظري، الآن. هذا المبنى الروماني القديم لسان سابستيانو هناك في الأمام.» وحولها لتقف امامه تماماً، ويداه تستقران فوق كتفيها. «وهناك، تمبيو دي رومولو - أو مدفن رومولوس - اترين ذلك؟» وشعرت بالمتعة ترافق صوته. «هذا المكان المفضل على قلبي في روما، ويبدأ من هذا المكان إلى بورتا آبيا حيث بوابة المدينة القديمة. فإن اغمضت عينيك، تستطيعين أن تتصوري كيف كانت المدينة من اجيال عديدة مضت...»

أصغت كارولين بابتهاج، في البداية، بينما كان نيكولو يتكلم عن حضارة روما القديمة. لكن بعدها صعب عليها أن تركز أو تتابع ما يقوله. لأنها شعرت اكثر فاكثر بالطريقة التي كان يمسك بها. واحست براحة هائلة بالطريقة التي كان يطوقها بها. ولم تعد تسمع شيئاً من الذي كان يتحدث عنه، عن السراديب القديمة التي كان الرومان يدفنوا اموتهم

www.elromancia.com

فيها، دور العبادة، والخرائب التي اصبحت اليوم آثارات عظيمة تمجد العالم القديم لروما ـ كل ذلك وهي ضائعة لا تفهم شيئاً مما كان يقوله.

هذا لا يعني من أنها لم تكن مصغية إليه. بل على العكس، إنها تصغي وتنتبه بكل حواسها المتوترة. فقد كان عليها أن لا تشعر برائحة عطره، أو بلمسها قماش سترته لخدها عندما دارت برأسها نحو ما كان يشير إليه، ومدى صوته العميق عندما كان يتحدث عن روما التي يحبها، وكم كان صوته حنوناً ودافئاً، وكأنه يتكلم عن المرأة التي يحب...

وكأنما قلب كارولين انبأها بشيء خطر. فتحررت من يديه اللتين كانتا تمسكان بها وابتعدت. «ألا تعتقد أنه في إمكاننا أن نتوقف عن هذا الآن ونسرع بالذهاب؟»

نظر نيكولو إليها نظرة سطحية. «اعتذر منك. لم اقصد أن اجلب الملل إلى نفسك. ما عليك سوى أن تشيري بأنك تودين العودة إلى السيارة...»

«الذي اتمناه هو ان نسرع بالذي جئت من أجله والهدف من وراء زيارتي هذه بأسرع ما يمكن.»

قال ببرودة شديدة: «لك عهداً مني. فلسوف ادخلك إلى قصري ثم اخرجك منه بأسرع ما يمكن.»

«قصرك؟» كررت ما قاله بعد أن اغلق باب السيارة من ورائها.

«إنه قصر عائلة ساباتيني.» واتسعت ابتسامته والسيارة تنطلق من جديد. «هل كنت تتمنين بأن أكون أحد هؤلاء الأغبياء الذين يطلقون على انفسهم ألقاباً لا معنى لها؟ إذاً، قد أكون خيبت امالك، يا كارولين. اسم عائلة ساباتيني عريق وقديم جداً. كما أنه محترم جداً.»

اسندت ظهرها إلى الوراء وهي تغمض عينيها وتتنهد قليلاً. «حسناً، لنأمل أن تبعد زيارتي هذه، الثرثرة عن عائلتك المحترمة.»

كان القصر رائعاً يسلب اللب. وكان مؤلفاً من ثلاث طبقات من الحجر الذي يستعمل في رصف الشوارع، شيدت بنظام واتقان. كما أن الباب الخارجي المقوّس، يحمل إشارة الأسد والدرع كما في طائرة نيكولو الخاصة، وفتح ردهة مقفلة على الطريقة الرومانية. القت كارولين نظرة خاطفة وسريعة على ارضية المكان المرمرية والتي امتدت إلى ما لا نهاية، لكنه كان السقف الذي سلب عقلها. فقد رفعت رأسها وهي تحدق به بذهول كبير، ورأت أنه من آلهة الأغريق صوّر على شكل فرس يتنقل بين حدائق من الأزهار المختلفة.

«حسناً؟»

حولت نظرها عن التصوير الرائع ونظرت إلى نيكولو. وكان قد مرّ من جانبها ووقف عند أول درجات السلم الطويل، ويديه حول خاصرته. لأنه كان يراقب نظرتها باستياء.

«إن كان عليك أن تنتهي من هذه الزيارة بسرعة، فعليّ في هذه الحال أن ارشدك إلى جدتي بسرعة.»

شدت كارولين من عزيمتها وقالت: «طبعاً.»

تابعت خطواته إلى الطابق الثالث ومن ثم إلى رواق طويل نحو باب مغلق. طرق نيكولو الباب، ثم فتحه ودخلا غرفة مضيئة تشع اشراقاً وبهجة. «سينيورا بريسيا؟»

«أجل يا سمو الأمير.» وهرعت سيدة نحوهما وهي تتجلى بثوب ابيض اللون. وبدأت تتكلم بسرعة بالغة، فما

كان من نيكولو إلا أن رفع يده وكأنه يشير إليها أن تتوقف عن الكلام.

«ارجو أن تتكلمي باللغة الإنكليزية، سينيورا.» ثم أشار إلى كارولين: «فالسينيوريتا لا تتكلم لغتنا.»

«كنت أقول ان الأميرة في حالة جيدة، يا صاحب السعادة. فضغط الدم جيد...»

«آه،» كان الصوت الآتي من الغرفة المتصلة واهياً لكنه واضحاً. «توقفي يا ايما عن اصدار قرارات طبية. فانا بخير. هل هذا أنت يا نيكولو، هل هذه أنتِ يا حبيبة؟ هل احضرتها معك؟ كارولين؟ تعالي ودعيني أرى وجهك البهي.»

كانت الأميرة مستلقية على سرير فرش بأفخر انواع القماش. وكانت تبتسم، وهي تمد ذراعيها نحو كارولين. وكانت تجمع شعرها الأبيض الفضي بعقدة زرقاء كلون قماش السرير، وكان خداها موردان قليلاً.

فكرت كارولين عندما وقعت عيناها عليها، بأنها على أحسن ما يرام. لكنها عندما اقتربت منها، استطاعت أن ترى أن اللون المتورد هو ناتج عن حمى تعاني منها وان اليدين اللتين امتدتا إليها ترحيباً بها كانتا ترتعشان.

قالت الأميرة ساباتيني ترافقها ضحكة صغيرة: «لقد جئت فعلاً.»

ابتسمت كارولين وهي تشبك يديها بيدي الأميرة. «طبعاً. فقد سرني أن تتاح لي الفرصة في رؤيتك مرة اخرى، أيتها الأميرة ساباتيني.»

تغير وجه السيدة العجوز قليلاً. «يا له من تعبير طويل، ألا ترين ذلك؟ أرجوك نادني باسمي المجرد، آنا.»

«آه، ولكن...»

«أرجوك، فهذا يزيد السرور في نفسي، يا طفلتي العزيزة.»

اتسعت ابتسامة كارولين: «وسيسرني كثيراً أيضاً.»

نظرت الأميرة إلى نيكولو الذي عبر الغرفة ووقف إلى جانب كارولين «حسناً، ما قولك الآن يا نيكولو؟ لقد اصريت في قولك من أن اريانا لن تستطيع المجيء بسبب انهماكها في العمل، لكنها ها قد حضرت. ارأيت كم أنت مخطىء في شانها؟»

قال بلطف: «نونا. إنها ليست اريانا. فهي كارولين.»

قالت ضاحكة: «حسناً، هي كذلك بالطبع. إنها زلة لسان مني، هذا كل شيء.» وربتت على جانب السرير: «اجلسي يا عزيزتي.»

«يجب ألا ترهقي نفسك، يا نونا. وتذكري ارشادات الطبيب.»

«الطبيب، آه! ان تمضية ساعة من الزمن مع هذه الفتاة الرائعة ستفيدني أكثر من حبوب الأدوية! هيا، يا نيكولو. قم بأي عمل مفيد عوضاً من أن تثرثر فيما لا نفع منه. سنكون على احسن حال. أليس كذلك يا اريانا؟»

«نونا...»

نظرت كارولين إلى نيكولو وهي تهز رأسها: «سنكون على احسن حال، بالفعل.»

أومأ برأسه، بعد لحظات من التردد. «حسناً جداً. ساجهز غرفة نومك. وعندما تجهزين، ما عليك سوى أن تقرعي الجرس وسوف ترشدك إليها إحدى الخادمات.»

أشرقت ملامح الأميرة. «آه، يا عزيزتي! هل وافقت على البقاء معنا؟»

«حسناً، نعم. لكن فقط لغاية...»

«لا. لن نتكلم بشأن مغادرتك الآن.» وعادت تربت بيدها فوق السرير: «تعالي واجلسي إلى جانبي، واخبريني بكل شيء. اكنت في نيويورك مؤخراً؟ اما زال مسرح شوبرت قائماً هناك؟ اتذكر عندما...»

استغرقت الأميرة في نوم عميق، بعد مضي ساعة من الوقت، وهي ما زالت تمسك بيد كارولين. فما كان من كارولين إلا ان حررت يدها بحذر شديد، ونهضت من على السرير، لتجلس على الكرسي الذي كان على مقربة منها. وتضاءلت انوار النهار لتأذن بهبوط الظلام، فأغمضت عينيها وهي تشعر بإرهاق شديد.

لقد انقضى زمن طويل عندما كانت تجلس مع جدتها كمثل هذا النوع من الجلسات الحميمة. وكانت تشعر دائماً بانها مرتاحة البال ومطمئنة، تماماً كما هي الآن. انها تشعر بارتياح كبير في هذا المكان. فهو يبعث إلى الطمأنينة وهدوء البال من كل النواحي، عدا ذلك الرجل الذي احضرها إليه.

إن نيكولو ساباتيني شخص لا يحتمل ابداً. فقد سبق لها وقابلت رجالاً متغطرسين، لكن ليس مثل هذا الرجل ابداً. بأنانيته الشديدة، وبمتطلباته الكثيرة. أيضاً... وأيضاً...

تحركت في كرسيها بصعوبة. إنه رجل بكل ما في الكلمة من معنى وكامل النشاط والحيوية. فهو قادر على أن يظهر الكثير من العطف والمودة...

«كارولين؟»

فتحت عينيها بينما يده سقطت فوق كتفها.

«نيكولو!» واستوت في كرسيها. «لم انتبه لدخولك.» منذ متى كان يقف هناك؟ وتمنت لو أنها تستطيع قراءة ما

يقصد في نظراته، لكن ظلمة المكان حجبت عنها وجهه.

«تعالي.»

«لكن جدتك...»

«لا تخشي شيئاً. فإنها تنام نوماً عميقاً.»

لحقت به خارج الغرفة، وعبر البهو الطويل ومن ثم نزلا فوق السلالم إلى غرفة المكتبة، وهي ما زالت خلفه تماماً إلى أن استدار نحوها فجأة.

قال بسرعة: «لماذا بقيت معها؟ فقد أخبرتني الممرضة بأنها استغرقت في النوم العميق منذ فترة من الوقت.»

«أعرف. لكن كان يبدو لها أن وجودي مهماً هناك. إنني لم ازعجها بشيء، إن كان هذا ما يقلقك.»

تأمل في وجهها للحظات، ثم تحول عنها إلى خزانة في الناحية المقابلة.

«اترغبين بشراب منعش ام تفضلين شيئاً أقوى مفعولاً؟»

أخذت تخطو في ارجاء الغرفة بينما كان هو يسكب الشراب، فاقتربت من تمثال صغير من المرمر واحبت أن تلمسه بأصابع يدها، ثم تقدمت من علبة مطلية بالمينا، واخيراً وقفت بإعجاب امام لوحة زيتية لرجل. وكانت اللوحة تلمع من شدة النور.

«أرى أنك تعرفت على والد جدي ساباتيني.»

عادت تلتفت كارولين إلى اللوحة تتأملها من جديد: «هذا ما يجب اعتقاده. تبدو وكأنها رسمت منذ زمن بعيد جداً.»

«تعود هذه اللوحة للعام ١٥٦٠، بالنسبة لسجلات العائلة.»

«للعام ١٥٦٠! كم هو رائع أن تنتقل هذه اللوحة من جيل إلى جيل. لا بد وانها لا تقدر بثمن بالنسبة إليك.»

ابتسم بمرارة. «بالفعل. فقد رسم هذه اللوحة تيتيان.»

اتسعت عيناها بإعجاب. «تيتيان؟» وحدقت أكثر كي تقرأ التوقيع. «لا عجب من روعتها إذن.»

«لكنك اعجبت بها على كل حال، حتى ولو كانت غير موقعة ذلك لأنها قديمة العهد.»

«طبعاً. فهناك شيء مميز في الأشياء التي تأتينا من قرون مضت.» دارت نحوه وكان يراقبها بنظرات غريبة، فيها شيء من الاستمتاع، وفيها شيء ايضاً لم تفهمه، فشعرت بتصلب في نفسها. «وربما تشعر وكأنك ابله، إذا اعتبرنا أنك تعيش محاطاً باشياء كهذه، لكن...»

«لا، على الإطلاق. فقد ادهشني أن اسمع تأييداً منك بالذات...»

«على اعتبار أنني اميركية الأصل؟»

ارتفع حاجباه قليلاً. وقال بخفة شديدة: «على اعتبار أنك امرأة من هذا القرن. لأننا ننتمي إلى مجتمع غير ذلك المجتمع القديم، يا كارولين. وزمننا هو دمغة على اصالة وجودة الماضي.»

«ربما. لكن هذا لا يعتقد به الجميع. وذلك قياساً لبعض الأفراد الذين يستعملون الأفكار المبتذلة والبالية من دون تفكير وتروي الا ترى من أنها تصرفات خطرة؟»

«أو ربما عادات نتقاسمها، وهي أن نثب بسهولة إلى نتائج سهلة.»

«القفز.» لم تستطع منع نفسها من الابتسام. «عليك أن تقول القفز إلى النتائج لا الوثب.»

بادلها الابتسام. «ما زلت اعاني من القدرة على التعبير. انها في غاية الصعوبة.» وقفا ينظران لبعضهما ثم تنحنح قليلاً

قبل أن يقول: «إذاً. ما الأحاديث التي تداولتها مع جدتي؟»

هزت كارولين كتفيها بعدم مبالاة: «عن هذه وعن تلك. فقد ارادت أن تعرف كل شيء جديد حول مدينة نيويورك...»

«واخبرتها.»

«بقدر ما استطعت. فلست ادري عنها الشيء الكثير، ذلك لأنني عشت فيها سنتين فقط.»

«آه. وقد ذهبت إلى نيويورك بحثاً عن مستقبلك المهني؟»

«لا يولد أحداً وفي فمه ملعقة من ذهب. لذلك انتقلت إلى هناك كي ابحث عن عمل اكسب فيه قوت يومي.»

«هذا ما فعلته.»

رحلت عينا كارولين إلى عينيه. وكان ما زال يبتسم لها بتهذيب، لكن كان هناك رنة انفة في صوته.

قالت ببرودة شديدة: «كنا نتحدث بأمر جدتك.»

ارسل نيكولو زفرة حادة: «نعم. هكذا كنا نفعل. لقد سرني أن زيارتك كانت مفيدة لها.»

«لماذا تدعوني باسم اريانا؟»

كان في استطاعتها أن ترى صلابة كتفيه. «اعتقد بأن ذلك عن عجزها وارباكها من وقت لآخر.»

«لم أعنِ ذلك، بالتمام. عنيت، من هي اريانا؟»

«كانت اريانا، اعني انها قريبة لنا. وكانت تعيش هنا، في هذا القصر، بعد أن توفيا والداها.»

«إنها ما زالت طفلة، إذاً؟»

ضحك بمرارة. «كانت طفلة عندما جاءت إلينا. لكنها كبرت الآن. آه نعم، لقد كبرت واصبحت فتاة جميلة مدللة.»

سألت كارولين بعد فترة قليلة: «ماذا بعد؟»

بدا غير مبالٍ وقال: «وبعد ذلك تركتنا.»

تركتنا، هذا ما قاله. تركتنا. لكنها ليست الحقيقة، فكرت كارولين. أريانا تركته. «لكن... لكن لماذا؟»

«من يدري؟ كانت تبدو راضية وسعيدة في البداية، لكن بعد ذلك، ومع مرور الوقت... رغبت بحياة مختلفة. حياة مليئة بالإثارة والاستقلالية. كانت تشعر بأنها تعيش مقيدة تحت هذا السقف. فقد كان لي نظامي الخاص، وتصرفاتي الخاصة ايضاً...»

حبست كارولين انفاسها. لقد كان مغرماً بأريانا، لأنها تستطيع أن تلمس ذلك من نبرات صوته. وكانت أريانا مغرمة به أيضاً، أو ربما هكذا ظنت على الأقل، إلى أن بدأ يدير نظام حياتها.

كان من السهل أن تتصور كيف جرت الأمور بينهما. فالفتاة لم تولد في عالمه القديم، ولم تكن مهيأة لحبيب كان متطلباً وأنانياً، مثلما كان نيكولو. أية امرأة عصرية تتحمل ذلك؟ قد كانت رغبته في أن يمتلكها، وان يحتفظ بها لنفسه. وكان يتوقع منها أن تهرع إليه بمجرد أن يهمس باسمها...

«كارولين؟»

التفتت كارولين مجفلة، وكانت عيناها تتسعان وكأنها لا ترى شيئاً. فقد كان نيكولو يقف قريباً جداً منها.

سقط الكأس الفارغ من يدها وتحطم إلى قطع صغيرة فوق الأرض.

«آه!» وانحنت لتلتقط القطع الصغيرة التي تناثرت في كل مكان. «إنني آسفة جداً!»

«هذا لا يهم.» ومال بجسده وقبض على رسغها، ثم سحبها نحوه. «كارولين...»

لكنها حررت يدها من قبضته. «لقد نكرت بأنه جهز لي غرفة نوم... اشعر بالتعب. وارغب في الذهاب إليها الآن.»

«اود أن اكلمك اولاً، حول مغادرتك نهار غد.»

«نعم.» لكن لماذا كانت تلهث؟ وتراجعت خطوة إلى الوراء: «انك على حق، يجب أن نتباحث في امر ذلك، فعلينا أن نغادر باكراً جداً، كي...»

«كي تحافظي على صلتك الوثيقة مع باولو؟»

«باولو؟» قالت وهي تحدق به، يعلوها الارتباك للحظة، لكنها عادت وتذكرت: «نعم، فانا لن افقد تلك... تلك الصلة الوثيقة مقابل العالم في تمام الساعة السادسة، و...»

«لا.»

«ماذا تقصد بقولك، لا؟»

كانت ابتسامته مسرة تماماً مثل صوته «لن نغادر في الساعة السادسة.»

«آه، لكننا سنفعل!» واحاطت خاصريتها بيديها. «فموعدي مع باولو في...»

«من أجل التقاط بعض الصور.»

حدقت به ملياً: «كيف... كيف...؟»

تحولت ابتسامته إلى نوع من الثقة الذاتية. «لقد اخبرني سيلفيو.» قال ذلك ومشى ليملأ كأسه، وكأساً جديداً لها.

«متى قال لك؟ هذا الصباح؟» وارتجفت شفتاها وهي تقول: «اتعني، أنك كنت تعلم طوال الوقت وجعلتني ابدو غبية امامك؟»

تقدم نيكولو وهو يمد يده التي تحمل كأسها. «لقد تكلمت مع سيلفيو ما يقارب الساعة، يا كارولين.»

«هل اتصل هاتفياً؟ حسناً، آمل أن تكون قد شرحت له من أنني ساعود إلى ميلانو في وقت قد يكون متأخراً بعض الشيء لتصوير تلك اللقطات، لأن...»

«اخبرته بأنك لن تعودي إلى ميلانو قبل عدة ايام.»

صرخت كارولين في وجهه: «ماذا تقصد بقولك، انني لن اعود؟» وتقدمت بضعة خطوات نحوه. «لقد اتفقت معك على أن ابقى فقط لصباح اليوم التالي. اللعنة، وفي الحقيقة أنني لم اوافق على شيء. لأنك أنت الذي فرض القرار. أنت...»

«كنت مخطئاً.»

فغرت فاها مندهشة: «أيكون بمثابة اعتذار؟»

«الذي كان ينبغي عليّ فعله.» قال بلطف شديد، بينما كان يضع الكأس في يدها: «هو أن اقول لك انك لن تعودي إلى ميلانو على الاطلاق.»

الفصل السادس

خيم صمت مطبق في الغرفة بعد كلمات نيكولو الأخيرة. كانت كارولين تحدق في وجهه، تنتظر منه أن يبتسم، أو ليعطي اشارة ما بأن ما قاله كان مجرد مزحة وبأنها لم تفهمها، لكنه فقط تابع النظر إليها، وكان يبدو على وجهه البرودة وكأنه لم يقدم لها شيئاً أكثر من كأس الشراب.

تقلصت عضلات وجهها. وكان الأمر يتطلب دقة في المعالجة والبحث. لكنه سبب لها من ناحية ما، بعض الراحة النفسية. لأنها أدركت أخيراً أي نوع من الرجال قد كان منذ البداية. فهو انسان شديد الذكاء ومميز عن غيره، تحايل عليها بمرض جدته عوضاً من أن يغالي في وعوده لها، لكن الحقيقة بانت الآن جلية وواضحة. وكلامه بعدم رغبته بها كان مجرد هراء، وادعى بمرض جدته كي لا يخدش أو يجرح كبرياءه.

مشت كارولين إلى طاولة خشبية مزخرفة لتضع كأسها فوقها، وهي تحاول أن تحافظ على أعصابها ورباطة جاشها.

«أرجوك أن تمنح جدتك اعتذاري البالغ لها.» قالت بصوت قوي وثابت، ولم ينم أبداً عن غضبها الشديد: «قل لها انني آسفة، لأنني غادرت بصورة مفاجئة، وانني استدعيت من أجل شيء ما... قل لها أي شيء لعين ترغب في قوله.» ثم بدا صوتها يعلو بعض الشيء. «قل أي شيء عدا الحقيقة العارية. لأنها سيدة جليلة ولا يمكن أن...»

www.elromancia.com

«إلى أين تظنين نفسك ذاهبة، يا كارولين؟»

«انني عائدة إلى ميلانو لأنني أعرف هناك على الأقل، بماذا ومع من أتعامل!» ومشت نحو الباب.

«كارولين. انك تتصرفين بسخافة!»

«إلى اللقاء، يا سمو الأمير. وكما قلت لك في مكتب سيلفيو، ان هذا قد لا يكون ممتعاً، لأنه...»

«غبية!» وسمعت خطواته تلحق بها. وكانت قد وصلت إلى الباب وبدأت تحاول فتحه، لكن يد نيكولو أمسكت بيدها. وأدارها نحوه، وأغلق الباب بعنف، وقال وهو يشدها نحوه: «أيجب أن تتصرفي دائماً بهذا الغباء؟»

«افتح هذا الباب!»

«سأفعل، لكن عندما يروق لي ذلك.»

«افتح الباب، أو ساعدني إذاً، وسوف...»

«أقول لك، انك تتصرفين بغباء شديد. ويتوسع خيالك وتصورك بشكل اضافي عن المفروض.»

حملقت كارولين في وجهه. «هذا مما يبعث فعلاً على الضحك! فأنت الذي يشغلك الخيال والتصور وليس أنا! فكيف صوّر لك خيالك بأنني... بأنني قد...؟»

ابتسم عندما بدأت تتلكأ في كلامها، وقال:

«نعم؟» وحرر يدها، لكنه أسند الباب بقوامه الرشيق، وطوى ذراعيه فوق صدره. «لا تقولي ان الكلمات تعثرت منك واختفت، يا عزيزتي. فذلك سيخيب آمالي فيك.»

«الكلام الذي اختفى مني هو كلام بذيء قد يلطخك كما تلطخ الجدران النظيفة ببقع سوداء! ولا تنادني بتلك الصفة. لأنني لست عزيزتك، أو أي كلمة أخرى تعني شيئاً سخيفاً.»

تنهد نيكولو قائلاً: «سوف تشعرين بالغباء الشديد عندما تأخذ الأمور مجراها الطبيعي يا كارولين.»

«آه، لا، لن أشعر بشيء! فإن كنت تظن بأنك قد تقول شيئاً يمكن أن يغير ما في رأيي حول... حول...»

قال وهو يبتسم لها: «ها عدت تتعثرين في كلامك. دعيني أساعدك، في هذه الحال.»

«تستطيع مساعدتي بالفعل عندما تبتعد عن هذا الباب!»

«ما الذي تعتقدينه بأنني قدمته، يا عزيزتي؟ الفرصة السانحة لتقضي ليلتك معي؟» واتسعت ابتسامته أكثر. «ولماذا أحضرتك من البعيد هل من أجل قضاء ليلة ممتعة؟ إنك فعلاً جذابة، يا كارولين، لكن هناك العديد من الفنادق في ميلانو كانت قد أنهت قصدي معك... فيما لو كان هذا فعلاً قصدي.»

كان في ابتسامة كارولين عنفاً: «لكن قصدك كان في انك تريدني لأكثر من ليلة.»

أومأ برأسه موافقاً: «رغبت بأن ألازمك إلى ما لا نهاية.»

قالت ساخرة: «انها الحقيقة بعينها. وما الذي سأفتقده؟ بأن يكون لي غرفة خاصة بي؟ وسيارة تحت أمرتي وخدمتي؟ وبطاقة مالية تؤمن نفقاتي؟»

قطب نيكولو حاجبيه: «لم أفكر قط بتلك البطاقة. ومع انك ذكرتها، سأرى متى يمكن تأمينها. ربما أنت في حاجة لشراء بعض الملابس كي تملأي بها خزانتك.»

هزّت رأسها بعصبية. «أكره أن أجرح كبرياؤك، يا نيكولو، ومحاولاتك هذه لا أساس لها من الصحة.»

«ماذا؟»

«آه، هيا، لا تظن بانك أول رجل حاول أن يدعوني دعوة كريمة كهذه؟ كوني لي يا عزيزتي. وسوف أحقق كل رغباتك.» قالت ذلك بقساوة وهي تتعمد السخرية.

قال وعلى شفتيه ابتسامة متواضعة: «سأحاول.»

«انك تضيع وقتك. سأرافق ثعبان لئيم بدلاً منك.»

ضحك نيكولو ليقول: «كارولين. ألا ترين بأنه عليك أن تسمعي عرضي قبل أن تصدري حكماً كهذا؟»

«قلت لك ان هذا لا يهمني! حاول مع وكالة أخرى. حاول مع فتاة أخرى. حاول...»

أخذت تلهث عندما بدأ يقترب منها وحاولت أن تشد من عزيمتها. قال، وفي لحظة واحدة تلاشت ابتسامته: «اهدأي. توقفي عن هذا التصرف الأحمق، يا كارولين. فلا رغبة لي بأن أكون حبيبك.»

«طبعاً. وللهررة أجنحة.»

عبس وجه نيكولو. «هناك عرض أريد أن أطرحه عليك. عرض جدي لك.»

«يا لي من فتاة محظوظة! تريد ان تتخذني عشيقتك! حسناً، أخبرك بأن ذلك لن يتم أبداً! كانت هذه الرحلة بمثابة مضيعة للوقت وتكبداً للجهد. وقد أظهرت لي كل لعبة من ألاعيب الرجل الثري... لسياراته، وطائرته، وقصره الشاهق، لكن شيئاً من ذلك لم يؤثر بي.» وأبعدت شعرها عن وجهها لتظهر ملامحه. «اقرأ شفتي، يا نيكولو، أنا لا أريد مرافقتك. أتفهم ذلك جيداً؟»

«انه نبأ سار. لأن الذي أطلبه منك قد أصبح ثمناً لرفقة الأميرة فقط.»

فغرت كارولين فاها مندهشة. «ماذا؟»

«أتذكرين الأميرة، أم ماذا؟ أم انك أجهضت السبب الجوهري من عقلك والدافع الأساسي لوجودك في هذا المكان.»

أحست بالدم يغلي في عروقها إلى ان طاف على وجهها: «أترغب أن تقول لي ما الذي تخطط له؟»

أسقط نيكولو يديه من على كتفيها وقال: «سأقول لك، بما انك الآن مستعدة كي تسمعي ما هي الأسباب.» وتوقف للحظة، وكأنه يستجمع أفكاره. «يبدو ان زيارتك لجدتي أتت بنتيجة مهمة.»

«هذا ما تقوله.»

«هذا كل ما هي بحاجة إليه. كما أتمناه أنا لها، لذا أطلب منك أن تبقى في روما إلى أن تشفى تماماً.»

حدقت كارولين في وجهه وكأنها لا تصدقه. «أنت... أنت جاد فيما تقول؟»

مشى بعيداً عنها إلى طاولة مصنوعة من خشب الكرز في زاوية الغرفة. قال وهو يجلس على كرسي من وراء الطاولة: «بالتأكيد.»

قالت وهي تتحرك ببطء نحوه: «لكنني لست ممرضة.»

«لديها ممرضة. وهي تحظى بأفضل عناية صحية.» وأخذ نفساً عميقاً ثم زفر كمن يتنهد بعمق. «الذي تحتاجه ليس وصفة دواء. لقد قلت لك، انني لمست ما فعلت زيارتك بها من تحسن ملحوظ. لأنك تذكريها باحداهن.»

«اريانا.» أومأت كارولين برأسها. «أعرف. وأتمنى لو انني أستطيع مساعدتها. لكن ان أصبح رفيقة دائمة لها فهذا غير وارد على الاطلاق.»

«لماذا؟»

«لماذا؟ ماذا تعني بقولك، لماذا؟ ألم يطرأ على تفكيرك بأنه لدي حياة أود أن أديرها بنفسي؟»

قال بحدة: «لكن جدتي مريضة جداً.»

«أعرف. وانني في غاية الأسف لذلك. لكن...»

«أتفضلين العودة إلى لادولس فيتا عوضاً عن أن تبقي هنا وتساعديها كي تشفى بسرعة؟»

«لا يستحق سؤالك هذا جواباً عليه. لكنني سامنحك واحداً، وذلك فقط مع احترامي الكبير لجدتك. وهو انه عليّ أن أعود إلى عملي سريعاً.»

«عملك؟»

قام بإيماءة بيده وكأنه يصرفها عنه مما جعلها تشتعل غضباً. وصفقت يديها على الطاولة وهي تميل نحوه.

«هذا صحيح. انه عملي. ومسؤولياتي. هل لأنك متقوقع في طبقة مميزة من الناس وتحيط نفسك بالقاب حميدة لا تستطيع أن تتخيل عالماً فيه امرأة عملية ولها ارتباطاتها؟»

لوى بفمه غير مكترث: «انك على خطأ، في هذا العالم يجب عليك فيه أن تتوسلي كي تحصلي على قوت يومك. وهذا ما دفعك لتري سيلفيو، أليس كذلك؟ كي تعجليه بدفع ما لك من مال مع الوكالة؟»

تراجعت قليلاً إلى الوراء. «كيف تعرف ذلك؟»

هزّ بكتفيه دون أي اكتراث، ثم دفع بكرسيه إلى الوراء ووقف على قدميه.

«فقد كنت في وقت ما في الوكالة قبل وصولك، يا كارولين. وسمعت عاملة الاستعلامات تعاني من اتصالات

عديدة، معظمها من عارضات مثلك تطالب بمالها.» وقطب بحاجبيه بعمق أكبر. «لماذا تواصلين العمل مع مؤسسة كهذه؟»

تنهدت كارولين وقالت: «وهل لدي خيار آخر؟ فهناك عقد عمل بيني وبينهم. وعلى أية حال، فانا في حاجة إلى عمل ما كي أستمر في حياتي. يجب أن أعمل، أو...»

«أو انك تريدين الاسراع إلى رجل ما؟ لا أقصد باولو، انما أي شخص آخر؟»

تفاجأت من النظرة التي أطلت من عينيه، وتغييره المفاجيء لدفة الحديث. ها هو من جديد يعود إلى مناقبيته الأخلاقية معها مجدداً. وقد ملت ذلك كله منه.

من كان نيكولو ساباتيني، على أية حال، من كان ليلة البارحة، أو في صباح هذا اليوم الباكر، لم يعد ذلك يهم. فهو ليس أكثر من أناني، محب للذات. فقد كانت جزلة وهي تراقبه يحفر حفرة ليقع فيها. والآن، فهي تبغي أن تدفعه إلى تلك الحفرة أكثر من أي شيء آخر.

لقد حان الوقت كي تمرغ أنفه الروماني بالوحول.

وانتصبت كارولين في وقفتها بتحد. «أعرف أن الذي سأقوله سيكون مخيباً لآمالك كثيراً. لكن ما من رجل ينتظرني في ميلانو.»

«أصحيح ما تقولينه؟»

«لا. ليس هناك من أحد.»

«ربما إذاً، هذا ما يدعوك للاسراع في أن تعودي إلى ميلانو.» ثم ابتسم بمكر: «كي تبحثي عن المرشح التالي، أقصد، ان كنت بين عديد من العشاق...»

«ألا تفهم ما أقول؟ فلا رجل في حياتي وذلك لأنني لا أرغب بأحد. ففي حياتي مشاغل كثيرة، وشكراً لك.»

ابتسم لها ابتسامة ثابتة ليقول: «فهمت.»

«أشك في كونك فهمت. لأنك تشبه أي رجل صادفته في حياتي، وانك تفكر بأن امرأة مثلي لن تشعر بأنها كاملة من دون رجل. لكن، امرأة حكيمة تعتقد كما قلت مرة على مسمعي، المرأة في حاجة إلى الرجل مثل حاجة السمكة للدراجة الهوائية.»

ومدت يدها بعنف وهي تشير باصبع نحوه: «حسناً، دعني أقول لك شيئاً، ايها الأمير ساباتيني! أي رجل يكون شديد الغباء ليعتقد بأن العارضة تقوم بأي شيء غير مهمتها الأساسية...» توقفت في منتصف جملتها لاستغراقه في الضحك. «ما المضحك في ذلك؟»

«كان سيلفيو على حق. فانت لا تستمتعين فعلاً بعملك كعارضة أزياء.»

كان الآن دور كارولين في أن تنطلق ضاحكة. «هذا تصريح هذه السنة والذي ينقصه الوضوح والادراك.»

«إذاً لماذا تقومين به؟»

«لقد سبق وقلت لك السبب. وذلك كي أدفع فواتيري. لكنك لا تعرف ولا تفهم شيئاً في هذه الأمور، أليس كذلك؟»

تحولت نظراتها نحو وجهه. ورأت ان تلك النظرات الفضولية عادت تومض في عينيه مرة أخرى، وكان يراقبها برغبة كانت تثير أعصابه.

وتحولت عنه بعيداً. كيف أصبحت تفقد أعصابها على هذا النحو؟ فهذا ما لم تفعله من قبل، وقد كانت تحافظ دائماً

على هدوء أعصابها، وكان ذلك أحد الأشياء التي تملكها وتفتخر وتعتز بها.

«تابعي كلامك. هيا انني مصغٍ.»

أخذت كارولين نفساً عميقاً، ورسمت ابتسامة مهنية فوق وجهها، والتفتت لتواجهه تماماً: «اسمع، يسعدني جداً اعتقادك بأن وجودي يساعد جدتك.» ورقت ابتسامتها أكثر. «أحبها، أحبها كثيراً، لكنني لا أستطيع البقاء، يا نيكولو، حتى لو كنت أرغب بذلك.»

«وهل كنت ترغبين في ذلك؟ أعني، ان كان ذلك ممكناً؟»

أترغب في أن تبقى هنا، في هذا المنزل الرائع؟ أترغب في قضاء أيامها مع امرأة قد تعلق قلبها بها؟ أتفضل هذا عن التمايل فوق الممر الضيق الخشبي في المسرح كعارضة أزياء؟

تنهدت كارولين بعمق. وما الذي تخشاه من أن تعترف بذلك؟ وقد شبهت بقاءها في هذا المكان كمن يطير بأجنحة إلى القمر.

«بالتاكيد. ان كان ذلك ممكناً. لكن ذلك صعب تحقيقه.»

«والسبب؟»

«لقد فات الوقت علينا جميعاً! فانني مرتبطة بعقد مع الوكالة. حتى انني مدينة لهم بكمية من المال. من أجل الشقة التي استأجرتها وللاعتمادات المالية التي يسلفونها لي...»

«لقد قال سيلفيو ان ما كسبته ليلة البارحة من فابيانو قد دفع بالكامل.»

ضحكت عالياً: «هذا ما أوهمك به. ولو سألته، لكان جوابه...»

«سيكون الجواب نفسه.» وقست تعابير وجه نيكولو.

«والا، وكما شرحت له، عليه أن يجيب عن السؤال مرة بعد، لكن هذه المرة إلى وكلائي.»

«شكراً لك على ذلك.» ثم جلست في كرسي، وخلعت من رجلها فردة حذاء وأخذت تحف أصابع قدمها فوق أرض الغرفة المرمري. «وربما الآن أستطيع أن أفكر في الانطلاق بعد ستة أشهر من انتهاء عقد العمل.»

نظر نيكولو إليها بصمت، ثم مشى إلى حيث ترك كأسه وأخذه بيده. وقال: «ماذا تقولين ان قلت لك ان في استطاعتي أن أنهي عقدك بلمحة بصر؟»

ابتسمت لتقول له: «أقول انه من المؤكد انك كنت تلهو تحت الشمس القوية.»

رشف قليلاً من كأسه: «انه أمر سهل القيام به.»

«وها قد أصبت بضربة شمس قوية.»

قطب نيكولو حاجبيه: «أنا لا أسخر منك، يا كارولين.»

«لا. ولا أنا أيضاً.»

عقد ما بين حاجبيه. «سينتهي عقدك معهم، وذلك لأنني سأشتريه.»

تلاشت ابتسامة كارولين. «ماذا ستفعل؟»

«سأشتريه، وبذلك قد أستطيع أن أنالك لنفسي.»

«عادت ترتدي حذاءها ووقفت منتصبة. قالت بعنف: «شكراً على تذكيرك مرة أخرى بحقيقة الأمر. ماذا كان يقول ذلك الشاعر الروماني في كاتولوس؟ مرحباً ووداعاً؟ إذا، مرحباً ووداعاً، أيها الأمير...»

صرخت بالم عندما أمسك بكتفيها، وتغير لون عينيه الزرقاوين إلى لون أزرق داكن.

«قلت لك، انني طلبت منك أن تكوني رفيقة جدتي.»

«من تظن نفسك، ستكون لعيناً ان لم تحاول النيل مني، بطريقة أو بأخرى.»

أحست باختناق وهو يمسك بها. «أؤكد لك، لا يهمني أبداً أن أنال شيئاً منك.» وأخذ يلوي بفمه وكأنه تذوق شيئاً ليس لذيذاً. «ولا تهمني امرأة تفضل نفسها على أي شخص آخر.»

«ماذا؟»

قال ببرودة: «قد يراها بعض الرجال نوع من التحدي. لكن أؤكد لك بأنني لست منهم.»

قابلت كارولين تحديقه بها بتحد كبير. «هل أخبرك أحد ما. بانك أكثر الرجال تعجرفاً في روما؟»

كحلت عيناه أكثر: «نعم احداهن فعلت. وهي نفسها التي أنبأتني بأنه ليس هناك من متعة مع امرأة خالية من الأحاسيس. وقد أثرت بي أكثر مما أثرت بي الآن.»

فكرت كارولين بدهشة، بأنها قد تكون اريانا، وها ان الحديث يعود مجدداً حول اريانا.

كانت يداه ما زالتا تمسكان بها للحظة، لكنه حررها منها بعد ذلك. قال بحدة: «إذاً. ماذا ستفعلين؟ هل ستغادرين، أم ستبقين؟»

أحست براحة بعد ان أفلت كتفيها. «أرجوك، يا نيكولو. انك تجعل الأمر يبدو وكأنه في غاية السهولة. لكن...»

«سأمنحك ضعف ما يقدمونه لك في الساعة الواحدة في عرض الأزياء مع راتب مضمون لغاية أربعة أشهر، ولا يهم متى تستعيد الأميرة عافيتها. وغرفتك واقامتك بيننا ستكون مجانية.»

www.elromancia.com

حدقت في وجهه غير مصدقة. انه لعرض مغرٍ، أربعة أشهر، براتب مضاعف، والاقامة والطعام مجاناً.

«عليّ ان أعترف، بأن ذلك عرض مغرٍ جداً. حتى لو انني أردت تصديقه، فالوكالة لن توافق على...»

«لقد وافقت وانتهى الأمر.»

«ماذا تقصد بأنه انتهى الأمر؟ هل تباحثت مع سيلفيو أولاً قبل أن تبحث الأمر معي؟»

«حتماً.» وابتسم وهو يتابع قوله: «لم يكن من داعٍ أن أخبرك بعرضي قبل أن أتأكد بنفسي بأنه سيوافق عليه.»

ضحكت كارولين غير مصدقة. «لو أنباني أحد ما بأن ايطاليا ستكون على هذا الشكل...»

«وما يفترض أن يعني ذلك؟»

«ان الرجل الايطالي يعامل المرأة وكأنها... مخلوق وجدت فقط لا لتقوم بأي شيء إلا الطبخ، والتنظيف، وانجاب الأطفال... أو مثل لعبة للرجل كي يتلهى بها.»

«يبدو انك على سعة اطلاع ومعرفة هذا بالنسبة لادعائك بأنك تعرفين القليل عن الرجل الايطالي القروي.»

«وها انني أتلقى الدرس الأول عن طبيعتكم! فكر فقط بالذي تقوم به معي!»

«نعم؟ ما الذي أقوم به، يا كارولين، عدا انني أعرض عليك طريقة تخرجك من وضع تكرهينه وتشمئزين منه؟»

«انني فعلاً أمقتها! لكن هذا لا يعني أبداً بانني أريدك أن تعالج أمور حياتي. فأنا لا أحبذ طريقتك. لأنني لا أريد أن أعامل وكانني...»

«انني أعاملك كما يجب أن تعاملي.» قال نيكولو بحزم:

«يا الهي! ما هذا التناقض! فمنذ خمس دقائق مضت كنت تتبجحين من كرهك للعمل الذي تقومين به، ومع ذلك، عندما قدمت لك طريقة عاملة ومنصفة تخرجك من ذلك الوضع الذي تكرهينه، أخذت تترددين.»

«انني لا أتردد. بصراحة، سأرفض عرضك.»

«من أجل أي سبب؟ هل تعتقدين بأن ما أعرضه عليك صعب التحقيق؟»

«لم أنكر قط بأنه صعب التحقيق. الذي قلته...»

«لقد قلت، انك ان استطعت أن تبقي في روما، لتكوني رفيقة الأميرة بدلاً من التسكع فوق خشبة المسرح، فسوف تسرين لفرصة كهذه.»

«انك تبالغ في قولك كثيراً!»

«لا أظن ذلك. أو انك ستدعين بانني أخطأت فهم ما تعنين؟»

حدقت كارولين في وجهه. فهذا الرجل أسوأ مما تصورت، ليس متغطرساً فقط بل مجنون.

قال بأمر: «بماذا تفكرين؟»

بأنك مخبول، هذا ما فكرت به، من دون أن تقول لكنها استعاضت عن ذلك بأنها استغرقت بالضحك.

ضاقت عينا نيكولو بحدة. «ان عدت إلى سوء استعمال عباراتك الاميركية. أود لو انك تخبرينني بذلك.»

«لا، ليس الأمر كذلك، انه... انه...» وخانتها الكلمات، وهزت رأسها بعصبية. «انك لا ترى ما فعلته بي، لا أظن ذلك. لكن شكراً لك، انني بلا عمل، خالية الجيوب، وفي خطر من أن أفقد تأشيرة دخولي إلى بلادك، وها أنت تقف هناك، وبتلك النظرة التي تعلو وجهك...»

«النظرة؟ ماذا تقصدين بذلك؟»

«نظرتك التي تعني بأنك تملك العالم وكل ما يحويه، والتي تعني بأنك لا تستطيع أن تفهم بسبب الحياة التي تعيشها لماذا لا أقف بفرح للمستقبل الذي ينتظرني هنا، كرفيقة لجدتك.»

«أنت محقة في ذلك.»

تعجبت كارولين. «صحيح؟»

هزّ برأسه ايجاباً. «الآن وبما انك أشرت إلى ذلك، أرى بأنني تصرفت بتهور شديد.»

حدقت فيه. «أفعلاً فعلت ذلك؟»

«أعتقد بانه كان ينبغي مني أن أمنحك حق الاختيار قبل أن أعالج الأمور بمفردي.»

ضاقت عيناها مشككة. هل كان هو يقول هذه الأشياء فعلاً؟ هل يحاول الاعتذار منها؟

«من المؤكد ان هذا ليس سهلاً، ان تختاري ما بين راتب حقير وبين راتب مغر.»

بدت كارولين غير مبالية. وبدأت تقول: «حسناً انني...»

«وليس من السهل أيضاً ان تقرري ان كنت تفضلين عرض الأزياء الذي تمقتيه أو ان تجالسي الأميرة في حديقة القصر، وأنتما تشربان الشاي وتتسامران معاً.»

«انتظر لحظة، يا نيكولو. فانت لا تستطيع فقط...»

«من دون شك، أظن أن عليك أن تفكري ملياً قبل أن تعطي رأيك بالذي تفضلين عمله.»

«انك تبسط الأمور. فالمسألة ليست ما أفضله أنا، انها...»

«أما من ناحية أخرى، أرى ان أسباب الراحة التي كانت تتوفر لك في ميلانو تفوق وسائل الراحة المتواضعة في منزلي.» ونظرت اليه بتحدٍ، في الوقت الذي رأت فيه شفتاه ترتعشان. «هذا صحيح، أليس كذلك؟»

قالت بغضب: «ان كنت تحاول الاستهزاء بي...»

لكن كلماتها غرقت في الصمت. فقد كان يضحك، لكن من يستطيع أن يلومه؟ فهي كانت تتصرف بغباء وسخافة.

«كارولين.» اقترب منها ونظر في عينيها. «ان كنت حقيقة نادمة على ما تركته وراءك في ميلانو، وان كنت تفضلينه على ما عرضته عليك، ما عليّ عندها سوى أن أرحل بك إلى ميلانو في الصباح الباكر.»

لم تستطع سوى أن تبتسم له. فالذي كان يقوله الآن كان مغموراً بمرح لطيف، لكنه كان منطقياً جداً. لذا أية امرأة لها عقلها الكامل تحاول أن تختار ما بين ما تركته في ميلانو وبين الذي كان يقدمه لها هنا، في روما؟

«كارولين؟»

نظرت إليه وقد فاجأها. ورأته لا يزال يبتسم، بسحر، ومن دون خداع. اضطربت نفسها قليلاً. وكان ذلك أسهل في طريقة ما، للتداول معه أكثر مما كان عليه من الغطرسة التي لا تحتمل وطلباته التي لا...

«هل توصلت إلى قرار؟» وأمسك بيديها. «هل ستبقين؟»

أخذت كارولين نفساً عميقاً: «حسناً. سوف أحاول.»

حلكت عيناه، ولوهلة، غابت تلك الابتسامة الصبيانية، ليحل محلها شيء أعمق وأبعد خطورة. لكنه ضحك بعد ذلك، ورفع يديها نحو شفتيه، وقبل راحة كل منهما بلطف.

«شكراً، يا عزيزتي. فسوف لا تندمين على هذا الخيار.»

راقبته وهو يتوجه نحو طاولة المكتب، وضغط على زر. ثم سمعت دقاً ناعماً وسريعاً على الباب.

قال نيكولو: «ادخل.»

فتح الباب ودخلت فتاة ترتدي قبعة ومريلة بيضاء، وهي ترمق كارولين بخجل، وقامت بانحناءة محترمة تدل على مدى احترامها له.

تكلم نيكولو معها. وكانت نبرة صوته مؤدبة، وكان شيئاً ما حول ذاك المشهد ـ فقد كانت الفتاة تستمع إليه ونظراتها منخفضة، وهو بالصورة الملوكية التي يتحلى بها ـ أدى إلى اختلاج عنيف في نفس كارولين. وقد كان هذا كله تنكير مرعب بهوية وحقيقة نيكولو ساباتيني.

«لقد أخبرت لوتشيا بأن تدلك على جناح تيريزا دو فيرتو. سوف يعجبك، على ما أظن. تقول الاسطورة بأن ملكة...»

«هل تتكلم لوتشيا الانكليزية؟»

«لا، لا تتكلمها. لكنها مدربة جيداً، و...»

«آه، نعم، انها كذلك. فقد رأيت انحناءة الاحترام التي أدتها لك ـ فمن الصعب فرض ذلك على ناس من العام ١٩٩٠.»

تضاءلت ابتسامة نيكولو. «هل تريدين شيئاً من الفتاة، يا كارولين؟»

أشارت برأسها بالايجاب. «أرجوك أن تقول لها اني أود أن أتناول طعام العشاء في غرفتي.»

«سوف تتعشين على طاولتي.»

«انني تعبة، يا نيكولو. أود أن أتناول شيئاً خفيفاً في...»

كان يتكلم بسرعة مع الفتاة التي انحنت مرة أخرى قبل أن تغادر الغرفة. ونظر إلى كارولين عند اختفاء الفتاة.

«سيحضر الطاهي كل ما ترغبينه. لكنك ستحصلين عليه على طاولتي.»

أدخلت كارولين يديها في جيبي ثوبها العميقان. «أهذا ما سوف يكون؟ ستطلق الأوامر، وتتوقع مني أن ألبيها.»

نظر إليها للحظة طويلة، ثم مشى ببطء نحوها. وعندما أصبحت على مقربة منها، رفع يده لتلامس خدها.

«انك لست في حاجة إلى هذا، يا عزيزتي. لكن سيكون الأمر أكثر ملاءمة ان قمت ببساطة بالذي يطلب منك.»

انحنى وقبلها بتباطؤ خفيف. وبعد ذلك تحول عنها وخطى خطوات واسعة خارج الغرفة.

www.elromancia.com

الفصل السابع

تمتمت كارولين بكلام غير واضح، وهي تصعد الدرجات الواسعة والطويلة إلى الطابق الثاني من القصر. كانت اشعة الشمس ترسل عليها ظلالاً خفيفة عبر النوافذ المقوسة وهي تسرع الخطى فوق السجاد الطويل المحاك باليد والذي امتد على طول البهو. وعندما وصلت إلى غرفة نومها، فتحت بابها وتوجهت إلى حيث طاولة التجميل، ثم اخذت تستعيد بذاكرتها الأحداث الماضية وتتوقف عند كل حادثة منها.

كم كان جميلاً وانيقاً هذا البيت! وحتى بعد ما مضى اسبوعان على اقامتها فيه، كان لا يزال يسلب عقلها بروعته وفخامته. كانت تتامل اللوحة الزيتية القديمة التي تعود إلى عصر النهضة الأوروبية والتي علقت باحكام واجلال على الحائط من القاعة المركزية للمنزل الروماني وذات الأرضية الفسيفسائية الرائعة والمتناسقة.

«يقول الخبراء في علم التاريخ ان هذه القاعة تعود إلى اوائل هذه القرن.» قالت آنا ساباتيني عندما لاحظت اندهاش كارولين بها: «وقد جيء بها من قصر كان قد شيّد فوق تلال رائعة في خارج هذه المدينة وتصوري بأنهم كانوا على وشك أن يدمروها؟ وقد تضايقت ونيكولو كثيراً من ذلك الخبر، وكان منزعجاً للغاية! وكان لهذا الطابق من القصر جمال فريد ومن المؤسف أن يؤول به الزمن إلى

خراب، هذا ما كان يقوله نيكولو.» ثم خفضت آنا صوتها إلى درجة الهمس. «ولا بد انه كلف ثروة كبيرة من حيث تفكيكه إلى قطع صغيرة وإعادة بنائه من جديد، لكن نيكولو الحبيب لم يتردد لحظة واحدة. الم يكن هذا رائعاً منه؟»

ابتسمت عندها كارولين وقالت: «نعم، كان ذلك رائعاً منه،» ولكن الذي كانت على وشك قوله فيما لو كان نيكولو فعلاً يتردد في الأشياء التي يريدها في حياته ككل. فقد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، كما أنه ورث معها السلطة والجاه، والوسامة والملامح الجميلة وبما أنه جمع كل تلك الصفات النادرة والتي يصعب تواجدها في شخص واحد، فلماذا يتردد في أي شيء يريده؟ وكأنه يملك العالم بأسره ومن فيه. وإلا لما كان نظم حياتها بالطريقة التي تلائمه وتناسبه.

لكنها لم تذكر شيئاً من هذا امامها. لأنها لا رغبة لها بأن تؤذي مشاعر آنا. فكيف تستطيع أن تتنمر بينما الحقيقة تقول انها اليوم اكثر سعادة في هذا القصر مما كانت عليه منذ زمن طويل؟ ربما يتعلق ذلك بآنا، لما كانت تظهره من مودة ومحبة، أو قد يكون ذلك من جمال وهدوء هذا القصر.

لم تر نيكولا كثيراً في اليومين الأولين. فقد كان لا يظهر سوى في أول السهرة، ولكن عدا الليلة الأولى، فإنه لم يشارك العشاء في القصر حتى.

قال بلطف: «سوف تعذريني يا كارولين. لأنني لم ازاول أي عمل في المدة الأخيرة، لكن بما أن جدتي تتحسن صحتها الآن...»

«لا عليك أن تبرر أي موقف تتخذه.» ردت عليه كارولين

بادب، مع أنها كادت أن تضحك في وجهه لأنه لا يبدو عليه أي دليل للعمل وهو يرتدي بذلة السهرة ويستعد للخروج في الساعة التاسعة مساءً. هل كان يظن انها غبية؟ فما هو نوع العمل الذي قد يزاوله الرجل في مثل هذا الوقت، وهو متانق بهذا الشكل الرائع؟

لكنها لم تكترث للأمر كثيراً. وكل ما كان يبعدها عن نيكولو ساباتيني كان راحة لها، وهذا ما دعاها إلى الغبطة في داخلها عندما قال لها وهو يتناول طعام الإفطار انه سيضطر إلى التغيب لبضعة أيام. فكانت كلما وجدته كل صباح ينتظرها، يثير في نفسها الدهشة. لا، ربما أنها ليست الكلمة المناسبة. بل كان يثير في نفسها الإرباك. فقد كان هناك شيء غريب عندما تراه على هذا النحو، وفي صباح كل يوم، ولكن في صباح يوم من الأيام رأته يرتدي قميصاً قطنياً وسروالاً من الجينز كعادته، واحست باضطراب شديد. لكنه لم يرفع نظره عن فنجان قهوته كي يشعر بقدومها، كان في إمكانها أن تعود إلى غرفتها وتنتظر هناك ليغادر كلياً من البيت.

لكنه رفع نظره، وكانت عيناه صافيتان كلون البحر في فصل الصيف، واخذ يتفحصها ملياً وببطء قبل أن تستقر عيناه فوق وجهها: «صباح الخير، يا كارولين.»

هزت برأسها لترد تحية الصباح وهي تسير نحو طاولة جانبية، حيث سكبت لنفسها بعضاً من القهوة: «صباح الخير.»

«قولي صباح الخير، يا نيكولو.»

دارت بسرعة لتنظر إليه. «اعذرني؟»

كانت ابتسامته خفيفة ومتثاقلة. قال بلطف شديد: «لقد لاحظت بأنك لا تستعملين اسمي عندما تتوجهين إلي بالكلام.»

التقت عينا كارولين بعينيه: «لا تكن سخيفاً.» قالت ذلك وهي تشعر بحرارة في وجهها لأنه كان على حق، إنها لم تستعمل اسمه، وتمنت لو أنها تستطيع فقط تجنب ذلك. لو أنه فقط يوجد هناك حل وسط ما بين أن تناديه بصاحب السمو وبين اسمه نيكولو...

ضحك بلطف: «استطيع قراءة افكارك مرة اخرى، يا عزيزتي. انك تفكرين الآن بانه اسهل عليك لو تناديني بسينيور ساباتيني، أليس كذلك؟»

قالت كارولين وهي تحمل فنجانها: «لا. وهذا ما ظننته ايضاً. لأنك تفضل اللقب الذي ينادونك به عن...»

«أفضل أكثر لو أن المرأة التي تعيش معي تناديني باسمي المجرد.»

قالت بحدة: «إنني لا اعيش معك.» فابتسم لملامح الغضب التي ظهرت على وجهها.

ادارت كارولين ظهرها له. كفي عن التصرف بغباء، قالت لنفسها بغضب، لأنها تشترك في لعبة لن يكتب لها النجاح فيها. فهو واسع الخبرة في شؤون المرأة، فاللعب على الكلام كان طبيعة اخرى مميزة عنده. لكنها لا تستطيع مواجهته، لأنها غير معتادة على مجابهة الرجال على هذا النحو. والحل الوحيد هو أن تتراجع عن معالجة تلك الشؤون والتي كانت تنجح بها دوماً. فالرجال الذين يجذبهم الوجه الجميل يعبرون عن إزدراء في الوقت نفسه،

وعليها أن تستجمع قواها وتدير ظهرها ببرودة اعصاب لهم.

«أنت على حق. فانا أعيش تحت سقف بيتك وانال راتباً منك. وإنني ملزمة أن اناديك بالاسم الذي يعجبك أو تفضله، يا نيكولو.»

بقي على وضعه يبتسم غير متردد: «شكراً لكِ.»

ابتسمت بأدب: «إنك على الرحب والسعة. والآن، هل هذا كل...»

«لا ليس كله.» ووضع فنجان القهوة جانباً ليعود إلى النظر إليها مجدداً، وكانت تعابير وجهه جدية، وفيها بعض القسوة: «تحسنت صحة جدتي كثيراً. والأطباء يؤكدون ذلك.»

لم تجب كارولين، لكنها هزت برأسها موافقة لأنها احست أنه من الأسلم لها أن لا تخوض في هذا الموضوع.

«اعتقد ذلك، ايضاً. هل اخبرتك بأنها امضت بعد ظهر البارحة معي في الحديقة؟»

استوى نيكولو في مقعده ووضع اصبعاً قريباً من فمه. «كما قلت لكِ، كنت ازاول بعض المهام العملية.»

كان من الصعب عليها عدم الابتسام: «آه، نعم، استطيع أن اتصور ذلك.»

«فعلاً؟ لأن الأمر لم يكن سهلاً، يا كارولين، كيف لي ان احقق كل ارتباطاتي وعقودي وأنا قابع إلى جانب الأميرة.»

ابتسمت كارولين بعذوبة. «فعلاً.»

ابعد نيكولو كرسيه عن الطاولة ووقف. «ما الذي قد تقولينه ان قلت لك انني مضطر للغياب لمدة أسبوع

كامل؟ ربما لعشرة أيام؟ ولكنني سوف اتصل بكما مرتين في اليوم الواحد، وسوف اعلمك ايضاً عن مكاني إن احتجت إليّ. هل ستشعرين بالراحة لوجودك وحيدة مع الأميرة؟»

«وحيدة؟ تعيش هنا مع السينيورا؟ ومع الطباخ، والجنائني، ومع مدبرة المنزل، والخادمة التي في الجناح الآخر؟ ومع الطبيب الذي يزور المكان كل يوم؟»

تحولت عبسته إلى ابتسامة. «انك لن تفتقدينني إذاً؟»

«بكلمة واحدة، لا، لن افتقدك.»

لكنها لم تنجح، لأنها كانت تأمل في أن تجرح احاسيسه. لكنه انطلق ضاحكاً.

«لن استطيع أن اعتاد على لسانك، يا كارولين. الذي لو اسقط في سائل الأسيد، لعاد إلى النطق بطريقة تدهش الجميع، رغم جمالك كامرأة.»

قالت وهي تهتز غضباً: «الذي يصدم ايضاً. بانني منيعة ومحصنة لسحرك.»

كان ما قالته قولاً غبياً. وقد ادركت ذلك عندما خرجت الكلمات من فمها. فابتسم نيكولو بمكر ودهاء وهو يقترب ببطء منها. وحاولت ان تحافظ على رباطة جاشها.

«اهو تحدي من نوع ما، يا عزيزتي؟»

«لا، ابداً. إنه تصريح واقعي.»

نظر إليها للحظة، وكان قد وصل إليها ووضع يده على عنقها من الوراء ومن تحت شعرها الطويل. وعندما تكلم جاء صوته منخفضاً: «تعلمين جيداً بانه هناك عمل لم يتم بعد فيما بيننا، يا كارولين.»

«العمل الوحيد الذي بيننا هو الاتفاق الذي عقدناه بالنسبة للقيام بدوري في أن ارافق جدتك.»

ابتسم نيكولو قائلاً: «أعرف من أنني محق في امر ما.» وزاد من ضغط يده فوق عنقها وهو يشدها نحوه، ولم يكن لها أي خيار سوى أن تسمح له بأن يدنو برأسه إلى رأسها: «اشعر بلهيب يتأجج في داخلك. فذلك الجدار الجليدي الذي تملكينه يجعل الرجل متحمساً أكثر في تفتيته.»

«انكر أنك قلت لي مرة انك لا تجد شيئاً جذاباً في المرأة الباردة.»

ضرب بإبهام يده خدها المتورد. «ربما لأنك لست باردة كما يبدو عليك، يا عزيزتي.»

«في استطاعتك أن تضيف هذا التعبير الأميركي لمجموعة مصطلحاتك يا نيكولو، وهو، الذي تراه هو فقط الذي يمكنك أن تحصل عليه.»

«لماذا اعلم وبصورة غرائزية من أنك لا تريدين أن تصرحي بمشاعرك نحوي، يا عزيزتي؟»

التقت عيناها بعينيه: «لأنك تعلم جيداً بانني لا أريد ذلك.»

«الذي افهمه جيداً. أنك لا تريدين أن تقري بذلك.» قال ثم حوى خدها بيده: «لكنك تشعرين بشيء نحوي، يا عزيزتي. فعيناك تنطقان بذلك.»

«لكن الذي تراه. في عيني هو الملل والضجر. فيجب لهذا الحديث...»

لكنها لم تستطع أن تنهي الرد المتوتر. لأن نيكولو منعها من الكلام بقبلة منه. وعندما حررها، تراجعت إلى الوراء لتتكيء على الطاولة، كي تحافظ على توازنها، وهي تستجمع قواها العقلية والذاتية لتقوم بعمل نكي

يوضح بان تلك القبلة لم تؤثر عليها ولا بأي شكل من الأشكال.

لكنه لم يدع لها مجالاً لتتكلم.

قال بلطف: «سأراك بعد عشرة أيام، يا عزيزتي. وبعدها سنرى أي واحد منا كان على حق.»

عندما عزمت على ما ارادت قوله كان الوقت قد فات على ذلك، شدت فمها وهي تشق طريقها إلى غرفة المكتبة، حيث كانت نسخة من جدول اعماله ملقاة قرب الهاتف. لقد أمضى تلك الأيام الأخيرة يتنقل من مكان إلى آخر. فمن نادٍ لكرة المضرب في اسبانيا، إلى نادي اليخوت على الشاطىء الإيطالي، وإلى عطلة مشتركة على شاطىء الريفييرا.

آه، نعم، فكرت وهي تضع نظارتها الشمسية فوق عينيها، وفتحت الباب لتخرج إلى الحديقة، ان نيكولو ساباتيني منهمك جداً في اعماله. فلا عجب إذاً بانه كان شديد الحماس في أن تكون لآنا رفيقة. لكنه ايضاً رجل ناضج يمتلىء صحة وعافية وتشده الحياة إليها بكل معانيها، حياة تعوّد أن يحياها، منذ وقت طويل. فبوجودها هنا قرب الأميرة، يستطيع هو أن ينزلق في ملذاته ويمتع نفسه، وإن استطاع أن يغويها بالإضافة إلى ذلك، وبين مواعيده الكثيرة، فهذا سيكون ربحاً عائداً له.

توقفت عندما وصلت إلى آنا، ولطفت وجهها بابتسامة. كانت الأميرة ما زالت نائمة على المقعد الطويل، وهي تتشح بوشاح ناعم. جلست كارولين على كرسي قربها وهي تتنهد.

كم يعم الهدوء هذا المكان. فخارج تلك الجدران الحجرية العالية التي تحيط بالحديقة، كان السياح يتنزهون في

الشوارع التي رصفت بالحصى الكبيرة، ويشقون طريقهم في الزحمة كي يتمتعون برؤية روائع روما الأثرية. كانت شجر السرو تعلو إلى جانب الجدران. وممرات حجرية بين مساكب الأزهار الربيعية تمتد إلى قلب الحديقة، حيث تمثال من البرونز على شكل ذئب يقف وكأنه يحرس الطبيعة وتنبع من فمه شلالات ساحرة من المياه لتسقط في البركة وهي تهمس همسات موسيقية. وكان هذا الصوت هو الوحيد الذي اصغت إليه كارولين في حرارة الجو بعد ظهر ذلك اليوم.

قالت آنا في صبيحة ذلك اليوم: «هذه الحرارة لا شيء بالنسبة لأيام الصيف اللاهبة.»

فكرت كارولين وهي تتثاءب، بأن ذلك يجلب النعاس لمن يؤم الحديقة ومدت ساقيها، وفكت بعض أزرار قميصها وأخذت تهوي بيدها طلباً لبعض الهواء المنعش.

تململت الأميرة في مجلسها وتمتمت بشيء في أثناء نومها. ومالت كارولين نحوها لتمسك بيدها.

قالت بلطف: «آنا؟ أتحلمين حلماً مزعجاً؟»

تنهدت السيدة العجوز وهي تفتح عينيها: «هل مرّ عليّ وقت طويل وأنا نائمة؟»

«لا، على الإطلاق. كيف تشعرين الآن؟»

«افضل من أي وقت مضى. افضل من أية سيدة عجوز أخرى في مثل سني.»

«انك لست عجوزاً.»

«بالطبع انني كذلك! ولكنني لا اشعر بذلك، والفضل يعود لك، فشكراً لكِ. وقد كنت محقة عندما قلت ان وجودك بقربي سيفيدني أكثر من أي دواء في العالم.» وشبكت اصابعها يد

كارولين. «ويسرني جداً أن الإقامة هنا تعجبك يا صغيرتي.»

«من لا يعجبه هذا المكان؟»

تحركت السيدة العجوز وهي تعني شيئاً: «قد تجد بعض الشابات ان الحياة التي نحياها هنا تفتقد إلى النشاط. لكنك لا تشعرين بشيء من ذلك.»

«لكن روما لا تقف عقبة في وجهي.»

«آه، ذلك لأنك لم ترِ شيئاً من مدينتنا بعد. سنغير كل هذا عندما يعود نيكولو.»

قالت كارولين بحذر: «هذا لا يهم. اعني، اعرف جيداً أن المدينة جميلة ورائعة، إنما...»

«لكن لسوء الحظ، اضطر للمغادرة بعد وصولك مباشرة.»

لم يكن ذلك من سوء الحظ ابداً. بل على العكس. كان ذلك رائعاً منه. وقد يكون رائعاً أكثر لو أنه يتصل ويقول انه سيضطر إلى التغيب اسبوعاً آخر.

«يا لعزيزي المسكين نيكولو. إنه يعمل بشقاء مضني، ولكن ما الذي يستطيع فعله غير ذلك؟» وتثاءبت آنا. واصبح صوتها اكثر لطفاً وناعساً. «فهذا ليس بالأمر السهل، في أن يتحمل اعباء ومسؤوليات عائلة ساباتيني...»

اغمضت السيدة العجوز عينيها، واخذت تشخر بلطف. تنهدت كارولين بعد فترة، وخلعت عنها نظارتها الشمسية، واغمضت عينيها هي الأخرى. وتأملت، آه، نعم، يا له من مسكين. مسكين نيكولو. فهو قد يكون الآن على شاطىء الريفييرا، وهو يتحمل كل اعباء ومسؤوليات عائلة ساباتيني الثقيلة. والكثير الكثير من المطاعم الفاخرة

ليتناول العشاء فيها. والعديد العديد من اليخوت للإبحار والتنزه.

«كارولين؟»

فتحت عينيها بسرعة، وهي تشعر بلهيب في وجنتيها. فقد كان نيكولو يقف إلى جانبها، بوجه الهادىء الرزين.

«ما الذي تحلمين به؟ والذي يجعل الدم حاراً على وجنتيك؟»

«لم... لم أكن أحلم.كنت فقط...»

لم تستطع الكلام، خاصة وهو ينظر إليها بهذه الطريقة. من اين جاء يا ترى؟ وكم مضى عليه من الوقت وهو يقف بقربها؟ وحملقت فيه، وفي عينيه الزرقاوين العميقتين، وإلى ابتسامته امتلاشية، وإلى شعره الداكن الذي تجعد وسقط إلى أسفل ياقة قميصه. وكان قد خلع عنه سترته، وشلحها على كتفه، وأمسكها باصبع من يده. كما طوى كمي قميصه ليظهر عضلات ذراعيه الملوحتان من اشعة الشمس، وقد فك الزرّين الأولين من قميصه، وبهذا تمكنت من رؤية عنقه الأسمر.

استوت كارولين في مكانها بسرعة وهي تضع يديها فوق وجنتيها: «ان... ان الطقس حار ولا يطاق هذا اليوم لقد انذرتني آنا من الجلوس تحت حرارة الشمس، لكنني...» ثم تنحنحت وكأنها تصفي نبرة صوتها ونظرت إليه: «ما الذي تفعله هنا؟»

ابتسم ابتسامته الواسعة وهو يضع سترته فوق كرسي إلى جانبه. «إنني اعيش هنا، يا عزيزتي. أو أنك تريدين أن تضعي هذه الفكرة التعيسة خارج ذهنك؟»

وقفت كارولين لتقول: «علمت أنك ستتغيب لأسبوع، وربما لأكثر من ذلك.»

«ها أنا هنا الآن.» وانحنى لها بمكر: «اعذريني. فقد انهيت اعمالي بوقت اسرع مما توقعت.»

رفعت حاجبيها بدهشة: «حقاً؟ ماذا حدث؟ ألم يكن الطقس جيداً على شاطىء الريفييرا؟»

نظر إليها طويلاً، ثم انطلق ضاحكاً. «كم أنك شديدة الملاحظة، يا عزيزتي. لا، لم يكن الأمر كذلك. يومان ممطران افسدا كل مشاريعي.»

أومأت برأسها. «استطيع تصور ذلك. ستفرح آنا كثيراً لمشاهدتك. فقد كانت تقول منذ قليل...»

«بالفعل. يسرني أن اعود إلى البيت باكراً.»

«من اجل رؤية آنا؟»

ابتسم بطريقة جعلت قلبها يتوقف عن خفقانه: «لا، بل كي نضع رهاننا تحت الإختيار.»

«اي رهان؟ فأنا لا...»

التقت نظراتهما، وتوردت وجنتي كارولين وعادت تقول: «لم نقم بأي رهان.»

ضحك نيكولو بلطف: «ربما كان علينا فعل ذلك. دعيني أرى، ما الربح الأكثر لذة؟»

كان السكون الذي خيم الآن اكثر وطأة عليها. فقد سقطت نظرات نيكولو على قميصها القطني، وأدركت فجأة أن قميصها غير مزرر، وبارتعاش من اصابعها المرتجفة، احكمت تزريرها.

قالت بصوت هامس: «اللعنة. لقد وعدتا لقد قلت...»

امسك بذراعها وسحبها إلى ما تحت اغصان شجر السرو: «اعرف ما قلته تماماً، وقد قلنا كلانا اشياء كثيرة والآن. اظن، وربما، قد حان الوقت لقول اشياء اخرى.»

هزت كارولين رأسها بعصبية. «لم يبق شيء لم تقله، يا نيكولو.»

ابتسم قائلاً: «لكنني اظن عكس ذلك، يا عزيزتي.»

انحنى ليقبلها، واحست بالأرض تتداعى تحت اقدامها. وأحست بخفقان قلبه من تحت يدها التي كانت تتعلق بقميصه.

هل كانت فعلاً تتمسك بقميصه؟ كانت فعلاً كذلك. وكانها تمسك بشيء من اجل سلامة حياتها، تميل إليه، وهي ترتفع فوق اصابع قدميها كي يتمكن من ضمها أكثر، ويحضنها بشدة نحوه.

ضربت كارولين بيديها فوق صدره وكانها استفاقت من حلم مزعج وحررت نفسها منه: «أيها... أيها اللعين!»

«اصغي إلي، يا عزيزتي...»

«لا!» واخذت تتراجع إلى الوراء وهي تهز رأسها بعنف. «لا، يا نيكولو، استمع إلي لمرة واحدة. فأنا... لست فخورة بما حدث الآن.»

«كارولين، ارجوك...»

«ان ذلك يقرفني في أن ادعك تقبلني بهذه الطريقة.»

خيمت كآبة كالحة على عينيه. «يقرفك؟»

لا، فكرت في نفسها. إنها ليست الكلمة الصحيحة. بل الكلمة الأصح هي أن قبلته تخيفها. وترعبها، لأنها تفقد السيطرة على اعصابها عندما تكون في احضان هذا الرجل، الرجل الذي تحتقره، والذي يحتقرها ايضاً.

قبض على يدها بشدة ليقول: «اتقولين ان قبلتي تقرفك؟»

نظرت في عينيه مفكرة. ما الذي تستطيع قوله والذي قد يكون ذات معنى؟ ما الذي تستطيع قوله من دون أن تكشف سرعة تأثرها، التأثر الذي لا تستطيع هي نفسها شرحه وتفسيره؟

بدا الغضب يظهر في عيني نيكولو. «فهمت.» وحرر يدها من قبضته. «في هذه الحالة...»

«نيكولو؟» والتفت كل من نيكولو وكارولين نحو مصدر الصوت. فقد كانت آنا سباتيني تنهض من كرسيها، وكان وجهها يشع اشراقاً: «نيكولو، هل عدت إلى البيت!»

«نونا.» تقدم بخطوات واسعة ثم انحنى ليعانق السيدة العجوز بحب كبير. وسهّل عليها عملية الجلوس فوق ذلك المقعد الطويل ثم وجّه إليها نظرة تساؤلية: «هل احسنت التصرف في غيابي؟»

تجهم وجه آنا قليلاً: «لقد كنت ملاكاً طيباً. ستخبرك كارولين. فأنا لم افعل شيئاً سوى النوم الطويل، كذلك اكلت كثيراً، وعرضت نفسي لإشعة الشمس! على أية حال فالطبيب يقول انني بخير. وقال ايضاً انه يمكنك التوقف عن معاملتي وكانني عاجزة عن فعل أي شيء.»

«اعرف. فقد تكلمت معه هذا الصباح.»

«حسناً، يجب أن نحتفل إذاً» ومدت آنا يديها واحدة لنيكولو والأخرى لكارولين. «عليك ان تستحم وتغير ملابسك، يا نيكولو وبعد ذلك... ما الذي ستفعلانه؟»

ابتسم لها بمحبة: «الذي ترغبينه سنقوم به.»

«حقيقة؟ أتعني ذلك فعلاً؟»

«طبعاً.» قال وهو ينظر إلى كارولين: «فكارولين وأنا رهن إشارتك وخدمتك.»

نظرت آنا إلى كارولين: «هل توافقين على ذلك؟»

ابتسمت كارولين. «بالطبع اوافق.»

في هذه الحالة... اظن اولاً، ان رؤية المدينة من بينشيو. أو ربما زيارة فونتانا دي ترفي. قريباً، سيكون من المستحيل رؤية شيء، بسبب موسم السياحة، لكن، الآن، فالمدينة ملكنا نحن الرومانيون.»

أوما نيكولو محبياً: «هذا إذا كان الجو ألطف في نهاية هذا الأسبوع، ربما، نقوم بزيارة أو باكثر ولسوف اقول لسائقك في أن يحضر لك سيارتك و...»

«بعد ذلك فوروم. وكولوسيوم. آه، وحمامات كاركلا.»

أخذ يبتسم ببطء شديد: «آه، فهمت. فإنك تخططين لأسبوع كامل من النزهة، أليس كذلك؟»

«يجب أن لا تنسى بانثيون. ومتاحف الفاتيكان.»

ضحك نيكولو: «بالطبع.»

«عندما يتأخر بنا الوقت، سيكون الوقت ملائماً لشرب شيء من الشراب المنعش في أحد المقاهي الهادئة.» ثم تابعت تقول وكانها تذكرت شيئاً: «اما بالنسبة إلى العشاء... ما رأيك يا نيكولو؟ هل ما زال ذلك المطعم يعمل قرب المدرجات الإسبانية، المطعم الذي يقدم ذلك الطبق الشهي من فونغول فريتاس؟ أو هل تظن بأن كارولين تفضل مكاناً أكثر الفة؟»

«إنها لم تعد نزهة لمدة اسبوع. إنها خطة لنزهة تستغرق اسبوعين على الأقل.»

«أخيرا، نتنزه في المكان الأحب على قلوبنا في بيازا، حيث الشلالات تتلألأ في ضوء القمر.» ونظرت إلى كارولين. «كيف يبدو لك ذلك، يا عزيزتي؟ ترغبين في رؤية ذلك كله، أليس كذلك؟»

ابتسمت كارولين: «ألا تعتقدين ان عليكِ أن تبدأي ببرنامج اقل من ذلك؟»

تغيرت ملامح الأميرة إلى رعب ساخر: «أنا؟ أتعتقدين بانني سأذهب إلى كل هذه الأمكنة؟ وفي سني هذا.» وارتسمت ابتسامة ماكرة حول شفتيها. «لكن انتِ ونيكولو ستمضيان وقتاً رائعاً.»

تلاشت ابتسامة كارولين. ونظرت بسرعة نحو نيكولو ورأت أن ابتسامته تلاشت هي الأخرى. وكان يراقبها بنفس الرغبة التي طالما ارتسمت فوق محياه، تلك النظرة التي كانت تجعل من عينيه تتغيران إلى لون الياقوت الأزرق القاتم.

قالت من دون تفكير: «لا. لا اريد الذهاب مع...» واختفت كلماتها في سكون عميق. ورأت وجه نيكولو خالٍ من أي تعبير. «اقصد، من الذي سيلازمك. يا آنا؟»

«ان كارولين على حق، يا نونا. فإن كانت تود السياحة في روما، فسوف أؤمن لها دليلاً.»

اخذت آنا تنظر إليهما ثم هزت برأسها. «يا لهذا الغباء! إنني لست في حاجة إليك يا كارولين كي تبقي بقربي. وقد اشرت يا نيكولو بأن بالازو يعج بالناس هذه الأيام. وستكون دليلاً ممتازاً لكارولين ان كنت إلى جانبها دائماً. ومن غيرك يستطيع أن يخبرها اكثر عن روما الحبيبة؟»

«لقد جئت لتوي من سفر متعب في الطائرة، يا نونا. والذي اريده اكثر الآن هو أن استحم و...»

«هذا صحيح، يا نيكولو! ستستحم بينما تغير كارولين ملابسها إلى ملابس اخف وانعم. ربما ثوب قطني صيفي قد يفي بالحاجة. آه، وصندل ذو كعب قصير ليسهل عليك المشي، هذا إن كنت تملكينه، هل لديك واحد، يا عزيزتي؟»

تنفست كارولين عميقاً: «نعم، ولكن...»

«إذاً، اذهبي واستعدي.»

حول نيكولو رأسه. والتقت عيناه بعيني كارولين. وكانت عيناه باردتان لا تنمان عن شيء فيهما، وهكذا كان وجهه ايضاً.

قال بفتور: «كوني على استعداد في مدة نصف ساعة.»

تنهدت آنا ساباتيني، والتي تغفل عن كل شيء: «أعرف جيداً أنك ستمضين وقتاً ممتعاً!»

إنه حتى أكثر السياح ولعاً ورغبة في تلك الأمور لا يستطيع أن ينجز خطة آنا السياحية، مع كون نيكولو يمنح تلك المحاولة عزماً شديداً. وكان ينطلق بسيارته الفراري في ازدحام الطرقات وهو بانعزال تام عنها والذي جعل من كارولين تتسمر في مقعدها.

دمدم قائلاً وهما يعبران النصب النصري التذكاري: «قوس قسطنطين. وقد شيّد على شرف اومبراطور قسطنطين في القرن الرابع.»

حاولت أن تنظر من النافذة، لكنهما كانا قد اجتازاه بسرعة.

«الكولوسيوم، أو المدرج الروماني القديم.» قال نيكولو وهو يخفف من سرعة انطلاقه لدى وصوله إلى زحمة سير

خانقة: «وقد شيّد بواسطة الأمبراطور فيسباسيان في سنة ٧٢ ميلادية.» وقال عندما انطلق من جديد: «انه المكان الذي استشهد فيه المسيحيون من اجل دينهم، وحيث كان يتقاتل الأسير والحيوان المفترس من اجل متعة الجماهير.»

عادت كارولين تنظر مرة أخرى. كان الكولوسيوم ضخم جداً ومثير للروعة والاعجاب، مع أن اكثرية منحوتاته الأثرية كانت قد سرقت عبر الأجيال كي تزين بها القصور الرومانية. وقد عرفت كل ذلك من قراءتها للكتب التي ترجمت إلى اللغة الإنكليزية في مكتبة عائلة ساباتيني خلال الليال الطويلة التي كانت تمضيها في تلك المكتبة. والذي تمنته هو ان تمشي في ذلك المدرج القديم. لكن، ذلك لن يحدث ابداً.

«إل فورو رومانو.» قال نيكولو وهما يجتازان مجموعة من الخرائب الرخامية الأثرية: «إنه المنبر الروماني.»

التفتت كارولين لتحدق بالذي أشار إليه. المنبر، فكرت مطولاً، وهو حيث كان القيصر يتكلم مع مجلس الشيوخ: «ربما قرأت ذلك عندما كنت تلميذة في صفوف التاريخ.»

«اعتقد ذلك، وذلك إن حاولت جهدي، قد اتنكر بعض المراجع.»

«والكامبيدوجليو.» قال وهو يتجاهل ذلك الاستهزاء الذي كان في جوابها: «وقد كانت العاصمة الوحيدة في تلك الأيام البعيدة، واصغر تلة من تلال روما السبعة. وقد صمم مايكل انجلو السلالم التي تؤدي إلى ذروة القمة باحتفال كبير.»

فكرت كارولين قبل أن تقول: «أهو المكان الذي كان فيه

الضباط الرومانيون يقيمون احتفالاتهم؟ إلى الكامبيدوجليو، ومن فيا ساكرا؟»

نظر نيكولو إليها. «ماذا؟»

«هل تلفظت بها على نحو خاطىء؟ فيا ساكرا. الطريق المقدس. وقد كان طريق النصر من...»

«اعرف تماماً ما كان. تدهشني فقط معرفتك لذلك.»

ابتسمت كارولين. «هل كنت تظن بأنني غير قادرة على معرفة شيء عدا عن قياسي بالكامل؟»

عاد ينظر إليها. وظنت للحظة، بانه يبتسم ويقول لها. «حسناً، يا كارولين، هذا لا يهم ابداً. ولا امانع من أخذك في هذه السياحة السخيفة، بل بالفعل، اظن أنني استمتع بذلك.»

لكنه لم يتفوه بشيء، وابعد نظره عنها. استوت كارولين في مقعدها. ولماذا يقول لها مثل هذا الكلام؟ فهو لم يخفِ مرة ما يريد قوله لها، أو أن يتظاهر بانه يستمتع برفقتها، وأن يتظاهر ايضاً بانه يود مشاركتها الضحك أو أن يريها الأماكن المفضلة لديه في روما، فهذا غير متوقع ابداً.

فما قضيتها إذاً؟ فهي لا تريد أن تكون معه اكثر مما هو يريد أن يكون معها. ربما التوتر الذي تعاني منها بسبب رفقتها له قد أثرت بها. اللعنة، ان ذلك مغيظ للغاية!

«ساعطيك الخيار لما تودين مشاهدته اولاً: «فيا فنتو؟ حمامات كاركلا؟ أو سيرك ماكسيموس؟»

«لماذا لا نمنح لأنفسنا خدمة ما؟ اشتري كتاب دليل السياحة، وأرى بعض الأمكنة، وامضي ساعتين من الوقت بينما تذهب أنت إلى أي مكان يكون الجو فيه رطباً وظليلاً، وتشرب شراباً منعشاً وتهدىء من نفسك، ونتقابل بعد ذلك

في تمام الساعة السادسة، ونعود معاً إلى القصر، ونخبر آنا باننا امضينا وقتاً مبهجاً ورائعاً. كيف يبدو لك الأمر؟»

ورماها نيكولو بابتسامة باردة: «عظيم جداً عدا مشكلة أو مشكلتان اساسيتان.»

«وهي؟»

«اولاً، لا نستطيع أن نعود إلى القصر حتى الساعة الحادية عشرة مساءً. يتناول الأطفال عشاءهم عند الساعة السادسة. اما الرومانيون فيتناولون وجبة العشاء في الساعة التاسعة. لا ادري ومهما كان رأيك بنا يا كارولين، فنحن لسنا اطفالاً.»

«اتعني أن الأميركيين هم الأطفال؟»

تنهد نيكولو: «اسمعي. إنني لست سعيداً بالذي اقوم به. لكن بما أننا ملتصقان مع بعضنا البعض في الساعات التالية والمقبلة...»

تدخلت كارولين بحدة: «ملتصقان مع بعضنا البعض. إن كنت لا تُحسن استعمال العبارات الإنكليزية جيداً، فلماذا تستعملها؟»

«ربما قد يكون ذلك لنفس السبب عندما سألتك بغباء شديد أن تبقي مع آنا في المرتبة الأولى.»

«ها!» تذمرت كارولين وهي تبعد نظرها إلى ما وراء الحاجب الزجاجي للسيارة.

«ها؟» وارتفع حاجبا نيكولو بتعجب. «ماذا تعني كلمة «ها»، إن كنت لا تمانعين سؤالي؟»

قالت ببرودة: «تعني أنك طلبت مني أن ابقى مع آنا كي تتاح لك الفرصة في اغوائي.»

«ماذا تقولين بحق عظام جدودي العظام!» وضرب نيكولو مقود السيارة بيده. «هل عدنا إلى ذلك من جديد؟»

دارت بسرعة لتنظر في وجهه: «هل ستحاول انكار ذلك؟ انك لم تفعل شيئاً سوى ان تضربني منذ اليوم الذي...»

«اضربك؟» واخذ يحملق بها. «فأنا لم اضرب، امرأة في حياتي. أية امرأة. حتى امرأة مستحيلة مثلك.»

«إنه تعبير انكليزي، يعني أنك كنت تلاحقني. لقد قلت لك، تماماً منذ البداية، انني لست مهتمة بك.»

«نعم. وقد اوضحت ذلك جيداً اليوم بالذات.»

«آمل ذلك.»

«لا تنزعجي. فإنني لست غليظ الجمجمة كي لا ادرك الملاحظة.»

«غليظ الذهن.» قالت له مصححة لغته الانكليزية ايضاً: «هذا ما اردت قوله، والأصح بأنك لست غليظ الذهن لدرجة انك لا تستطيع فهم المعنى.»

هزّ نيكولو كتفيه من دون مبالاة. «انها تعني نفس الشيء.»

«لا، ليست كذلك. انك... انك...» وحدقت كارولين في وجهه، ثم حركت رأسها بضجر وتابعت: «انك فقط لا تفهم شيئاً.»

«آه، لكنني افهم. لقد علقنا في فخ هذا اليوم معاً.»

تنهدت بعمق: «هذا بالفعل ما حصل.»

«إذاً، اقترح أن نقوم بما هو افضل لنا في الساعات المقبلة. سنشاهد روما لكن مع دليل خاص، ونكون في غاية الأدب مع بعضنا البعض، وسيمضي هذا اليوم في آخر الأمر. اتوافقين معي على ذلك؟»

تنهدت كارولين مرة أخرى: «اوافق.»

وقال بتوتر: «فليكن ذلك إذاً.» وانطلق بسيارته بسرعة.

الفصل الثامن

وقفت كارولين مع نيكولو ودليلهما في البانثيون، وهو عبارة عن هيكل، وكان الدليل قصير القامة يتميز بالصبر والتحمل. وكان قد التقى بهما منذ ساعتين من الوقت في بيازا فينيزيا. وذلك بعد أن اتصل نيكولو بواسطة الهاتف وقام بالتحضيرات اللازمة.

«سوف اريكما افضل ما في روما» قال لهما بابتسامة متواضعة، واعتقدت كارولين مع صفاء نيتها بانه فعلاً كان يقوم بأفضل ما لديه من وسائل.

لكنها لم يكن لها اي مزاج في اقتفاء تلك الآثارات التاريخية، كذلك كان نيكولو، الذي ظهر على وجهه ذلك. فهو لم يعبر عن ذلك بكلمة واحدة، كما انه لم يخاطبها ولا مرة منذ ان انضم ذلك الدليل اليهما.

كذلك انهما لم يتظاهرا بالعجب حتى لأي ملاحظة حول تلك الأعمدة والأقواس الحجرية التي هي كنز العالم القديم. لكن نيكولو كان على حق. فلا خيار لهما. والعودة إلى القصر تعني بأنه عليهما اختلاق الأعذار لرجوعهما المبكر إلى آنا، وكيف سيتدبران ذلك؟

افضل ما يمكن عمله. فكرت كارولين بينها وبين نفسها، هو أن تغرق بأحاسيسها في جمال وروعة ومعرفة كل شيء حول المدينة التاريخية روما. وكان في استطاعتها أن تقوم بذلك لو أن الدليل سمح لها ان تفعل ذلك. لكنه كان موسوعة

من الحقائق والأرقام التي تعوّد ترديدها، وعزم على أن لا يخفي عنهما لا شاردة ولا واردة، وبتأثر شديد جاعلاً من السكون يردد كلماته بنوع من الهمس في معابد تلك العصور القديمة. ولم يستطع أي شيء أن يرده عن المهمة التي اوكلت إليه والتي حفظها عن ظهر قلب، ولا حتى عدم استجابة الجمهور له ولشرحه.

«... وشيد هذا في سنة ٢٧ ما قبل المسيح بواسطة ماركوس اغريبا، وهو صهر الأمبراطور اوغوستوس. ويبلغ قطر القبة حوالي ثلاثة واربعون متراً. ويبلغ كذلك طول المبنى تماماً مثل قطر القبة. لاحظوا من فضلكم، وسط الفتحة.»

ادارت كارولين رأسها مستجيبة إلى ملاحظته.

«يبلغ عرض الفتحة تسعة امتار، والتي تسمح بدخول الشمس إليها وقد تأثر السياح عبر التاريخ بجمال وتناسق وانسجام تلك القياسات.»

«شيء فريد فعلاً.» قالت ذلك عندما احست بأنه كان يتوقع منهما تعليقاً ما.

هزّ برأسه ثم نظر إلى نيكولو. ونظرت كارولين اليه ايضاً، وعيناهما تتسعان من شدة الغيظ. لقد كانت ضجرة وتقوس فمها كأنها تمنع نفسها عن التثاؤب، لكن نيكولو كان يبدو عليه وكأنه سينفجر من الملل والضجر بين لحظة وأخرى.

كانت تبدو فعلاً التعاسة على وجهها! كم لذيذ ذلك. وابتسمت لأول مرة منذ ساعات.

قالت كارولين: «انه شيء ممتع فعلاً.»

نظر الدليل إلى نيكولو، الذي عقد ما بين حاجبيه.

قال بملل نمزجه الكآبة: «نعم هذا ممتع.»

ظهرت علامات الرضا على الدليل ثم تقدم وهو يتابع:

«تماثيل الآلهة التي وقفت عبر الأجيال في كوات في الجدران التي تحيط بنا، ربما استعيرت في وقت من الأوقات الغابرة ولم تستعاد. وأقول «استعيرت» لإن ذلك قد يدل على قلة تهذيب فيما لو انني قلت انها سرقت بأكملها.» وابتسم كي يظهر بأنه قام بمزحة.

قالت كارولين: «هل فعلوا ذلك، حقاً؟»

«قاموا بماذا، يا سينيوريتا؟»

«بأنهم سرقوا التماثيل؟» لم يكن الدليل مستعداً لأسئلة كهذه. وقد اظهر ذلك بالتقطيب الذي بدا على وجهه.

ابدى نيكولو اشارة دلت عن عدم احتماله أكثر: «طبعاً سرقت! فالبربر هم الذين سرقوا التماثيل.»

«ربما، يا سمو الأمير. والآن، لو أسألكما أن تتبعاني...»

«سرق البربر تلك التماثيل» كرر نيكولو ما قاله وكأنه يوضح بأنه لا يقبل أي جدل آخر: «لكن اربان الثامن اخذ الأشياء البرونزية من داخل المعبد واعطاها لبرنيني وذلك كي يخترع بالادشينو، وهو عبارة عن ظلة فوق مذبح الكنيسة الباباوية.»

دهشت كارولين: «وكيف تعرف كل ذلك؟»

قال نيكولو بكبرياء ظاهر: «انها معلومات عامة وكنت قد قرأت قصة برنيني في مذكرات غريغوريو ساباتيني.»

واشرق وجه كارولين: «مذكرات؟ تعني من أيام بدء النهضة الأوروبية؟»

«نعم. وكان غريغوريو الصبي الذي تتلمذ على أيدي المخترع برنيني،و...»

«آه، هذا مثير للغاية! هل قام...؟»

«انني على ثقة بانكما تودان رؤية ما تبقى من المكان.» قال الدليل بتجهم، وأخذ يخطو إلى الأمام.

تنهدت كارولين ولحقت به. وتبعها نيكولو بعد لحظة.

«يبلغ عرض رواق المعبد نحو ثلاثة عشر متراً. وله ستة اعمدة من الصوان الصلب ومتوجة بزخارف على الطريقة الكورنثية اليونانية وطول كل منها اثني عشر متراً تقريباً. وتبلغ المسافة بين كل عامود اربعة...»

تدخل نيكولو بحدة: «بين كل منها أربعة امتار تقريباً.»

حدقت كارولين والدليل بنيكولو، الذي حملق هو الآخر فيهما بدهشة. «أنكر ذلك من كتب التاريخ في المدرسة.»

قال وهو يرسم ابتسامة كبيرة: «اذن قد تذكر ايضاً، أن الأبواب التي مررنا فيها منذ لحظات يبلغ قياسها سبعة أمتار تقريباً. وبانه كان هناك خمس درجات تصلنا إلى المعبد والتي يبلغ قياسها...»

«اللعنة!» انطلقت الكلمة من خنجرة نيكولو بثورة جامحة.

علت الدهشة الكبيرة على وجه الدليل: «هل هناك أية مشكلة، يا سيدي؟»

علت حمرة من الخجل فوق خدي نيكولو. «لا. لامشكلة. إنه فقط...» ومدّ يده إلى جيب سرواله وسحب منها كمية من المال. وقال: «سيفي هذا بالغرض.»

«لكن... انني لا أفهم. هل انتم غير راضين من هذه الزيارة...»

«لا، لا، لقد كانت جيدة! آسف جداً لقد تذكرت الآن ان لدي موعداً. أو بالأحرى لقاء.» وسحب يد الرجل ليدس فيها المال. «وهذه خمسون الف لير اضافية كعلاوة على المعلومات الدقيقة والممتازة التي قدمتها إلينا.»

ابتسم الدليل ابتسامة محيرة ومركبة: «هذا كثير، يا سمو الأمير. فنحن لم ننه بعد الجولة المفروضة.»

«لا تقلق بشأن ذلك، وسوف اتصل بك في المرة القادمة عندما نكون غير مرتبطين بعمل ما، وسنتجول على الأمكنة المتبقية، أليس كذلك؟»

«نعم، اذا كانت هذه هي رغبتك. لكن...»

«انها كذلك. وبالتأكيد.» قال وهو يضع ذراعه حول كتف الدليل ويصرفه بلطف من رواق المعبد كأنه مضيف يرافق ضيفاً ارهقه السهر الطويل عنده. وعندما عاد إليها، ابتسمت له باشراق. وقالت له: «حسناً. لقد كان ذلك ممتعاً.»

«نعم. أرجو ألا أكون قد افسدت عليك بعض الأمور.»

«موعد، همم؟»

التقت عيناه بعينيها: «سأقوم باتصال من أجل دليل آخر. ان كنت تودين الانتظار هنا...»

هزت كتفيها من دون مبالاة. «لا. لا، ارجوك لا تتعب نفسك! في استطاعتي ان استمر في تجوالي دون دليل. هل هذا ممكن؟»

حملق نيكولو فيها: «اعتقد أنه لا باس بذلك لكنني كمواطن اعرف اشياء لا يعرفها غيري في هذه المدينة.»

«اذاً...»

«لكنني لست دليلاً ولا اتمتع بخبرة واسعة في هذه الأمور، يا كارولين.»

قالت وهي تحني برأسها: «فهمت. هذا يعني انك لن تتمكن من ان تطلعني على مدى طول معبد سيستين؟»

«أخشى أنني لن أتمكن من ذلك.»

«ولا حتى عدد الأيام التي استنفدت في تشييد قصر فارنيسي.»

بدا غير مبال وقال: «لا فكرة لديّ عن هذا.»

ابتسمت كارولين قليلاً «ولكنك لا بد انك تعرف شيئاً عن تاريخ عائلة فارنيسي.»

«نعم، بالتاكيد. ففي الواقع، كان قد انتسب آل فارنسي إلى آل ساباتيني.»

«متى؟»

«ليس من مدة طويلة. وقد كان ذلك في أواخر سنة ١٧٠٠ او ربما في اوائل سنة ١٨٠٠، لا أنكر بالضبط.»

تنهدت مازحة وقالت: «اخبرني عن ذلك الزواج.»

اخبرها عن كل شيء، وهما يعبران الرواق المسقوف. فأخذت تضحك في نهاية القصة.

«آه، هذا ممتع أكثر من ان اسمع كم من اطنان الرخام قد استعمل في تشييد قنطرة قسطنطين!»

قهقه نيكولو ضاحكاً. «أوافق معك. كان ذلك الرجل المسكين مستحيلاً.»

«لا بل اسوأ من ذلك. كان عندي مدرّسة انكليزية تشبهه تماماً. وكانت تدعى السيدة بنغز. كان من المفروض عليها ان تدرسنا الشعر، لكن...»

«لكن كل الذي كانت تتكلم به هو حول الأمتار فقط.»

ابتسمت كارولين له: «وكيف عرفت ذلك؟»

«لأنني عانيت كثيراً من حفظ الشعر الأميركي والذي يعود إلى القرن التاسع عشر وكان الاستاذ في مدرستي يقوم بنفس الشيء.» وتوقفا قليلاً إلى جانب حافة الطريق واحاط نيكولو ذراعه حول خصر كارولين وهو يرشدها إلى الجانب الآخر من الشارع. «وقد تأملت خيراً في الدروس التي كنت اتلقاها في جامعة اميركية، لكن...»

«أية جامعة؟»

«جامعة يال.»

«ذهبت إلى جامعة يال؟»

«نعم، وكان ذلك ما قبل التخرج.»

فكرت بالذي تكلم عنه حول نيو انكلاند في ذلك اليوم الذي احضرها فيه إلى روما، وكيف تجاوبت معه بكبرياء.

«اذاً، أنت تعرف شيئاً حول نيو انكلاند.»

اجاب نيكولو: «لقد عشت في القسم الشمالي الشرقي لمدة ست سنوات، اولاً في كونيكتيكات، ثم في بنسلفانيا. وتخرجت في وارتون.»

«في حقل الأعمال؟»

أجاب مبتسماً: «طبعاً. وهل تؤهل وارتون غير ذلك؟ لماذا تبدو عليك الدهشة، يا عزيزتي؟ هل لأنني تلقيت العلوم نفسها؟»

تورد وجه كارولين. «عنيت فقط...»

«كنت اداعبك فقط، يا كارولين. وعلى أية حال، مهما درس وتعمق المرء في ذلك الحقل، فقد يجد انه من الصعب

عليه التداول في عالم المال. فالبارحة، مثلاً، وفي لقائي في كان...»

«كان؟ تعني، أنك كنت هناك من أجل العمل؟»

نظر نيكولو إليها كمن ينظر إلى شخص فقد عقله. «بالتأكيد. وقد قلت لك ذلك قبل مغادرتي. كنا قد تكلمنا بالتجارة منذ عدة أشهر مع هؤلاء الناس. وهل يرغبون ان نتوسع معهم في منتجعاتهم الفرنسية؟ أو ربما على الشاطىء الإيطالي؟ أو على الريفييرا؟» وكان ما زال يلفها بذراعه وهما يقطعان الشارع مرة اخرى: «ولم يتوصلوا إلى أي قرار. وبعد ذلك، وفجأة، أتوا إلى روما في الأسبوع الماضي. نعم، لقد ارادوا مالاً من ساباتيني. وينتظرون ان يحصلوا على جواب مني شخصياً.»

«تعني، أنك أنت المسؤول المكلف؟»

حدق نيكولو في وجهها وكأنه يتفحصها: «وهل هذا يدهشك ايضاً؟ آه، يا عزيزتي، انك تشبهين لوحاً من الزجاج. انك في غاية الشفافية...»

«تقصد الشفافية.»

«ما الفرق في ذلك؟ فالشمس تعكس على كليهما، اليس كذلك؟»

«لا. اقصد، نعم. لكنك تستطيع ان ترى جيداً خلال واحد منهما، بينما الآخر...»

«بينما الآخر لا تستطيعين.» ومنحها ابتسامة سريعة. «أعرف الفرق، يا عزيزتي. لكن أنت لا تعرفين.»

قالت ضاحكة: «أنا؟ لا تكن سخيفاً.»

«فقد ادعيت منذ البداية، بأنك تستطيعين رؤية ما في داخلي وقراءة افكاري.»

تدفق الدم حار إلى وجه كارولين: «هذا ليس عدلاً.»

«انني الأمير اللعوب. وتحيط بي السيدات من كل حدب وصوب، وثري كبير بينما تنقصني القدرة على ان املأ إبريقاً من الشاي. هل أنا محق في ذلك؟»

«لقد رجعت تخطىء في التعبير مرة أخرى، فيجب ان تقول فنجان الشاي وليس ابريق الشاي.»

هز نيكولو رأسه قليلاً: «أقر بذلك، وانك لست كما ظننت.»

«ما الذي تقصده، بالفعل؟»

قال وهو يبتسم قليلاً: «الذي أقصده، أنني اخطأت في الحكم على مبادىء واخلاقك.»

قالت بتصلب شديد: «نعم لقد فعلت ذلك حقاً.»

«فما كان عليّ ان اقوم بافتراضات سريعة بشأنك.»

«لا. ما كان عليك فعل ذلك.»

ابتسم نيكولو: «انك لا تهوني الأمر، عليّ، يا عزيزتي، اليس كذلك؟»

«ولِمَ عليّ ذلك؟ فقد اهنتني و...»

«وها قد اعتذرت، وهذا شيء أكبر من الذي قمت به.»

فوجئت كارولين بقوله: «أنا؟ لكن...»

غرقت كلماتها في السكون وأخذت تفكر. هل عليها ان تعتذر منه؟ ربما عليها ذلك. فبطريقتها التي اعتمدتها، كانت تهينه في كل مرة كان هو يهنيها فيها.

«كارولين؟» تقدم نيكولو ليقف امامها وهو يبتسم لها. «ما قولك؟ هل سندفن الفأس؟»

كان من المستحيل ان لا تبتسم، فقالت مصححة: «عدت إلى الخطأ بالتعبير، والأصح ان تقول، هل نعقد صلحاً؟»

ضحك وهو يمد يده: «سندفنه على اية حال ومهما كان القول، أتوافقين؟»

نظرت إليه. وكانت ابتسامته توحي عن مودة واخلاص، وادركا فجأة أنه من المستحيل عليهما ان يظلا هنا، في زاوية شارع روماني، وهي تناقش الرجل الذي انتشلها من حال طالما كرهته ليضعها في حال آخر لم تحلم به في دنيا الأحلام.

اتسعت ابتسامتها: «حسناً» ووضعت يدها في يده وكأنها تعقد صلحاً معه.

رفع نيكولو يدها إلى شفتيه، فأحست بقشعريرة حارة تجري في عروقها.

«اذاً، هيا، يا عزيزتي، وسوف اريك مدينتي.»

وعادا إلى منبر روما التاريخي.

قال لها نيكولو: «مشاهدته من السيارة لا يستوفيه حقه.»

لا، فكرت كارولين، وهو يدلها على الأرض القديمة، لا لم تستوفه حقه. كما انها لم تستوفِ حق نيكولو ساباتيني كذلك. كانت تتوقع منه ان يهمس لها بشيء عنب، بدل ان يروي لها قصصاً حول آلاريك، رئيس الحملة الألمانية الذي فتح روما في سنة ٤١٠ م.

«أحرق هذا المبنى الروماني القديم العهد ـ الباسيليسيا اميليا ـ ولم يبق منه سوى الأطلال. وكان ذلك خسارة فادحة على البلاد، لأن هذا المبنى كان قديماً حتى ذلك الحين.»

نظرت كارولين إلى الآثارات والخرائب التي بقيت الآن من ذلك المبنى: «من أي نوع من المباني كانت عليه؟ هل كانت حصناً رومانياً؟ او معبداً رومانياً؟»

«كانت ملجأ للتجار الذين يأتون باستمرار لبيع وشراء السلع.» واحاطها بذراعيه حول كتفيه وتابعا سيرهما. «وقد سمي هذا الملجأ باسم الذي شيده وهو ماركوس اميليوس.»

«فهمت. فقد كان فندقاً صغيراً.»

هزّ نيكولو رأسه غير موافق: «لا، كان مبنى للعموم، والمقصود به ان يحمي التجار والزبائن من العوامل الطبيعية.» وابتسم ابتسامة واسعة. «يتذمر الجميع اليوم من ثقل وطأة الضرائب، لكن في الماضي، كان يفرض على الرومانيين الأثرياء ليس فقط دفع ما يتوجب عليهم من ضرائب لكن المساهمة مالياً في تشييد اماكن عامة، أيضاً.»

ضحكت كارولين قائلة: «قد يظن البعض بأنها فكرة تستأهل الدرس من جديد. وما هذه؟» وأشارت إلى مجموعة هائلة من الحجارة الكبيرة رصت فوق بعضهما البعض.

«انه معبد فينوس. آلهة الحب والجمال. وفي اقصى الشارع كان معبد فيستا. وهذين الالهين في وضع متناقض على بعضهما الآخر، اذا صح التعبير. فقد اقسم من اتّبع آلهة فيستا وهي آلهة النار ان ينذروا نفسهم للعفة والطهارة. وان نخنثوا بقسمهم ونذرهم...»

أشار إلى عنقه وكأنه يريد أن يقول ان الذي يخنث القسم يقطع رأسه، وارتعدت كارولين بخوف. «آه! وكيف كانوا يدفعون بالمرأة لتحيا حياة مثل هذه؟»

«لسبب واحد، وهو الشرف الرفيع.» توقف قليلاً واستطاعت ان ترى نوعاً من الضحك يتماوج في عينيه.

«وكانت الفتيات تقدم إلى الكاهن من عائلاتهن وذلك عندما يبلغن سن العاشرة أو الحادية عشرة من العمر.»

«لكن هذا مريع جداً!»

«لأنها كانت الطريقة الوحيدة ليضمنوا لهن عذريتهن.»

ضحكا بفرح معاً، ثم قالت كارولين باعجاب: «هناك الكثير لنعرفه، فكيف تستطيع أنت ان تتذكر كل ذلك؟»

أمسك نيكولو بيدها بلطف وهما يمشيان: «لقد تربيت على هذه القصص. وكان جدي عالم آثار كبير، و...»

«تعني زوج الأميرة؟»

هزّ برأسه علامة الإيجاب: «نعم، وكان دائماً منهمكاً في الحفريات هنا وهناك. وكان أحياناً يسمح لي بمرافقته. وكان يفرحني جداً أن استمع إلى رواياته التي تعود إلى الأيام الغابرة.»

قالت كارولين مبتسمة: «الأيام القديمة جداً، لكنني اسألك لماذا لم تتبع خطواته كعالم للآثار؟»

«لقد فكرت بذلك الأمر، صدقيني.» وشبك اصابع يده بأصابع يدها: «ولكن عندما بلغت سن الثامنة عشرة، ادركت أنه بالرغم من ولعي الشديد في دراسة التاريخ، ففرحي العظيم يكمن في... حسناً، أظن انك قد تصنفيه بتخطيط الأشياء ثم مراقبتها وهي تنمو.»

قالت كارولين بخفة: «اذاً هذه هي الطريقة التي يصل بها إلى رئاسة مجلس الشركة! بأن تظهر موهبة تنسيق الحدائق.»

ابتسم نيكولو ابتسامة واسعة بينما كان يجلسها إلى جانبه على المقعد الرخامي: «لسوء الحظ، ليس عندي اي

موهبة في أمور الحدائق، يا عزيزتي. وتلقبني آنا إل بوليس نيرو. اي ليست يدي خضراء في الزرع.»

ابتسما لبعضهما، وأخذ يداعب خصلة من شعرها من وراء اذنها. «جاء الآن دورك، مع انني استطيع الإدراك كيف تتوصل المرأة إلى ان تصل عارضة أزياء عالمية. فهي تبدأ حياتها كفتاة صغيرة ناعمة ثم تنمو لتصبح امرأة رائعة الجمال.»

هزت رأسها غير مقتنعة: «كنت بالفعل، فتاة صغيرة بلهاء.»

«أنت؟ لا. لا أصدق ذلك.»

«انها الحقيقة. كنت طويلة جداً، ونحيفة جداً، ويعلو وجهي النمش...»

قال بلطف: «أحب النمش.»

«كانت جدتي تقول ذلك ايضاً، فهي التي ربتني، بعد وفاة والديّ...»

لماذا كانت تطلعه على كل هذه الأمور؟ وماذا يهمه من امر طفولتها، او من أمر جدتها؟ لكنه بدا، ساكتاً لا يتكلم وتعابير وجهه جدية ومهتمة.

«نعم، كان كذلك الحال معي. أهذا الذي جعلك تحبين آنا بهذه السرعة؟ الأنها تذكرك كثيراً بجدتك؟»

أجابت كارولين: «انها كذلك، ولكن قليلاً.»

ابتسم قائلاً: «وكانت جدتك هي التي اقنعتك بأنك ستكونين تلك الفتاة البشعة البلهاء ثم ستغدين امرأة جميلة وساحرة؟»

ضحكت لتقول: «اعتقد أن هذا أقرب إلى الحقيقة.»

وتقلصت ابتسامة كارولين لتتابع قولها: «لكنني لم أفكر قط في أن أكون عارضة أزياء في يوم من الأيام. إنما كان ذلك بعد وفاة جدتي...»

مد نيكولو يده ليميل رأسها نحوه: «لِمَ وجهك حزين، يا عزيزتي. ماذا حدث وقتها؟»

تنهدت كارولين بألم: «لقد كانت مريضة لفترة طويلة. وكنا نقاسي من فقر مدقع. ولا مجال لنا للعمل، لا في شاتام، أو في فرمونت. لذا اضطررت إلى أن أذهب إلى نيويورك، ولم اعثر حتى هناك على اي عمل، حتى لو كنت تحمل شهادة جامعية او ان كنت تطبع مليون كلمة في الدقيقة الواحدة على الآلة الكاتبة. وبعد ذلك...»

«بعد ذلك، وفي يوم من الأيام، التقيت برجل في الشارع.» واخذ نيكولو يقلد لهجة اهالي نيويورك بشكل عظيم. «أنتِ، يا فتاة، هل فكرت يوماً في أن تكوني عارضة ازياء؟»

انفجرت كارولين ضاحكة: «كانت في الحقيقة امرأة وليست رجلاً. وتعمل في دور لعرض الأزياء. وهذا تقريباً الكلام الذي قالته لي، وتقريباً نفس الأسلوب والصوت.»

نهض ومدّ يده إليها. ثم تابعا نزهتهما من جديد.

«هكذا وقّعت عقد عمل في عرض الأزياء العالمية؟»

«لا، ليس عندها. فقد عملت مدة سنتين مع شركات تبيع الملابس بواسطة البريد وعن طريق كتاب موسع عن الأزياء الحديثة. مع سيرس. ومع سهيجال. ومع بني... حسناً، قد لا تعرف انت هذه الأسماء. لكن العمل كان دائماً والراتب لا بأس به.»

«لكن يبدو انه لم يكن كافياً كما يلزم.»

هزت كتفيها من دون مبالاة: «لكنني عرفت، وقتئذ، أن الذي أريده فعلاً هو أن أكون مصممة أزياء. لم يكن ذلك قراراً مفاجأ بالفعل. فلطالما قمت بخياطة معظم اثوابي، و...»

قال نيكولو بلطف: «أصدق ذلك، يا عزيزتي.»

تنهدت كارولين لتتابع: «آسفة. لكن الذين يديرون دور الأزياء في نيويورك لا يطلبونك للعمل الا اذا كنت متخرجاً من معهد كبير لتصميم الأزياء.»

«لذلك قررت العمل كعارضة ازياء والتي راتبها افضل بكثير، وهكذا تدخرين المال اللازم لذلك وتنتمين إلى احدى تلك المعاهد.»

نظرت اليه بتعجب. «هل قلت لك ذلك من قبل؟»

قال مبتسماً: «لا، لكن هذا ما توقعته.»

وتنفست بعمق: «نعم. هذا ما اعتقدته انا ايضاً. ولهذا السبب وقعت على عقد عمل مع وكالة أخرى. وهكذا يزيد راتبي لفترة ما، وأكون قد اقتربت من تحقيق الحلم الذي طالما راودني.» ولوت فمها بابتسامة مرهقة. «وقد جعلوا الأمر يبدو رائعاً...»

«لكنه كان مثل الجحيم في الواقع.»

رفعت رأسها لتنظر في وجهه، فقد كانت نبرة صوته حادة وعيناه تتجهمان غضباً.

قالت بعد لحظة: «لا، ليست جحيماً. اعني، كان من الممكن ان تكون اسوأ من ذلك بكثير.» ورمقته بنظرة ثابتة وعميقة. «على أية حال، الشكر لك الآن ولآنا، لأنني بعيدة عن هذه القصة كلها.»

«نعم. أنت كذلك، يا عزيزتي. ولن تعودي إلى تلك الحياة أبداً.»

لماذا كان ينظر اليها على ذلك النحو؟ وكأنه يعرف شيئاً لا تعرفه هي؟ لقد رأته على هذه الصورة من قبل، في تلك الليلة التي التقيا فيها، عندما كان عازماً على أن يقوم بالأشياء على طريقته، وها هي تراه الآن مرة أخرى، وعندما أشار لها بأنها لن تعود إلى ميلانو...

ارتعدت كارولين بشدة.

«ما بك يا عزيزتي؟ هل تشعرين بالبرد؟»

«اشعر... قليلاً بذلك.» ونظرت حولها، حيث خفت الزحمة، والنهار اوشك على النهاية. وكانت الشمس تعلو في الأفق، وهي تحول تلك الآثارات القديمة إلى أمكنة تبهج النظر، هذا المكان الذي يخطو فيه الرومان فقط، بل البرابرة أيضاً. أخذت ترتجف مرة أخرى فرحة بالجمال الذي يحيط بها: «أظن بأنني لم انتبه إلى أن الوقت قد تأخر إلى هذا الحد.»

عبس نيكولو قليلاً: «أرجو معذرتك، فقد جعلتك تتكلمين كثيراً.»

«يجدر بنا ان نعود. فسوف ينشغل بال آنا بسبب تأخرنا.»

«الذي تعنيه، بأنها سوف تتساءل عن سبب عودتنا المبكرة. هل نسيت، يا عزيزتي؟ فعلينا تناول بعض المشروبات، ثم العشاء، وذلك قبل أن أحاول الشرح لآنا سبب تجاهلي لأوامرها العليا.» ابتسم وهو يحضن ذراعها بذراعه. «اترين ما يقرأ في كل انحاء روما؟ فوق الأبنية، والأرصفة، وحتى فوق علب البريد؟»

نظرت اليه وابتسمت بتردد. «أتعني، م. ش. د؟ نعم. لاحظت ذلك، فماذا تعني هذه الأحرف؟»

«تعني أن مجلس الشيوخ، والشعب، والدولة هم جميعهم يد واحدة وهي عقيدة رومانية قديمة جداً. لكن يجب ان تلحق تلك الأحرف بشيء. وهو م. ش. د. من سمو الأميرة ساباتيني. لأنها تصدر القانون والحكم معاً.» وتحول صوته إلى نوع من اللطف والتملق. «هذا ومع ذلك، هل تستطيعين ان ترفضي كأساً من الشراب المنعش في مقهى فالاديير فوق تلة بينشيو، حيث المناظر الخلابة تمتد إلى ما لا نهاية؟ او من تناول العشاء في مطعم جيرون السادس، حيث يصعب عليك ان تقرري من الأعظم أكثر، هل هي تلك الجدران التي تعود إلى القرن السابع... ام المعكرونة الأصلية بصلصة الجوز الشهية؟»

«المعكرونة الأصلية مع صلصة الجوز؟»

«نعم، وأفضل ما قد تحبذين تذوقه.»

ضحكت كارولين: «تقصد ان تقول، المعكرونة الوحيدة مع صلصة الجوز والتي اتذوقها لأول مرة.»

قال مبتسماً: «لقد عشت حياة حرمان طويلة، يا عزيزتي. ومن واجبي ان اعيد اليك السعادة والرفاهية.»

ابتسما لبعضهما البعض، وشعرت كارولين بانقباض في صدرها. لأن هذا ما كانت تخشاه، فقد قام الآن بتغيرات جديدة، ليس فقط بما يختص بحياتها الشخصية لكن...

قال نيكولو وهو يضع يده فوق كتفها: «ما رأيك بذلك؟»

أخذت كارولين نفساً عميقاً. «الذي افكر فيه الآن، أنني اتضور جوعاً.»

ضمها نيكولو اليه وهو يدلها إلى حيث تركا سيارة الفيراري.

كان نيكولو يراقب كارولين وهي تتناول البقية القليلة من صحن الحلوى. وعندما انتهت من ذلك، وضع فنجان القهوة على الطاولة ثم مال بمرفقيه فوق الطاولة ليحضن وجهه بين يديه.

«ستعتز بك آنا كثيراً. لتناولك انتيباستو ميستو، اي المعكرونة بصلصة الجوز، وسالتيمبكا...»

«تحتوي كل لقمة منها على الف وحدة حرارية.»

هز برأسه موافقاً: «هذا على الأقل.»

«ليس من واجبك ان توافق معي على ذلك، يا نيكولو! بل على العكس عليك ان تهدىء من نفسي وتؤكد لي أنني تناولت طعاماً يحوي قليلاً من الوحدات الحرارية وسيذوب مع الهواء، أو أي شيء يخفف من تلك الوحدات الحرارية التي حواها الطعام.»

ضحك نيكولو وهو يرفع فنجان القهوة إلى شفتيه.

«كنت اتصور دائماً أن عارضات الأزياء يعشن على ورق الخس والماء البارد.»

«هذا ما تفعلنه. كما اقوم انا أيضاً بذلك، فقد ارسلتني الوكالة التي عملت معها إلى مصور فوتوغرافي ليلتقط لي صوراً متنوعة. لكنه قال لي ان ارحل سريعاً وأعود بعد أن أخفف من وزني بضع كيلو غرامات.»

«أكان رجلاً؟»

أجابت كارولين. «نعم، لكنه كان معه حق بذلك، فتلتقط صوراً أفضل عندما...»

«أؤكد بأن لا رجل - ولا حتى مصور فوتوغرافي - يرغب في أن يزيل ذلك الجمال من جسد المرأة.»

كان نيكولو مازال يبتسم، لكن صوته خشن بعض الشيء. وتنحنحت كارولين قبل ان تقول.

«في الحقيقة، كانت تلك المرة الأولى التي خطر فيها على بالي أن ما من أحد يصمم ملابس جميلة، وخياطة متقنة ورائعة للمرأة الحقيقية. و...»

«أهذا ما يهمك، يا عزيزتي؟ أن تكوني امرأة حقيقية؟»

«انني فعلاً امرأة حقيقية، لقد قلت لك، اكره تلك الأشياء التي لا طعم لها والتي يصممها فابيانو للناس، و...»

«أعني اترغبين في الزواج في يوما ما؟ ويكون لك زوج وأطفال؟»

حدقت به. وهي تتساءل كيف تحول الحديث فجأة إلى موضوع شخصي للغاية؟ قالت بصدق:

«لا أعرف فعلاً، أعني، انني لم أفكر يوماً بهذا الأمر.»

«لماذا لم تفكري به؟ فمن المؤكد، ان امرأة تتمتع بجمال مثلك قد سئلت مراراً وطلب منها الزواج.»

رفعت رأسها بعنف: «ماذا تعني بقولك؟»

تعجب نيكولو من حركاتها المفاجئة. «لا شيء، سوى انني لا أستطيع ان اصدق بأن ولا أي رجل سألك الزواج منه.»

تأوهت كارولين وهي تنظر إلى الطاولة: «آه. آسفة. اعتقدت...»

«لكن كان هناك رجال في حياتك، يا كارولين. الم يكن؟»

نظرت اليه. وكان لا يزال يبتسم، ولكن كان هناك معنى في ابتسامته جعلتها ترتعش في داخلها.

ما نوع تلك الأسئلة التي يطرحها عليها؟ انها فعلاً، امرأة حقيقية! أو هل كان يعتقد بانها فقط رأس وجسد، وبانها مفتونة بنفسها وبمهنتها وخالية من المشاعر والأحاسيس؟

«طبعاً كان هناك رجال في حياتي.»

كان هناك فعلاً. واحد أو اثنان. على أي حال، لكن ما علاقته هو بهذا الأمر؟

مال نيكولو قليلاً الامام: «رجال، لكن من دون اي ارتباط فعلي.»

نظرت إليه، تتساءل لماذا ينظر إليها على هذا النحو، وهو يبتسم ابتسامة تدل على أنه يعرف شيئاً لا تعرفه هي؟ قالت من دون اكتراث: «كنت منشغلة، ببناء مستقبلي المهني. وقد قلت لك، انني سأغدو مصممة أزياء في يوم من الأيام، و...»

«هذا عندي أكثر اهمية من أي شيء آخر.»

حبست انفاسها. فما الذي كان يجري لها؟ فهي بالكاد تعرف هذا الرجل، ومع ذلك...

قالت بسرعة: «طبعاً ولماذا لا يكون ذلك؟»

«لماذا، بالفعل؟» كان صوته بارداً، وعلى نحو مسلي أو ربما على نحو ساخر. وفكرت بانه قد يكون على الإثنين معاً، لكنها عندما نظرت اليه، كان يبتسم بارتياح تام. قال وهو يسحب بعض المال من جيبه ويضعه فوق الطاولة، ثم نهض عن كرسيه: «اعتقد باننا قمنا بما فيه الكفاية لهذا اليوم في ارضاء الجميع حتى الأميرة. هل تسمحين بالذهاب؟»

قفلا عائدين في السيارة وهما يغرقان في صمت عميق.

لكنها كانت تحس بشيء غامض بأمر هذا اليوم، وهذا ما كانت تفكر فيه، لكن ما هو هذا الشيء؟ ويبدو على نيكولو الارتياح الشديد الآن، وهو يجلس إلى جانبها، بصلابة جسده المشدود. او ربما كان مشدوداً من الغضب، ومع ذلك لا تستطيع ان تعرف من ماذا.

كان يخيم على القصر سكون شديد عندما وصلا. هذا جيد، فكرت كارولين. فلم تكن في مزاج يسمح لها برؤية آنا، وكل الذي كانت ترغب فيه هو ان تذهب إلى غرفتها وتخلد إلى الراحة، وتطلق العنان لافكارها.

قالت له: «تصبح على خير.» وكان صوتها يرتعش قليلاً، لكنها هدأت من نفسها: «وشكراً لك من...»

وضع نيكولو يده فوق ذراعها. «ليس بعد.» وجاء صوته متوتراً جداً، لكنه ابتسم وكأنه يلطف من ذلك التوتر. «لقد تذكرت لتوي، باننا قد وعدنا آنا برؤية بيازا أي تلك الساحة الرومانية على ضوء القمر.»

«لا. لا، لقد تأخر الوقت، يا نيكولو.»

«شيء ما نشربه.»

«شكراً لك، فانا أريد فقط ان أذهب إلى غرفتي.»

لفّ ذراعه حول خصرها بخفة: «إذاً سأرافقك إلى هناك.»

«لا داعي لذلك...»

وأحست بقلبها يهوي من مكانه. كان هناك شيء فيه غير عادي، وكان في استطاعتها ان تشعر بذلك بسبب ما يختلج في نفسها، لكن ما كان ذلك؟ وعندما وصلا إلى باب الغرفة، استدارت وقالت: «حسناً، ها قد وصلنا، وشكراً لك مرة أخرى، يا نيكولو، من أجل...»

«هل انك فعلاً استمتعت بوقتك، يا عزيزتي؟»

قالت وهي تبتسم قليلاً: «نعم.»

«يسرني ان اسمع ذلك.»

طاطأت برأسها. «حسناً، عمت...»

«كارولين.» وتمكن من ان يلامس شعرها بلطف: «ان شعرك ناعماً مثل الحرير، يا عزيزتي.»

عادت تحس بقلبها يهوي من مكانه: «نيكولو. لقد تأخر الوقت. و...»

«عيناك.» قال وهو يحوي وجهها بين يديه: «انهما بلون بحر الجزر اليونانية.»

«نيكولو.» هل فعلاً صدر عنها هذا الصوت الناعم الرقيق؟ «نيكولو، اسمع...»

«اما شفتاك...» وأخذ يداعب بابهامه ثغرها، «يا عزيزتي ما أجمل هذا الثغر انه لرائع حقاً.»

همست برجاء: «لا، ارجوك.»

مال برأسه نحوها. وطبع قبلة لطيفة، وعذبة لدرجة انها لم تشعر بها.

وابتسم لعينيها الحلوتين. وعاد يميل برأسه نحوها. وأخذت تراقب عينيه الحالكتين، بينما كان يغلقهما باهدابه الطويلة. بدأ قلبها ينبض بشدة.

«نيكولو... نيكولو، أرجوك أن تتوقف...»

«نعم، يا عزيزتي. ها أنا معك. قولي ما الذي تريدينه وسوف أقوم به حالاً وسريعاً.»

هزت برأسها، ودفنته في صدره. «لا أريد... نيكولو، لا أعرف. أنا...»

هذا ما كانت تريده، فقد كان ما أرادته فعلاً. ويعود إلى البداية، وعندما كان يراقبها في معرض فابيانو، بأنها تريده وتحبه. وقد فعلت المستحيل لتنكر تلك الحقيقة، لكن كيف تستطيع ان تنكر ذلك الآن، وهي تختلج حباً وهياماً من ملامسته لها؟

رفعت رأسها، لتنظر في عينيه وهي تأخذ وجهه بيديها. «نيكولو...»

همس بعنف: «آه، نعم.» فقد كان يطوقها بشدة وضحك بلطف. «لقد فهمت الآن بانني على حق. وبأنك لست قطعة من الجليد. بل انت تشتعلين حباً وهياماً.»

كان ذلك أشبه بعاصفة هوجاء فتحت النوافذ وسارت إلى داخل الغرفة. لكنها كانت هادئة بين ذراعيه ولا تخشى شيئاً.

اهتزت كارولين بثورة. وهي تفتش على محول النور. ووجدته اخيراً! اطبقت يدها فوقه، وشع النور واختفى الظلام.

اخذت عينا نيكولو تطرفان من شدة النور المفاجيء: «يا عزيزتي؟»

«لا تناديني يا عزيزتي، أنت... أنت...» وتكورت يدها بشدة: «ارحل عن هذا المكان!»

«كارولين.» قال وهو يحدق بها، والحيرة تتماوج في عينيه: «ماذا هناك؟»

«ارحل أو امنعني عن ما ساقوم به، فسأصرخ عالياً جداً بحيث اوقظ كل من في البيت! وسأوقظ اسلافك! كما يمكنني ان أوقظ نصف سكان روما!»

www.elromancia.com

تلاشت ابتسامة نيكولو، وتحولت إلى غضب شديد. وهو مازال يقبض بقوة على يدها إلى أن أحست بأنها ستبكي من الألم. لكنها لن تمنحه ذلك الاقتناع والرضا عن نفسه. وبالمقابل، وقفت تواجهه تماماً، ورأسها مرتفع بكبرياء، وعيناها ثابتتان على عينيه.

«نساء على شاكلتك يلعبن بالعاب خطرة، يا عزيزتي.»

«انك لا تعرف شيئاً حول نساء مثلي!»

قال غاضباً: «انك تشبهين آريانا، هذا كل ما أعرفه.»

تحول عنها وخطى خطوات واسعة نحو الفناء واختفى.

الفصل التاسع

أخذت كارولين تزرع ارض الغرفة الانيقة، بخطوات عنيفة ذهاباً وإياباً، وكانها نمرة في قفص.

كان ذلك في صباح مبكر، وكانت الشمس ترسل اشعتها من النوافذ وإلى الحديقة الواسعة الغناء، وغنى طير اعذب الحانه من فوق غصن من اغصان الشجر. وكان كل ما استطاعت أن تفكر فيه هو ما حدث الليلة الماضية في غرفتها وما كاد يحدث، والذي دون أي شك كان سيحدث، لو أن نيكولو لم يكشف النقاب عن حقيقة نواياه في الوقت المناسب.

ذلك الوقح والمعتد بنفسه واللعين! فلو لم يكشف عن نفسه في تلك اللحظة لكان الأمر قد انتهى بها إلى ما كان مراده.

لوت كارولين فمها بامتعاض. ولكن بالمقابل، فقد اصبحت نوعاً ما عضواً في مكان قد يطلق عليه اسم النادي الرائع.

«انك تشبهين آريانا تماماً.» قال وقتها في قرف شديد، لكنه كان في الواقع مديحاً لها! والذي يبدو، بانها وآريانا كانا عضوين - ولا تدري ان كان هناك غيرهما، لكنهما الوحيدتان - من اللواتي يحملن هذا الشعار، ارفض مشاركة نيكولو ساباتيني ناديه ومخدعه.

مما لا شك فيه أن آريانا الغامضة كانت امرأة تتمتع بذوق رفيع.

توجهت كارولين إلى النافذة ووضعت يدها بعنف عند

حافتها. إنها لم تكن في هذه الحالة من الغضب ولا يوم في حياتها. ولا حتى، عندما يظهر أحد ما، كعاشق سمين، بشع يحاول التمسك بها. على الأقل رجال على شاكلته كانوا واضحين بما يرمون إليه، فلم يخططوا ويتآمروا عليها بخبث ومكر.

هذا ما كان قد فعله نيكولو. وهذا ما كان يعني نهار ومساء ليلة البارحة وكانت تلك المزحات الصغيرة، والابتسامات التي كان يمنحها اياها بمكر، وحكاياته عن طفولته، وعن مدينته الحبيبة، لم تكن تعني شيئاً سوى تصميم ذكي للنيل منها لكن الأسوأ من ذلك كله أنها كانت سهلة الانقياد له. وقد تصرفت بغباء شديد معه. ولا شيء، وما من شيء تكافأ عليه في ذلك.

جلست كارولين على حافة سريرها، وهي تحاول أن تبعد عن تفكيرها وقائع ذلك المشهد المخزي، لكن كان ذلك من المستحيل. فمحاولتها في أن تمحي تلك الأمور من رأسها كانت تتردد بعناد كبير في أجواء غرفتها.

كانت تستطيع أن تسمع ترداد هذا الاسم في اعماقها عندما كانت تناديه بشوق، «نيكولو، ارجوك...»

نهضت ومشت في الغرفة، وتناولت فرشاة شعرها بحدة، وبدأت تسرّح شعرها بضربات غاضبة. إنها حساسة وسريعة التأثير، وكان يعرف الأمير ساباتيني العظيم ذلك. فقد كانت في بلد غريب عنها، ومن دون اصدقاء ولا عائلة، وتتكلم القليل من لغتهم...

«اللعنة على ذاك الرجل!» همست كارولين بعنف وهي تعيد فرشاة الشعر إلى طاولة الزينة.

كم تكرهه! إنها بدأت الآن تحسب الدقائق الباقية لها لتخرج من بوابة القصر الأمامية، وهي مطمئنة من أنها لن تعود ابداً إلى رؤية وجه ذلك الرجل الروماني النبيل الذي ينال كل ما يريده. ولولا آنا، لكانت تركت المكان عند الفجر الباكر.

لكنها لم تستلطف الخروج هكذا وببساطة من حياة تلك السيدة، ليس قبل أن تحضرها نفسياً لذلك. ولا بد من شرح يفي بالغرض.

«إنني في غاية الشوق إلى بلادي الأميركية، يا آنا.» قد تقول لها هذا. وسوف تقول بعد يوم أو يومين، أن اشتياقها اصبح ملحاً أكثر، وانها في غاية الأسف وعليها أن تغادر روما في الحال.

إنها مدينة للأميرة بالشيء الكثير. ولم يكن الذنب ذنبها بل الذنب كله على ذلك الحفيد النذل.

أما بالنسبة لنيكولو. اشمأزت عندما فكرت به. فالقصر كبير جداً، ويستطيعان تجنب بعضهما بسهولة، إلا، ان تصرفت بغباء، فسيكون سعيداً تماماً لذلك.

القت كارولين نظرة اخرى في المرآة وقالت لنفسها: «كل ما عليك هو ان تصمدي ليومين بعد.»

إن حاول نيكولو الاعتراض على ذلك لأنه اشترى عقد عملها السابق فسوف تقف له بالمرصاد، وليفعل ما طاب له فعله!

كان قد غادر القصر عندما نزلت من غرفتها لتناول طعام الإفطار، وهذا لم يدهشها قط. وكانت آنا تثرثر هنا وهناك، وهي تشرح بأن نيكولو استدعي في وقت مبكر من هذا اليوم ليقوم بعمل من الأعمال.

«نحن لم نحتفل بعشاء تكريمي في هذا البيت منذ مدة طويلة! واعرف بعض الضيوف المدعوين لهذا العشاء، يا كارولين! هؤلاء الذين يعملون لحساب نيكولو. السينيور تومبا وزوجته، وآل سبينليس، وآل فالنتس وابنتهما الساحرة...» ابتسمت آنا وامسكت بيد كارولين. «لكن الخبر الأفضل هو أن احد الضيوف اميركي الجنسية! واحد من بلدك أيتها العزيزة والذي قد يساعد في تحسين مزاجك!»

هزت كارولين برأسها وكأنها لا توافق على ذلك: «لا اعتقد ذلك،» ثم تابعت بسرعة: «أشعر... أشعر بتوعك في صحتي اليوم. واود أن اتناول عشائي في غرفتي.»

قالت آنا بسرعة: «هذا هراء. فكل ما تحتاجينه هو سهرة كهذه.»

«آنا...»

عادت تشد الأميرة على يد كارولين. «آه، ارجوك، يا عزيزتي، لا تخيبي رجائي! فانا لن استمتع بوقتي، عندما اعرف انك تسهرين وحيدة في غرفتك.»

حدقت كارولين بآنا. كيف لها أن تمضي سهرة تضم نيكولو ساباتيني؟ فالموت اهون عليها من ذلك، لكن، وعلى أية حال، ستكون السهرة الأخيرة لها في هذا القصر.

قالت وهي تحاول الابتسام قليلاً: «في هذه الحالة. كيف استطيع عدم تلبية دعوتك الكريمة لي؟»

اشرقت آنا بسعادة ظاهرة. «عظيم، عظيم. والآن دعيني افكر... ما هي الأصناف التي ساطلب من الطباخ أن يعدها؟»

كانت كارولين تحس مع حلول الساعة الثامنة بهواجس كثيرة. وفكرت بانها ما كانت تسمح لنفسها في أن تليي

سألتها آنا: «هل استمتعت بوقتك البارحة، يا عزيزتي؟»

أجابت كارولين: «آه، نعم.»

اتصل نيكولو. فاحضرت لوتشيا الهاتف إلى آنا.

قالت آنا بسعادة: «نيكولو.»

لم تنصت كارولين لتستمع إلى الحديث، ليس لأنها لا تفهم تلك اللغة الإيطالية ذات الرنة الموسيقية، بل لأنها كانت تحضر نفسها لتشير إلى موعد مغادرتها، كانت تتجنب ذلك الموضوع، ولكنه آن الآوان له لكي يوضع موضع التنفيذ.

قالت، بعد أن انتهى الإتصال الهاتفي: «آنا. كنت افكر...»

«نعم، يا عزيزتي؟ ماذا هناك؟»

«إن الأمر فقط.. حسناً، انني سعيدة جداً من تحسن صحتك.»

«آه، انني متاكدة من ذلك! فشكراً لك.»

هزت كارولين برأسها لتقول: «اظن عليك أن تتوجهي بالشكر لأطباءك، وطبعاً لنفسك.»

قطبت الأميرة حاجبيها. «ما الأمر، يا كارولين؟ تبدين في غاية التعاسة.»

«حسناً، انني.... انني اشعر بالتعاسة قليلاً. واعتقد أن ذلك يعود لمدى اشتياقي لأرض الوطن.»

«إذاً جاءت اخباري الجديدة في وقت مناسب جداً!» ابتسمت السيدة العجوز بسعادة: «سوف يحضر نيكولو ضيوفه معه للعشاء الليلة. وهم اصدقاء عمل، تستطيعين أن تسميهم كذلك، الأشخاص الذين قابلهم في الاسبوع الماضي.»

«إنني متاكدة من أن ذلك سيسعدك، يا آنا.»

رغبة آنا لولا أن هذه الأخيرة حاولت التأثير عليها بلطفها ولباقتها، وفكرت أيضاً وهي تنتعل الحذاء الأسود ذو الكعب العالي في قدميها، فقد اقمست اليمين بأنها سوف لن تمضي لحظة واحدة في رفقة نيكولو مرة اخرى، ولكن ها هي الآن قد اشرفت على تحمل وجوده لا تدري إلى كم ساعة من الوقت.

ثبتت كارولين من عزيمتها ومشت نحو المرآة. فالوقت اصبح الآن متأخراً للتراجع عن ذلك. ما عليها سوى أن تصر على اسنانها وتقاوم ذلك الشعور في تلك السهرة. وهذا ما قد يجعل من آنا على الأقل أن تتذكر في يوم من الأيام، أن كارولين اعلنت لها عن رحيلها. وقد يجعل من الأمر أكثر سهولة.

القت على نفسها نظرة ناقدة، وهي تمايز نفسها في المرآة من جميع جوانبها، بدت باردة لكن مرتبة في ثوبها الأنيق، وعلى هذا النحو سوف تتصرف في هذه الليلة، وهي تكره هذا الواقع الأليم في أن تمضي سهرتها برفقة نيكولو مما جعلها تشعر باضطراب في امعائها.

ارخت شعرها إلى الوراء بعناية، وهي تشبكه من كل جانب بدبوس كانت تستعملها جدتها فيما مضى. وضعت زوجاً من الاقراط الذهبية ذات الشكل الدائري في اذنيها، ثم رطبت شفتيها كي ترسم فوقهما تلك الابتسامة التي طالما خدمتها وهي تقوم بعرض الأزياء فوق خشبة المسرح.

هبطت السلالم إلى ردهة القصر، حيث استطاعت أن تسمع همهمات الأصوات الصادرة من غرفة المكتبة.

قالت آنا بينما كانت كارولين تدخل الغرفة: «ها أنتِ، يا عزيزتي.»

«كنا في الحديث عنكِ الآن.» ودارت الرؤوس في اتجاه كارولين، فما كان عليها سوى أن تبتسم بادب.

«آسفة لتأخري يا آنا.»

«انك لم تتأخري، وحتى لو تأخرت، فإنك فعلاً من يستحق الانتظار من أجلها. تبدين رائعة.» قالت آنا مبتسمة وهي تمسك يدها: «دعيني اقدمك لبعض ضيوفنا الأعزاء.»

كان من الصعب أن تتذكر تلك الاسماء الكثيرة، خاصة وهي في ذلك التوتر الشديد. وبحثت بعينيها عن نيكولو. أين هو يا ترى؟ فقد كان الأمر غير مريح وهي تعلم أنها ستواجهه في أية لحظة لكن الأسوأ من ذلك عدم معرفتها متى سيكون ذلك.

قالت آنا مبتسمة: «آل فالنتس. وابنتهما الساحرة صوفيا.»

حولت كارولين انتباهها إلى الزوجين اللذين في خريف عمرهما، واللذين كانا يبتسمان لها بتحية من لغتهم الانكليزية المتصدعة كانت صوفيا الجميلة تناهز الثامنة عشرة، كاحلة العينين، وهي تبتسم بخجل وتهمس بلطف. «بونا سيرا»، اي مساء الخير.

«اخيراً ولكن اؤكد أنه ليس الأقل شاناً، مواطنك، السيد روبرت كالدر.»

كان كالدر رجلاً طويلاً وممشوق القامة في سنواته الثلاثين ويرسم ابتسامة واسعة وينطق بلهجة الغرب الأوسط من اميركا.

قالت آنا: «ساتركك بين يدي السيد كالدر الامينتين.» واخذت تتسع ابتسامة الرجل الاميركي أكثر.

«رأيك صائب، ايتها الأميرة.» قالها بسحر دل على أنه حسن المعاشرة: «حسناً، حسناً، أيتها الآنسة بيشوب. فانا لم أحلم قط بأن أرى جمال اميركي في قلب روما.»

ابتسمت لتقول له: «ما الذي جاء بك إلى ايطاليا، يا سيد كالدر؟»

«ناديني باسمي، بوب، ارجوك. ان مؤسستي تحبذ وتتعاون مع جماعة تجار الأمير ساباتيني.» قال وهو يدير برأسه إلى الجهة الأخيرة من الغرفة: «و...»

لكن كارولين توقفت عن الاصغاء. فقد كان نيكولو يقف حيث اشار بوب كالدر، وكان الشخص الوحيد الذي لم يكن على معرفة من حضورها. كان يرتدي بذلة رسمية، سوداء اللون، اظهرت جمال منكبيه العريضين وليونة جسده الممشوق، وكان رأسه الروماني الأسود يميل نحو سيدة تقف إلى جانبه.

واحست بانقباض في داخلها. فكرت، آه، يا نيكولو.

التفت لينظر إليها، وكأنه كان جواباً لها. واحست للحظة أن عينيه اللتين تشبهان الياقوت الأزرق كانتا ملتهبتين، ومن ثم قال شيئاً للسيدة، ولمس يدها بخفة، واخذ يخطو في ارجاء الغرفة.

تراجعت خطوة إلى الوراء بحركة غرائزية واخذت تحف بيدها على حصان مرمري وضع فوق قاعدة.

ابتسم بوب كالدر ووضع يده على ذراعها في الوقت الذي وضع نيكولو يده أيضاً.

«كارولين.» وانتقلت عيناه إلى يد كالدر، ثم تحولت إلى وجهها: «أرى انك تعرفت على السيد كالدر.»

قهقه كالدر: «بالتأكيد، يا سمو الأمير. احذرك بأنني سوف احتكر هذه السيدة اللطيفة طوال السهرة.»

سأل نيكولو: «أهذا صحيح؟»

«هناك الكثير نود ان نتكلم بخصوصه، اليس كذلك، يا كارو؟» ثم تابع مبتسما. «لا تمانعين ان ناديتك بكارو؟»

قالت بسرعة: «ارجوك افعل ذلك. هكذا ينادونني في بلادي.»

ما كانت قضيتها بالتحديد؟ فما من أحد ناداها بذلك الاسم، وكانت دائماً كارولين هكذا، ودائماً تهوى البساطة وعلى النحو القديم من اسمها. وكيف كانت تسمح لبوب كالدر بأن يضع يده فوق ذراعها بهذه الطريقة؟

قال نيكولو: «كم هذا جميل.» وغدا صوته أكثر برودة، ولكن لم يلاحظ كالدر ذلك. ثم منح كارولين ابتسامة سريعة خالية من المرح: «كانت آنا على حق عندما قالت انه عليك أن تنضمي إلى سهرتنا هذه.»

ضاقت عينا كارولين. إذاً، فقد كان لا يرغب بحضورها إلى هذه السهرة.

لكنها استطاعت أن تبتسم بأدب. «بدأت أشعر بارتياح بسبب السماح لها باقناعي بالانضمام اليكم.»

بدا نيكولو ثابتاً لا يتحرك وخلا وجهه من أي تعبير، وفهمت بأنها اصابت هدفها تماماً.

«أود التحدث إليك للحظة، يا كارولين. من فضلك.»

نظرت كارولين إلى بوب كالدر. سألته بعذوبة: «اظن انك لا تمانع، اليس كذلك؟» لكن، وقبل أن يتمكن من الإجابة، جذبها نيكولو من ذراعها وأخذها جانباً.

قال لها بصوت غاضب ومنخفض: «ما نوع هذا الهراء الذي تقومين به؟»

«هراء؟ ماذا تعني، بقولك هراء؟» وتملصت كارولين قليلاً من قبضة يده: «انتبه، يا سمو الأمير، فإنك تعرض نفسك إلى شيء ملفت للنظر.»

«ربما نسيت، يا كارولين أن مثل هذه الأشياء لا تعني لي شيئاً.»

«ولا حتى في قصرك العظيم؟» قالت ذلك وكانا قد وصلا إلى زاوية خالية من الغرفة وجذبها نيكولو نحوه ثم ارخى يده إلى جانبه.

«لماذا قبلت دعوة الأميرة؟ من المؤكد انك عرفت بأن لا رغبة لي في ان تنضمي لهذه السهرة.»

«لم تكن لي رغبة في أن اكون هنا منذ اليوم الأول لكن تستطيع أن تكف عن قلقك هذا. لأنني سأرحل عند الصباح.»

قال وقد فاجئته بهذا القول: «سترحلين؟ هذا هراء أكثر فلن تغادري هذا المكان إلا بإذني.

اتسعت عينا كارولين لتقول: «بإذنك؟ بإذنك؟ لكره ان افجر الهالة الملكية التي تملكها، يا صاحب السعادة، لكنني اقول انني حرة في البقاء أو في الذهاب كما اشاء.»

قال بصوت منخفض، لكنه مهدد: «لقد نسيت نفسك. انك في بيتي، يا عزيزتي. وأنا الذي يصدر القوانين هنا، ولا أحد غيري. وسوف تغادرين عندما اسمح لك أنا بذلك، ولا دقيقة واحدة قبل ذلك.»

«نيكولو؟» قالت آنا ساباتيني مبتسمة وهي تقف حاجزاً بينهما: «لقد وصل السيد بوشامب، يا نيكولو.» ونقلت

ناظريها بين وجه حفيدها الذي يستشيط غضباً وبين وجه كارولين الشاحب. «ما الذي يجري بينكما انتما الاثنان؟»

تنفس نيكولو بعمق. «لا شيء، يا عزيزتي.» ابتسم واخذ يد جدته، وقبلها. «كنت وكارولين نتباحث في الوقت الملائم لتذهب فيه إلى النوم.»

ضحكت آنا وقالت: «لقد حلت المشكلة، إذاً. سأصعد حالا بعد أن ننتهي من تناول القهوة. والآن، هيا، يا نيكولو، اذهب ورحب بضيفك.» ووضعت يدها على ذراع كارولين. «وأنا سأهتم بكارولين.»

لكنه بوب كالدر الذي اهتم بهذا الأمر. فقد جاء بكأس لها، ثم قدم لها لفافة سجائر. انه فعلاً ساحر، وبارع في هذه الأمور، لكن ومع أن كارولين كانت مهذبة، فهي لم تمنحه الشجاعة. في الواقع، كانت افكارها تتجه حول إنهاء هذا الموضوع. ولم تستطع أن توقف التفكير بنيكولو، وكيف عاملها، ليس فقط معاملته لها الليلة الماضية لكن أيضاً منذ لحظات قليلة فأي نوع من الرجال كان هو؟

كان من الواضح أن صوفيا فالنتس تعرف أي نوع من الرجال كان هو. فقد كانت نظرات الاعجاب تطل من عينيها في كل حركة كان يقوم بها وهي تبتسم له وبدأ ذلك يتوضح أكثر مع استمرار السهرة. وتمسكت بكل كلمة قالها على العشاء، وحتى بعد تناول القهوة، عندما استأذنت الأميرة الحاضرين وذهبت إلى غرفتها لتخلد إلى الراحة. وهب من كان حاضراً إلى غرفة الجلوس، وكانت تجلس صوفيا على متكأ عند قدميه وهي تحدق في وجهه باجلال.

«انظري فقط إلى تلك الطفلة التي تنظر إلى الأمير بعيني

حب المراهقة الذي يزول سريعاً.» قال كالدر ذلك وهو يقهقه بلطف.

كان يبدو أن نيكولو هو الوحيد الذي يغفل عنه تودد واعجاب الفتاة به، وهذا كان غير حميد، فكرت كارولين بسخط. وهذا كل ما تحتاجه طفلة من هذا النوع. انها صغيرة السن. بريئة. طيعة بين يديه. تماماً مثل صفحة بيضاء وجدت خصيصاً لتتلاءم مع رجل مثله.

وضعت كارولين فنجان القهوة جانباً وقالت: «عذراً.» وتركت المكان تقصد غرفة الزينة في آخر الرواق. وجلست على المقعد الرخامي واخذت تنظر إلى نفسها في المرآة متسائلة. هذا شيء سخيف. ما كان هناك حتى تزعج نفسها هكذا؟ فقد كان قلقها أن مجرد ما ترى نيكولو في السهرة سيعكر مزاجها، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل، عدا الذي حدث في البداية والذي لم يكن في الحسبان. وإلى أن يأتي الصباح...

وسمعت نقراً خفيفاً على الباب.

«نعم؟» قالت كارولين وخطت صوفيا فالنتس إلى داخل المكان.

«ارجو أن لا اكون متطفلة، يا سينيوريتا.»

«لا، ابداً. كنت على وشك المغادرة.»

«اتساءل ان كنت تسمحين بدقيقة واحدة؟»

نظرت كارولين إليها: «طبعاً. ماذا هناك؟»

بلعت صوفيا بريقها: «انه هكذا... لا أعرف كيف أفسر ذلك؟ انه ليس من السهل عليّ أن اقول، سينيوريتا.»

«أخشى بأن اقول لكِ انني لم افهم منك شيئاً.»

ترددت صوفيا. واستطاعت كارولين ان ترى بأنها تستجمع قواها، وبعد ذلك خرجت الكلمات من فمها باندفاع: «أريد أن تعرفي بانني لست اغار من وجودك في القصر.»

نظرت كارولين إليها مندهشة. «ولماذا عليك أن تكوني كذلك؟»

«أعني، اعرف أنك جميلة. اجمل امرأة في العالم، وأكثر بكثير.»

ضحكت كارولين: «يا لهذا الاطراء، يا صوفيا. فأنا لست معتادة على مثل هذا الكلام.»

جلست الفتاة قربها: «لكنك لست من نوعية السعادة على الاطلاق. وإنني افهم ذلك.»

ابتسمت كارولين: «ليس من مبرر كي اكون كذلك.» ثم تابعت ببرود. «فإنني هنا لأمضي رفقة حميدة مع الأميرة ساباتيني، وليس برفقته هو.»

وضعت صوفيا يدها فوق ذراع كارولين: «يبدو أنني لم احسن التعبير. والذي اردت قوله، انني لا اشعر بأي حقد تجاهك، يا سينيوريتا.»

«حسناً، هذا جيد منك! والآن، إن كنت تعذريني...»

«اعتقد أنك ادركت بأن الأمير من الطراز القديم.»

«إن كنت تعنين أن الأمير يود باننا قد نكون افضل إذا عادت عجلة الزمن مئتي سنة إلى الوراء، فالجواب سيكون نعم.»

«والدي أيضاً، يؤمن بالعادات والتقاليد القديمة.» والتقت عينا صوفيا بعيني كارولين. «مثل، استعدادات الزواج.»

«حسناً، إنني ما زلت لا...» وسكتت وكأنها فوجئت بأمر ما. «الزواج؟ زواجك... والأمير ساباتيني؟»

«آه، ارجوك، اطلب منك ألا تتفوهي بكلمة واحدة لأي احد!» وحدقت الفتاة بقلق في كارولين، وكأنها وجدت ان الضيوف جميعهم تجمعوا في هذه الغرفة معهما: «ان الاستعداد لم يحدد بعد. فهمت، لماذا تنظرين إلي هكذا، يا سينيوريتا؟ فخطوبة من هذا النوع ليست من النوع غير المألوف، حتى اليوم، وفي عالمنا هذا.»

اذاً نيكولو وهذه الطفلة على وشك أن يتزوجا! وهو كان يعلم بذلك، وبرغم ذلك كان يحاول دائماً أن يمتلكها.

قالت الفتاة بنبرة قلقة: «هل ازعجتك بشيء ما؟»

اخذت كارولين نفساً عميقاً. ثم قالت بهدوء: «لا، على الاطلاق. انني اتساءل فقط عن سبب ثقتك بي.»

«اعتقدت ـ وعللت لنفسي ـ بأنك قد تستطيعين مساعدتي. فامرأة مثلك قد تعرف الطرق النافعة لجذب الرجل...» وتورد خداها خجلاً: «... إلى الحب.»

«أنا؟» وحارت كارولين من أن تضحك أو تبكي: «اتريدين مني أن ساعدك في أن تغوي نيكولو ليحبك؟»

التهب وجه صوفيا: «انه يعاملني مثل طفلة صغيرة. مع أنه لطيف جداً معي ومعهم أيضاً، لكنه ابداً لا... وذلك عندما ينظر إليّ...» وبلعت بريقها. «ان كنت تستطيعين، ربما، أن تقدمي لي بعض الاقتراحات، فهمت، وذلك كي استطيع بعد ذلك ان احرك الأشياء بمفردي...»

شعرت كارولين بغضب شديد في داخلها، ليس من الفتاة الساذجة الصغيرة، بل من نيكولو، نيكولو بأخلاقه الفاسدة، بأساليبه العالمية الكاذبة، وبمحاولاته في الوصول إلى قلب امرأة واستعمالها كي يقضي حاجاته، لكانت المرأة في

عمر الثامنة عشرة أو في الرابعة والعشرين أو حتى في السبعين من العمر...

قالت الفتاة بتعاسة: «ما كان عليّ أن اطرح عليك مثل هذا السؤال. ارجوك سامحيني...»

وقفت كارولين. وقالت بثبات: «عندما نعود إلى الداخل. دعي عينيك عليّ وعلى السيد كالدر.» ودفعت نفسها إلى الابتسام: «وإنني متأكدة من أنك قد تختارين بعض الأفكار.»

فتحت باب غرفة الزينة واسرعت عبر الرواق، وسمع صوت خطوات حذائها فوق ارض الغرفة الفيسفسائية. وسمعت صوت الموسيقى العالية من غرفة الجلوس. وتوقفت عند الباب لتأخذ نفساً عميقاً، ودخلت بطريقة كانت قد اقسمت على عدم العمل بها مرة أخرى، فكانت خطواتها طويلة ومثيرة، ورأسها مرفوع بحيث تحرك شعرها فوق كتفيها، ولوت فمها بشكل مثير وجذاب.

كان نيكولو يقف في الطرف الأخير من الغرفة، ويتكلم مع بوب كالدر.

«بوب.» قالت بانشراح، وبنبرة عرفت أنها ستلفت انتباه الآخرين. ومدت ذراعيها بينما دار الرجلان ونظرا إليها. رأت نظرات نيكولو تضيقان، وبعد ذلك تجاوزه كالدر، وهو يمد يديه أيضاً ليعانق يديها.

«ها أنت من جديد، يا بوب. خشيت لوهلة، انني قد اضيعك.»

ابتسم كالدر بسرور وهو يشابك اصابعها: «غير ممكن أن يحدث ذلك، يا كارو.»

«عظيم.» وشعت ابتسامتها أكثر. «فانا أكره ان اضيعك، بهذه السرعة بعد أن عثرت عليك.»

تورد وجه كالدر. ولف خاصرتها بذراعه واخذ ينظر إليها مبتسماً باعجاب. وشعرت باقتراف الذنب، لأنه رجل طيب جداً ولا يجوز أن يعامل أو يستعمل بهذه الطريقة.

التفتت ساعتئذ ورأت نيكولو يراقبهما، وكان وجهه متجهماً مثل عاصفة هوجاء، ورفعت رأسها بتعالٍ. هذا جيد، يا أمير، فكرت ببرودة. انظر وهذا الشيء الوحيد الذي يحق لك أن تفعله، سوف تنظر ولكن من دون أن تلمس، ولا مرة واحدة بعد.

تابعت ابتسامتها ومالت أكثر إلى كالدر، حتى تترك خصلات شعرها الذهبية تلامس خده.

«حدثني عن نفسك.» قالت كارولين. وهكذا فعل، بشكل بدا وكأنه لن ينتهي ابداً. وكارولين، التي لم تكن قط قد اكتسبت فن المغازلة، تصرفت طبيعياً كما تقوم بعملية الشهيق والزفير. وكانت تسترسل بالضحك لمزاح كالدر الذي لا ينتهي، وتجد دائماً سبباً وجيهاً كي تلمسه.

رأت نيكولو يراقبهما بطرف عينيه. هذا ما ارادته بالتمام، وتابعت ابتساماتها لحكايات كالدر. وقالت في نفسها، أيها اللعين... راقبني وتساءل ما كان قد حدث لو لم اطردك بعيداً عني تلك الليلة الماضية، راقب وفكر لو انك فعلت ما تاقت نفسك إليه، ذلك لو اذنت أنا بذلك...

تأوهت بصوت صغير، عبّر عن شيء تعاني منه، وأوقف كالدر سرد حكايته.

«كارو؟ هل هناك شيء ما؟»

قالت بسرعة: «لا، على الاطلاق كنت فقط افكر... كنت

أفكر كم أنها مضيعة للوقت، جمال هذه الموسيقى الرائعة ولا احد يشارك في الرقص.»

ثم تردد كالدر لحظة. فأخذها من يدها وتوجه بها إلى وسط القاعة، حيث دارت وارتمت بين ذراعيه. وضمها إليه وهو يلف يديه حول خصرها، ودفنت رأسها تحت ذقنه واخذت تتمايل مع الموسيقى، ومن ثم تنحنح كالدر بصوته.

«كارو؟ كنت افكر. عندما تنتهي هذه الحفلة، ما رأيك لو نذهب إلى أي مكان ونتناول شيئاً؟ فأنا اقيم في فندق هيلتون، و...»

«يا له من اقتراح ممتاز، يا سينيور كالدر.» جاء صوت نيكولو حاداً مثل حد السيف، مما جعلهما ينفصلان عن بعضهما واخذا يحدقان به. «لكنني اخشى أن لكارولين ارتباطات اخرى عندما تنتهي هذه الحفلة.» وتحولت ابتسامته إلى نوع من السخرية: «اليس هذا صحيحاً، يا عزيزتي؟»

تقدم أكثر واحاط خصرها بذراعه، وكانت وحدها كارولين تدرك بأن ضغط يده على خصرها كان اشبه بالقساوة والتسلط.

«نيكولو، لا تفعل!»

«لا تخشي شيئاً، يا عزيزتي، فسيتفهم السينيور كالدر الأمر.» ولمس فمه شعرها بطريقة امتلاكية بحتة: «كان لكارولين وأنا مشادة صغيرة ليلة البارحة، يا سينيور.» ثم هز كتفيه من دون مبالاة وضحك. «لا بد أنك تعرف كيف يكون هذا؟ يقول الرجل والمرأة في بعض الأحيان لبعضهما أشياء غير مستحبة أو مقبولة.»

«هذا ليس صحيحاً! أنت وأنا...»

«اخشى، أنه عليّ أن اتقبل بعض الملامة.» وابتسم ابتسامة ذات معنى كي يفهم كالدر. «جعلت الأمور تسيء أكثر بـ... كيف تقولين ذلك؟... بأنني ربما لم تكن قبلاتي على النحو المطلوب.»

كان وجه كالدر يتورد خجلاً، لكن لم يكن ذلك التورد أكثر من تورد وجهها! وهزت كارولين رأسها ومنحت كالدر نظرة توسل.

«لم يفعل ذلك! اعني، لم نفعل! بوب، اصغي إليّ...»

تنهد نيكولو: «لكنني اعترف، يا سيدتي الجميلة. بأن الذي لم افعله على الأقل، هو أن ارسل لكِ زهوراً اليوم، أو أي شيء صغير لأثبت لك مدى عاطفتي... ولذا، ارادت أن تبادلني بما فعلته واعارتك اهتماماً بالغاً الليلة، يا سينيور. حسناً، نحن نعلم جيداً كيف هن النساء، أليس كذلك؟»

خبطت كارولين بقدمها على الأرض. «اللعنة عليك، يا نيكولو! ولا كلمة من الذي قلته حقيقة واقعة. انك تكذب! بوب، اقسم. بأنه يكذب...»

«اكذب؟ نيكولو ساباتيني، يكذب؟» وقطب حاجبيه غضباً. «هل تدعوني كاذباً، يا سينيور كالدر؟»

هز كالدر رأسه بغباء.

«بالفعل. انني رجل صبور، يا سينيور. وافهم انك كنت رجل بريء وانخدعت بلعبة كارولين الصغيرة، لكنني اؤكد لك، لن اسمح بأن انعت بالكاذب.»

«إنني... إنني لم أقل ذلك، يا سمو الأمير.» وتعثرت الكلمات وهو يبلع بريقه ليقول: «و... وانني آسف إن كان هناك سوء تفاهم حول... حول...»

«إنني اتقبل عذرك.» قال نيكولو ذلك بكياسة ولباقة.

«انتظر لحظة! علا صوت كارولين محذراً. «انتظر فقط لحظة واحدة...»

قال وهو يبتسم بلطف: «فات الآوان. اعتقد أن من واجبي أن القي تحية المساء على ضيوفي.» ودار بها نحوه، وقبلها فوق شفتيها: «اصعدي إلى غرفتك، يا عزيزتي. واجعلي نفسك جميلة أكثر من أجلي. وارتدي ذلك الثوب الحريري الأبيض الذي اهديتك اياه الأسبوع المنصرم؟ وسوف اقوم باعتذاراتي لك.» وربت على كتفها وهو يبتسم، ثم دفعها بلطف نحو السلالم.

حدقت كارولين به، كمن اصيبت بصدمة، واحست بأنها تكرهه بغضب اعمى. ودارت نحو كالدر اخيراً، ولكنه حجب عنها عيناه.

هاجت بغضب شديد: «نيكولو. أنت... أنت...»

«قلت لك انها نمرة شرسة.» قال لكالدر، الذي بدا مبتسماً رغماً عنه: «هيا، يا عزيزتي. اعدك، بأنني لن ادعك تنتظرين طويلاً.»

ارادت أن تصرخ، وتلعنه في كل مكان. لكنه كان قد دار وتوجه بخطوات واسعة نحو غرفة الجلوس.

كان آخر ما رأته، وقبل أن تدور لتصعد السلالم، هو الاحراج الذي ظهر على وجه كالدر، والصدمة الواضحة على وجه صوفيا فالنتس، والتي وقفت في زاوية مظلمة.

الفصل العاشر

فتحت كارولين باب غرفة نومها، ثم اغلقته بعنف وراءها. ذاك اللعين! ذاك الحقير! ذاك الذي لا قيمة له، وصاحب الدم الأزرق العنيد.

خلعت حذاءها ورمته بقوة على أرض الغرفة. وتمتمت بحقد: «أكرهك، يا نيكولو ساباتيني.»

وبدأت تمشي في أرض الغرفة والانفعالات النفسية تعصف بها. «هل تسمعني؟ انني اكرهك!»

إنه لا يسمعها بالطبع. لأنه ما زال في الطابق الأسفل من القصر، وهو يمثل دور المضيف الساحر.

«يا له من ساحر.» تمتمت بغضب وهي تلقي بنفسها فوق السرير. لو فقط يعرف هؤلاء الناس ما تعرفه هي...

مع أنها تعرف بأن هذا لن يأتي بأي إفادة. لأن نيكولو قادر على التملص من أي شيء. أما ذلك الحقير بوب كالدر، فقد ظهر منه الموافقة لكل ما يعرفه نيكولو عن المرأة. وكان السينيور فالنتس قد أظهر عن رغبة قبوله صهراً له. وكانت تلك الطفلة الغبية صوفيا، ترغب بحماس شديد بأن تقبل به مهما كانت صفاته وتصرفاته!

نهضت كارولين من سريرها. فغضبها في الليلة الماضية لم يكن شيئاً أمام ما حصل في سهرة هذه الليلة. لكن كيف تجرأ نيكولو وعاملها بهذه الطريقة؟ لقد سبق وفرض نفسه على حياتها، وقام بمشاريع لا خيار لها

فيها سوى ان تعطيه وتنفذ ما يقول. وعندما حاولت أن تظهر وتعبر عن آرائها وشخصيتها، قام بإذلالها.

إنه ظالم والظالم لا يشعر بالألم الذي قد يسببه للآخرين. الم تطعن هي بدورها غطرسته المتمردة؟

لقد داس نيكولو على شخصيتها منذ اليوم الأول لها معه، لكنها ستقول له وداعاً صباح اليوم التالي، بعد أن تودع آنا...

«لا!»

قالت كلمتها هذه في سكون المكان. لا، سوف لن تنتظر حتى صباح يوم غد كي تصل الرسالة لذلك اللعين، فكرت بسخط وهي تخطو نحو باب الغرفة وتفتحه بعنف. سوف يسمع ما تريد قوله الآن. وفي هذه الليلة بالذات. ولو رماها خارج القصر بعد ذلك، ماذا سيحدث؟

هبطت السلالم إلى بهو الطابق الأرضي، وكانت تسمع خطوات اقدامها وهي تسير بعصبية وطرقت الباب.

«نيكولو!» صاحت وهي تفتح باب غرفة المكتبة، كانت الغرفة خالية من اي شخص. ربما يكون في غرفة الاستقبال.

إنها خالية، أيضاً، وكانت الحديقة يلفها الظلام أيضاً.

حدقت بالسلالم العريضة بقي هناك مكان واحد قد يكون موجوداً فيه: إنها الغرفة الخاصة في الطابق الثالث. فأسرعت تصعد السلالم من دون أي تردد.

ظهر لها ضوء خافت ينبعث من أحد الأبواب. وخطت بخطوات واسعة نحوه. ورفعت يدها ولكن قبل أن تطرق الباب، ترددت قليلاً.

ربما يكون افضل لها أن تنتظر حتى الصباح كي تواجهه فقد كان شديد الغضب.

تنتظر؟ وكيف تستطيع ذلك؟ كيف ستسمح أن تمر دقيقة أخرى دون أن تسأله وجهاً لوجه، ماذا في إمكانه أن يفعل من وراء اكاذيبه وتلميحاته؟

رفعت كارولين يدها وطرقت على الباب بشدة. وصاحت بعنف: «نيكولو! افتح الباب!»

لكنها صدمت بسكون عميق. قالت بحنق واخذت تطرق على الباب بكلتي يديها: «هل تسمعني، يا نيكولو؟ اريد أن...»

فتح الباب فجأة، واصطدمت بنيكولو يقف منتصباً، وهو يرتدي سرواله فقط ولا شيء آخر، ويبتسم ببرودة ودهاء. قال بأدب وهو يغلق الباب خلفها: «يالها من مفاجأة ساحرة لم تخطر على بالي.»

«اريد أن اتحدث معك.»

«طبعاً، يا كارو.»

«لا تناديني بهذا الشكل!»

«لا؟ آسف على هذا الخطأ الفادح. ببساطة ظننت بأنك تفضلين أكثر أن ينادى عليك باسم الدلع والغنج أكثر من اسمك الحقيقي. اليس هذا ما قلته لصديقك، السيد كالدر؟»

«إنه ليس صديقي. ولا يهمني ان دعيت هكذا ام لا.» ونظرت إليه بتحدٍ. «وليس بالطريقة التي تلفظت بها.»

«آه. فهمت. تفضلين أن يقال الاسم باللكنة الأميركية.»

«اتسمح بأن تتوقف عن هذه المساخر؟»

«من ماذا؟»

«من الذي تقوله.» قالت وهي تشير بيدها: «اقصد ان تتوقف عن الكلام بهذه النبرة التي ترمي الى اشياء واشياء.»

قطب نيكولو حاجبيه: «ماذا يعني ذلك؟»

«يعني... يعني...» ونظرت إليه ثم تنفست عميقاً: «لا يهم ماذا يعني ذلك. قلت لك، إنني اريد التحدث معك.»

ضاقت عيناه. «ألا يمكن أن ننتظر حتى صباح يوم الغد؟»

«كلا. فإنه لا ينتظر ابداً.»

طوى ذراعيه فوق صدره، وقال: «إذاً تكلمي.»

حدقت كارولين فيه. لم يخطر في بالها بأنه كان في طريقه إلى النوم. لكنه واضح أنه كان كذلك، ولهذا السبب كان قد خلع عنه قميصه.

اشاحت بنظرها عنه لتقول: «استطيع ان انتظر إلى أن تضع قميصاً عليك.»

«إذاً يمكنك أن تنتظري إلى يوم غد، يا عزيزتي. لأني غير مستعد أن ارتدي شيئاً قبل ذلك الوقت. والآن إما أن تقولي خطابك الصغير أو...»

«خطابي الصغير؟ يقوم الأطفال والأغبياء بخطابات صغيرة. نيكولو، انني لست من أي منهما.»

ابتسم لها ابتسامة باردة: «لست بطفلة، يا عزيزتي. لا، انك حتماً لست كذلك. أما بشأن الرأي الثاني...»

«هذا ما كنت تحاول أن تثبته هذه الليلة، أليس كذلك؟ في أن تجعلني ابدو وكأنني غبية حمقاء! لكن...»

«انني لا اصدق بأنك لا تتمتعين بصفة من الاثنتين. إنني مقتنع تمام الاقتناع بذلك، يا كارولين.»

عادت تنظر إليه.، ولكن بصمت.

«كارولين؟ يدهشني سكوتك، مع انك جئت إليّ وكلك رغبة بأن تكلميني.»

«لست معتادة على أن أتناقش مع رجل شبه عارٍ. انني لا اطلب

شيئاً كبيراً ومتعباً إذا سألتك ان تلبس قميصاً، يا سمو الأمير.»

قال من دون أي اكتراث: «إذا كان ذلك يرضيك.»

اشارت برأسها بالايجاب وتحول هو إلى باب في آخر الغرفة. وتنفست كارولين الصعداء بعد اختفائه تماماً. ففي هذا الوضع يشعر أي كان بالخسارة. لكنها جاءت لتجابهه بأمر رحيلها، وليس للتمتع بمشاهدته عارياً...

حاولت أن تهدىء من نفسها. وتذكرت بأنه لديها دقيقة أو دقيقتان لتستجمع قواها قبل أن يعود نيكولو.

طوت ذراعيها فوق صدرها وأخذت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. وهي تقنع نفسها بأن تركز على شيء آخر عدا الذي تشعر به. مثل التركيز على هذه الغرفة نفسها.

فقد كانت غرفة واسعة، ينيرها نور لطيف ينبعث من ضوء رائع في زاوية الغرفة وكانت السجادة التي تحت قدميها من النوع الفارسي القديم. وكانت هناك مدفأة رخامية في مكان يقابل الباب، مشت ببطء ومررت بيدها فوق أحد المقاعد المخملية التي إلى جانبها. وإلى الجانب الآخر وضعت طاولة صغيرة صفّ عليها حجر الشطرنج.

ادهشتها هذه الغرفة قليلاً. فقد كانت تحوي اشياء نادرة مثل أي غرفة من غرف القصر، ولها أيضاً طعم آخر، وكأن صاحبها اراد تأثيثها بأشياء ترضيه أكثر من أن تؤثر فيه.

«إذا كنت انتهيت من التجوال في غرفتي، قد تستطيعين الآن أن تباشري بالحديث.»

دارت كارولين بحركة مفاجئة. فقد كان نيكولو يقف في وسط الغرفة، ينظر إليها. ونظرت إليه تتفحصه فقد كان ما زال عاري القدمين، لكنه وضع قميصاً عليه.

رفعت كارولين رأسها بتعال: «وافترض انك تظن بأنني جئت إليك اطلب منك ان تعتذر مني.»

«لا ارجو ذلك. فإذا كنت تطلبين فعلاً ذلك، فلا شك بأنك تضيعين وقتك.»

أحست بالدم يغلي في عروقها. هذا ما لم يكن في الحسبان. ففي الوقت الذي مضى بين طرق باب غرفة نيكولو والدخول إليها، كانت قد خسرت الفائدة من الغضب المتملك منها. وإذا لم تكن حذرة بما فيه الكفاية فستكون في موضع تعرف تماماً أنه غاية مطلبه. وهو موقفها الدفاعي الدائم الذي تقوم به دائماً.

«ماذا كنت تقصد وراء افعالك في هذه السهرة؟»

مشى نيكولو إلى خزانة ذات ابواب زجاجية: «اتعنين، بعد قيامك بتلك المغادرة المتهورة؟» وفتح باب الخزانة واخرج منها زجاجة وكأس. «لقد أكدت اولاً لصاحبك السينيور كالدر بأن شركته لن تؤثر ابداً على اعمال شركة ساباتيني...»

«اتقول صاحبي؟ إنه ضيفك وليس ضيفي.»

«والذي حدث لم يكن خطأ منه.» تابع وكأنها لم تقل كلمة واحدة. وفتح الزجاجة ثم سكب بعض الشراب في كأسه. «وبعد ذلك ودّعت ضيوفي. هل تذكرينهم، يا عزيزتي؟ هؤلاء الاشخاص الذين جاءوا الى بيتي لقضاء السهرة، وكانوا يتوقعون عشاء شهياً، وشراباً فاخراً، واحاديث ممتعة. لكنهم وبالمقابل صدموا بعرض سوقي شنيع؟»

قالت كارولين بعنف: «كان العرض السوقي الوحيد قد صدر منك هذه الليلة. وتجرأت بأن تدعني ابدو...»

«لقد طلبت منك مراراً وتكراراً بأن لا تكوني غير مهذبة في حضوري!»

«طلبت؟ طلبت؟» وخطت كارولين إلى الأمام. «انك لم تطلب مني شيئاً ابداً، يا صاحب السعادة الملكية! واراهن واؤكد بأنك لم تطلب شيئاً في حياتك كلها! بل الذي تفعله هو انك تأمر وتأمر، أنت... أنت...»

«لا عجب في أن لا يكون أي رجل في حياتك.» ووضع بعنف كأسه على الطاولة: «من يستطيع أن يتحملك؟»

«إنها ليست مسألة تحمل. إنما مسألة احترام!» قالت وهي تحملق في وجهه بغضب: «ربما تتقبل المرأة الايطالية أن تعامل وكأنها طفلة صغيرة، اما المرأة الأميركية...»

«ارجوك!» ودفع نيكولو يديه عالياً. «لقد تعلمت ما فيه الكفاية حول المرأة الاميركية. وأنت على حق. فأنا لا افهمها. لكنني لم اظهر سوى الاحترام إلى أي امرأة كانت.»

«كيف تستطيع قول هذا؟ فقد عاملتني هذه الليلة مثل...»

قال آمراً: «مثل ماذا؟ اكنت تفضلين أن اقوم بشيء كان يقوم به الرجل في السنين الغابرة التي مضت؟ هل تريدين مني أن ادق عنقك؟»

«أرأيت؟ ها أنت تتكلم مع المرأة وكأنها طفلة. لكن وعلى أية حال، هكذا نوع تفضله في المرأة عامة، اليس كذلك؟ واحدة قد تكون صغيرة السن، ولا حول ولا قوة لها و...»

«إنك تتصرفين بسخافة يا عزيزتي.»

وخبطت كارولين بقدمها ارض الغرفة. «لا تناديني بالعزيزة، أيها اللعين!»

«طبعاً فأنت لست معتادة على لفظة لطيفة كهذه.»

«وألح عليك أن لا تناديني بالعزيزة. لأنني لست عزيزة على قلبك، وهذا امر يغيظني...»

«سأناديك بالذي اريده. ففي الأيام الغابرة...»

«لكننا نحن لا نعيش في تلك الأيام الغابرة. إنني اراهن بأنك تتمنى لو كنا كذلك! هل هناك اداة للتعذيب في مكان ما تحت ارض هذا القصر؟ أو سلاسل حديدية معلقة على الجدران؟ أو زنزانة لتسجنني فيها؟»

«كانت المرأة تعرف مقامها في بيت الرجل في تلك الأيام الماضية.»

«هل عدت إلى هذا الحديث! فأنت لا تترك فرصة إلا وتذكرني فيها بأنني اسكن تحت سقف بيتك، أليس كذلك؟»

«نعم؟ كيف قمت بكل ذلك، يا كارولين؟ بأن سحبتك من ميلانو ومن بين يدي ارتورو سيلفيو ومرافقيه؟ ومنحتك وظيفة محترمة؟ ودفعت لك راتباً محترماً؟» ومد يديه ليقبض بشدة على كتفيها. «قولي لي، كيف واصلت في أن انكرك بمدى سلطتي ونفوذي؟»

«اتركني، يا نيكولو!»

«لقد عاملتك باحترام بالغ. لقد عاملتك بكرم وكياسة. وكيف بادلتني ذلك؟» واخذ يرتجف غضباً. «إنك جعلتني ابدو غبياً بين اصدقائي وزملائي في العمل، ولقد تصرفت برخص شديد...»

«اين كنت تخبىء ذلك الكرم، والكياسة، والاحترام عندما حاولت اغوائي مساء البارحة؟»

وابتسم ابتسامة مغرية. وقال: «لقد كنت راغبة في هذه المشاركة، يا عزيزتي.»

احست بتورد خديها، لكنها رفضت ان تتوقف عن التحديق به. «انك لا تفكر بأحد سوى نفسك، اليس كذلك؟»

ضحك وقال: «اعتبر ذلك نقداً بقدراتي كعاشق؟»

قالت بحدة: «إنه تعليق لاذع عن تصرفك بشكل عام. فعندما افكر بتلك الطفلة التعيسة...»

رفع حاجبيه متعجباً. «أية طفلة تعيسة؟»

«لا ادري ايهما اسوأ من الآخر، انك لا تحترم ارتباطك معها، أو أنك تظن بأن ذلك لا يهمني عندما اردت أن تضع لي شركاً للنيل مني بينما كنت تعلم طوال الوقت، بأنك أنت وهي...»

«إنك تقفزين من موضوع إلى آخر، كأنك برغوثاً في غرفة تملؤها الكلاب! فكيف يستطيع أي رجل كان أن يعرف عن ماذا تتكلمين بالتحديد؟»

قالت بعنف شديد: «انك تعرف تماماً عمّا اتكلم. عن تلك الفتاة المسكينة...»

«قلت اولاً انها طفلة تعيسة، والآن تقولين فتاة مسكينة. فتعبيرك الأول كان يعني انها حقيرة جداً ولا حول لها ولا قوة. لكنني ما زلت لا ادري عمن تتكلمين.»

«صوفيا فالنتس، هي المعنية بهذا الأمر. ألا يهمك أن تعلم بأنها تحبك.» ورسم ابتسامة رضا حول فمه فيها الكثير من الاعتداد بالنفس.

«نعم، اعرف. ماذا يمكنني أن اقوم حيال ذلك؟ سوف تنسى ذلك مع مرور الزمن، لكن وإلى ذلك الحين...»

«إنها ستنسى ذلك حتما مع مرور الزمن. لكن الزواج هو الدواء الشافي لها من أي...»

«الزواج؟ مني أنا؟ تلك الطفلة؟»

«اوافق، بأنها ما زالت طفلة، لكن، لا والدها ولا انت نفسك ستوقفها عن التفكير بذلك. والذي يجعلها مرغوبة أكثر، هو صغر سنها الذي يجعلها اداة طيعة بين يديك...»

«ما الذي تتفوهين به، يا امرأة؟»

حدق نيكولو بها بينما كانت تحاول أن تحافظ على توازنها النفسي. إنها كانت غاضبة، نعم، لكن لماذا كان صوتها يرتجف على هذا الشكل؟ لماذا كانت نبضات قلبها تتسارع، وكأن قلبها سيهوي في داخلها؟

«دعيني افهم ما ترمين إليه.» قال ذلك ببطء. ثم مشى إلى الطاولة حيث ترك كأسه، ورفعه، وشرب الباقي دفعة واحدة: «إنني على وشك الزواج من صوفيا كي اتمتع في نعيم حبها الصغير...»

قالت كارولين في عنف شديد: «يقال حب سن المراهقة.»

«متى نتزوج، سأهمس في اذنها بعض الكلمات السحرية واحولها من تلك الطفلة إلى السيدة التي تنفذ اوامري بحماس شديد. اهذا ما تعتقدين به؟»

«يبدو ذلك قريباً من الحقيقة.»

استشاط نيكولو غضباً. «ومن منحك هذه المعلومات الرخيصة، يا عزيزتي؟»

«انك تحطم قلب الفتاة، يا نيكولو فهي تحبك، و...»

«حبها لي ليس سوى افتتان فتاة ما زالت على مقاعد الدراسة.» وعاد يضع الكأس بعنف فوق الطاولة. «والدها وانا ننتظر اليوم الذي ستنضج فيه، ولكن...»

«لا تكذب فأنت سوف تتزوج منها! وقد قالت انك ووالدها قد قمتما باستعداد ما...»

توقفت عن كلامها وهي مرتبكة كثيراً فقد كان نيكولو مستغرقاً بالضحك، وكأنه سمع اعظم نكتة في العالم.

«هي اخبرتك؟ اخبرتك الفتاة هذه الاسطورة البديعة،

وأنت صدقتها؟ اظهري لي بعض الاحترام، يا عزيزتي. هل تظنين حقاً بأن رجلاً مثلي سيهتم بطفلة مثلها؟ لقد تكلمت مع والدها، فعلاً. تكلمنا حول افتتانها الشديد بي، ثم اتفقنا أن نعالج الموضوع بأن نتجاهل الأمر. اؤكد لك يا كارولين، انني عندما أقرر أن اتزوج فسوف اختار المرأة التي تتلاءم ومركزي. والذي لم افهمه، هو لماذا يبدو عليك الألم من حلم صوفيا.»

«قلت لك لماذا. ظننت...»

«لقد قلت لي الآن بماذا ظننت.» ونظر إليها نظرة طويلة فاحصة. «كنت تظنين بأنني سأنال منك بالرغم من تلك الخطوبة المزعومة. وكنت مغتاظة.»

«طبعاً. فلن يكون ذلك صحيحاً ان...»

«لماذا اغاظك الأمر؟ مع انك تظنين انني ذلك الفاسق اللعين الذي يمشي وهو يزهو بنفسه فوق سطح الأرض، ولماذا كانت ردة فعلك شخصية؟ ولماذا باشرت باذلالي؟» وطوق عنقها بيديه، وكانت لمسته هادئة وناعمة فلم يكن اي خيار امامها سوى أن ترفع رأسها لتقابل تحديقه بها.

«وجدت شيئاً... كيف استطيع قول هذا؟ وجدت شيئاً خارجاً عن النظام المفروض هنا.»

ارادت ان تنظر بعيداً، إلى مكان غير عينيه، لكن كان ذلك من المستحيل عليها «ان كنت لا تفهم شيئاً بسيطاً مثل الاخلاق. إذاً...»

ابتسم وقال بلطف: «هل أصابتك الغيرة؟»

قالت بشك بالغ: «الغيرة؟ ها قد عدت تخطىء بالتعبير في لغتك الانكليزية، يا نيكولو. إنني لا أغار ابداً. بل كان

يغمرني غضب كلي. وهناك فرق شاسع بين الاثنين.»

منحها ابتسامة لاهية: «هل هناك فعلاً أي فرق؟»

ابتعدت عنه بحدة. وبسرعة تمكن من أن يلتقط ذراعها. وقال: «انظري إليّ، يا عزيزتي.»

احنت رأسها بحزن وقالت: «لقد فات الأوان جئت إليك فقط كي اطلعك على أنني عازمة على الرحيل صباح غد.»

«يا عزيزتي، يا حبيبتي. انظري إليّ، أرجوك.»

«لقد قلت لك، لقد فات الأوان و...»

«اوافق.» ولفها بذراعيه، وارادت ان تدفعه عنها، لكنها احست بدفء بشرته من تحت قميصه المفتوح، وشعرت أيضاً بأنها فقدت الإرادة. «ان الأوان قد فات كثيراً...» ومال قليلاً ليلامس شعرها بشفتيه واخذت تترنح بين ذراعيه:

«كان عليّ أن انال منك منذ وقت بعيد.»

«كيف تستطيع قول ذلك؟ فأنا لا...»

«ماذا؟ لا تريدينني؟» وشد بوجهها نحوه، إلى أن التقت نظراتهما وابتسم عندها، وهو يظهر اسنانه البيضاء: «حسناً جداً، يا عزيزتي. لكن قولي لي هذا وسوف اتركك سريعاً.»

«تظن بأنك ذكي لهذه الدرجة، ولكن أنا... أنا...»

حبست انفاسها عندما همس في اذنها: «إنني احلم بك، يا عزيزتي.» واخذ يداعب خصلات شعرها الذهبي.

وهمست له: «نيكولو.»

انطلقت الكلمة وكأنها تتنهد في ظلال تلك الغرفة. وتمتم نيكولو بعطف مثير في اذنها. لكنها لم تفهم تلك الكلمات، فما الحاجة للكلام الآن... فقد كان يضمها بحنو شديد واختلطت دقات قلبيهما.

«تكلمي.» وحوى وجهها بيديه. «انظري إليّ، وقولي ما الذي تريدينه مني وسوف انفذه لك، يا عزيزتي.»

نظرت إليه ببطء، واخذت تحدق في وجهه. بذلك الوجه المتغطرس لقد جعل قلبها يعصف بدقاته منذ المرة الأولى التي رأته فيها. وكانت تصر بأنها لا تريده، لكنه اصر على موقفه. وكان الأمر اشبه بكذبة. والآن، وفي هذه الغرفة الخافتة الضوء، نسيت تلك الأكاذيب والاعذار.

ابتسمت له باسترخاء وهي تلف عنقه بذراعيها.

«نيكولو.» عادت تهمس له. كان ذلك كل ما نطقت به، فتاوه وامسك بيدها، ليطبع قبلة فوق راحتها.

همس هو أيضاً بعاطفة جياشة. «يا حبيبتي.»

قالت له بلطف، وهي تتأمل محياه الجميل: «انك فاتن.»

ابتسم وقال: «انك أنت الفاتنة والجميلة، يا حبيبتي.»

واحست بأنها تحبه كثيراً. بكل قلبها وجوارحها. وهمس نيكولو باسمها، وضمها إليه ثم قبلها.

«انك كل شيء في حياتي. اتسمعينني يا عزيزتي؟ انك كل شيء في حياتي.»

لكنها لم تكن. لم تكن كل شيء في حياته.

فكيف تكون تلك، عندما لم تكن تلك المرأة التي احبها؟

الفصل الحادي عشر

كان نيكولو يداعب خصلات شعرها الذهبي تارة وتارة اخرى يتأمل ملامح وجهها الفاتن. ويقبل بحنو خدها المتورد خجلاً.

قال بأعلى صوته: «كم أنتِ رائعة وجميلة.»

«انك أنت الرائع، يا نيكولو.»

ضحك بلطف: «هل سنتجادل حول من هو الرائع اكثر؟»

قالت له بحنو: «ربما علينا أن نتفق بأنها مجادلة بريئة لن يتمكن احد منا أن يفوز بها.»

«هل تعتقدين ذلك؟»

«أأعتبر ذلك تحدٍ؟»

ضحك، وقال: «هل هي عبارة اميركية أخرى، يا عزيزتي؟ وماذا تعني؟»

«تعني أن لا مجال لك بأن تثبت بانني على خطأ، يا نيكولو. فإن قلت عنك انك رائع، ثم قلت انت عني انني رائعة، فهذا يعني أننا على وفاق تام.»

«احذرك يا عزيزتي، يوجد هناك طريقة واحدة فقط تضع حداً لهذا النقاش.»

احست كارولين بالدم يجري حاراً في عروقها. فابتسمت له بعطف كبير ثم همست له: «ما هي تلك الطريقة؟»

تمتم نيكولو: «يا نمرتي.»

ابتسمت كارولين: «اعتقد أنني انتصرت في هذا النقاش.»

ضحك ثم جذبها نحوه. «اخلدي إلى النوم الآن. وعندما،

تشفي من ذلك الانتصار، نعود إلى المعركة مرة اخرى.»

كان من الصعب عليها أن تفكر أنها منذ ساعتين كانت تشعر وكأنها تسلقت منبر الخطابة في الساحة الرومانية الواسعة واتهمت الأمير نيكولو ساباتيني وكل اهل روما.

عادت تبتسم مفكرة. الآن فقط، اعترفت اخيراً بأنها تحبه فعلاً، وبأنها احبته منذ التقيا، كما أنها تستطيع أن تعترف بأن تلك الصفات التي يتمتع بها هي التي جعلته ما كان عليه وصوّرته بالرجل المميز.

أية امرأة لا تعشقه؟ وأية امرأة لا تحبه؟

جاءها الجواب كسراب يداعب ابداً مخيلتها. انها اريانا، واخذ ذلك الاسم ينكر بقسوة في داخلها. لأنه يريد اريانا، لكنها لم تكن تريده.

تململت كارولين قليلاً. وتساءلت لم فكرت بآريانا في هذا الوقت بالذات؟ وقد كانت تريد فقط أن تفكر بنيكولو، وبطريقة عناقه لها وهي بين ذراعيه.

احست بجفاف في حلقها. وكان نيكولو يتمتم بكلام في نومه، وحبست انفاسها، ثم انتظرت إلى أن يتوقف عن التمتمة. وبعد لحظات قليلة اسرعت وخرجت من الغرفة.

أخذت تمشي على رؤوس اصابعها في الهدوء الذي يلف القصر ثم هبطت السلالم. ووصلت إلى غرفتها وهي تشعر بانهيار وتعب كبيرين في نفسها.

خلعت كارولين عنها ملابسها وحذائها، ومشت في أرض الغرفة. وفكرت بأنه ما من نهاية سعيدة لذلك الأمير الوسيم ولتلك الأميرة الرائعة الجمال، واستلقت في سريرها مرهقة. فهذه الأمور السعيدة تحدث فقط في الأساطير

الخرافية. انها روما، حيث الأساطير القديمة تتواصل فيها بعزم وعناد.

أحست كارولين بقشعريرة باردة. والقت بظهرها على الوسادة. وفكرت بأنه عليها أن تغادر اليوم. وطبعاً سيغضب نيكولو بشدة، ولكنها لا تريد التفكير إلى أي مدى سيكون هياجه. ولكن لتبقى، ولتكذب على نفسها في كل مرة تكون بين احضانه وهي تعلم جيداً أنه يحلم بامرأة أخرى، لن يحطم قلبها فقط بل سيفتته إلى فتات صغيرة.

اخيراً، استغرقت في نوم عميق. وعندما استيقظت كارولين، كانت الشمس ترسل اشعتها عبر النافذة. وحدقت في الساعة التي على طاولة إلى جانب سريرها. فكرت بأن هناك متسعاً من الوقت لتستحم وترتدي ملابسها قبل مجيء لوتشيا،لتقدم لها أول فنجان من القهوة ليوم جديد.

دخلت الحمام بسرعة، عليها أن ترى آنا على انفراد، كي تودعها قبل أن تلتقي نيكولو مرة اخرى.

ارتدت ملابسها بسرعة وكانت عبارة عن تنورة بيضاء وقميص قطني كحلي اللون. وعادت تحدق بالساعة. هل توضب امتعتها الآن ام بعد أن تواجه نيكولو؟

سمعت طرقاً على الباب. هتفت كارولين: «تفضلي.» وفتح الباب: «شكراً لك، يا لوتشيا. ضعي فنجان القهوة على الطاولة من فضلك.»

لكن وبنفس الوقت امسكت بكتفيها يدان قويتان. همست: «نيكولو؟» واحست بقلبها يهوي وهو يديرها نحوه. كان وسيماً للغاية، ابتسمت له قليلاً: «ظننت أنك لوتشيا.»

«انك تتكلمين الايطالية بشكل جيد، يا عزيزتي.»

«ليس تماماً. حفظت فقط بعض الكلمات والجمل.»

«إنه أمر يتعلق بالتعابير وهو الذي يجعل الفرق كبيراً. اتريدين أن القنك بعضها؟»

قالت وتلاشت ابتسامتها: «نيكولو، يجب أن نتكلم.»

«نعم. سنفعل، متى منحتني تحية صباح مناسبة، مثل هذه.»

قبلها بعذوبة متناهية لا تقبل الجدل مما جعلها لا تستطيع مقاومته. ابتسم لها وهو يتراجع خطوة إلى الوراء كي يتأمل عينيها.

«الآن. هل هناك طريقة افضل في لغتك لتحية الصباح، يا عزيزتي؟»

هزت كارولين رأسها، ثم وضعت جبهة رأسها فوق ذقنه. قالت وكأنها تقر بذلك: «لا اظن أن هذه الطريقة معتمدة عالمياً.»

«كارولين.» ووضع نيكولو يده تحت ذقنها ورفع رأسها نحوه: «لماذا تركتني، يا عزيزتي؟»

تنفست بعمق وأبعدت يديها عنه وقالت: «هذا ما اردت أن اكلمك بشانه، يا نيكولو.» تحولت عنه لتنشغل بترتيب السرير. «لقد راجعت بعض الأمور، و... وقررت بأنه سيكون من الأفضل...»

اطبق ذراعيه حولها: «اتركي هذا فسوف تقوم به لوتشيا.

«انه لا يحتاج إلا لدقيقة واحدة. إنني...»

«كارولين.» ودار بها نحوه وطبع قبلة على جبينها. «سبب خروجك البارحة من الغرفة كان لأنك لا تريدين المجازفة حين تلتقين بأحد الخدم هذا الصباح وأنت تعبرين القاعة، أليس كذلك؟»

ترددت قليلاً: «نعم، لكن...»

«كان عليّ أن افكر في ذلك.»

قال وهو يتنهد: «لكنني كنت انانياً ولكني اردت أن استقبل نور الشمس معك وهي ترسل اشعتها الذهبية على وجهك.» واقترب منها ليقبل اذنها: «لقد اشتقت إليك.»

اغمضت عينيها. وهي تحث نفسها على أن تقول له انها ستغادر، لكنها قالت: «لقد اشتقت... أنا ايضاً، لك.»

ووضع يده على شعرها، واخذ يرفعه عن كتفيها، ثم يفلته ليتناثر من جديد وقال: «فكرت بأن آخذك إلى أماكن في روما. والتي أعرفها أنا. ليست روما التي في كتاب الدليل. بل إلى الينابيع في بيزا نافونا، ومن بعدها إلى فونتانا دي ترفي، وإلى كامبو دو فيوري حيث نستطيع شراء ما سنحتاجه من شراب وماكل في نزهتنا...»

«نزهة؟ هنا، في روما؟»

«إن ذلك ممكنا. في استطاعنا أن نجلس ونتناول طعام وشراب نزهتنا في فيلا بورغز. لكني اعرف مكاناً خاصاً في كامبانا - أي في الريف - حيث تشاهدين كروم العنب والقصور القديمة جداً والتلال المنحدرة، حيث نستطيع تناول شراب. ما رأيك بذلك يا عزيزتي؟»

«إنه شيء رائع. لكن...»

«هناك مكان نستطيع فيه أن نراقب غروب الشمس على تلال تولفا. ومن ثم نعود إلى المدينة لتناول العشاء في مطعم صغير في تراستيفير حيث ستاكلين افضل طبق في روما كلها، وهو كارسيوفي آلا جيديا.»

قالت ضاحكة: «اتناول ماذا؟»

«انها الأرضي شوكي أو الخرشوف، تصنع على الطريقة الرومانية.»

«لكنني لا احب الأرضي شوكي.»

«لكنك ستحبينها على طريقتنا. وهو طبق مشهور في العالم كله وليس في تراستيفير.» وتوقف قليلاً وهو يرفع حاجبيه: «حسناً، ماذا تقولين؟»

«ارى أنه يوم رائع. لكن...»

«نعم. اظن ذلك أنا ايضاً.» وقربها نيكولو منه ثم قبلها، وكانت شفتاه ناعمتان ولطيفتان،ثم ابتسم لها وقال: «اترغبين في أن تمضي هذا اليوم معي، يا كارولين؟»

«نعم. اود فعلاً ذلك.»

كانت بيزا نوفا لا تصدق من حيث جمال تكوينها، وبينابيعها الثلاثة الرائعة والتي تتنافس كي تلفت الانتباه.

«لكني اعجبت بفونتانا دي فيومي اكثر.» صرحت كارولين وهما يراقبان الماء ينبع من اربعة اشكال منحوتة في الصخر وتمثل انهر من اربعة قارات.

قال نيكولو وهو يبتسم: «بالطبع. وذلك لأنها الوحيدة التي صنعت بيدي برنيني نفسه. أما الأخريات فقد صنعت بيد تلاميذه.»

لقد كان نبع ترفي رائعاً، ايضاً، مع أن نيكولو كان تقريباً خجلاً في أن يريه إلى كارولين.

«إنه ضخم، وملفت للنظر، وربما اكبر بالنسبة لبيازا.» قال ذلك وهما يقفان وينظران إلى ضخامة الصخور المنحوتة والاشكال الخرافية والخيالية: «لكن هناك شيئاً خاصاً جداً بها، بأنها تتشابه جميعها.»

«من ذلك الذي يقود عربة الخيل؟ اهو ملك البحر؟ ما كان اسمه... بوسيدون؟»

«اسمه بوسيدون في اليونان فقط. لكنه يدعى نيبتون هنا في ايطاليا. اتعلمين ما يقال حول فونتانا دي ترفي؟»

«اعتقد ذلك. وهو ان ترمي قطعة نقدية في المياه كي تعود إلى روما في يوم من الأيام.»

«يا عزيزتي.» وطوقها بذارعه. «لماذا ترتعشين فجاة؟ هل تشعرين بالبرد؟»

إنني ارتجف لأنني اعلم جيداً أنني لن اعود أبداً إلى روما، قالت في نفسها، لأنني عندما اغادر غداً ـ وسوف اغادر ـ سيكون ذلك إلى الأبد.

«لا. لا، إنني بخير. لقد نزل عليّ بعضاً من رذاذ الماء، هذا كل ما في الأمر. والماء بارد جداً.»

حررّ نيكولو يده منها ثم ادخلها في جيب سرواله: «خذي.» نظرت إلى القطع النقدية تبرق في راحة يده، ثم نظرت إليه قالت وهي تضحك: «لا تكن سخيفاً. إنها خرافة فقط.»

«بالطبع. لكنها خرافة تدعو إلى السرور، وهي تعود إلى عادات لها جذورها في التاريخ. يرمون بالقطع النقدية في الينابيع وذلك لاسترضاء الآلهة.»

«لا بد وان هذا تقليد عالمي. ففي وطني يرمي الناس القطع النقدية ايضاً في الينابيع لجلب الحظ.»

«أرأيت؟» ووضع نيكولو احدى القطع النقدية في يدها: «هيا، يا كارولين. عليك أن تديري ظهرك، وتغمضي عينيك، وترمي بها من فوق كتفيك.»

ترددت للحظات، ولكنها دارت بعد ذلك. واغمضت عينيها بقوة، وتمنت أن يتحقق المستحيل.

قالت في نفسها، آه، ارجوك، دع نيكولو يقول انه واقع

في حبي. فأنا لا أريد أن اعود إلى روما لأنني ما اردت ابداً أن اتركها. واريد أن ابقى هنا، معه، وإلى الأبد.

دارت بسرعة لترى سقوط القطعة النقدية في الماء، لكنها تأخرت جداً. فقد اختفت بين العديد والعديد من القطع النقدية في ذلك الينبوع.

سألت برجاء: «هل حطت قطعتي النقدية في الينبوع؟»

وضع نيكولو ذراعيه حولها وجذبها نحوه.

«بالطبع. هل تمنيت امنية، يا عزيزتي؟ وهل ستطلعيني عليها؟»

«إن اطلعتك على امنيتي، فإنها لن تتحقق. الم تذكر شيئاً حول النزهة والطعام والشراب؟ فأمعائي تذكرني دائماً بأنني لم اضع فيها شيئاً سوى قهوة الصباح.»

ابتسم ابتسامة واسعة: «لقد نسيت شهيتك التي لا حدود لها. هيا. سنذهب إلى كامبو دي فيوري، وستقولين لي ما الذي ترغبينه لطعام الغداء.»

كان من الصعب اختيار كل شيء من السوق الفسيح في الهواء الطلق. من الفاكهة الحلوة المذاق إلى الخضار المتنوعة، والمقانق والأجبان من كل لون و نوع، وكان الخبز برائحته الذكية شهياً في مظهره ايضاً، وتكدست البضائع بوفرة على عربات خشبية تظللها مظلات شمسية بألوان زاهية.

قالت كارولين وهما يتنقلان من بائع وإلى بائع: «كامبو دي فيوري... إنه اشبه بحقل من الأزهار.»

«نعم. والبعض يقول إنه اسم لمكان للمنشقين عن عقيدة ما والذين كانوا يعذبون فيه منذ اجيال بعيدة.»

كأنها تفاجأت من هذا القول: «هنا؟»

«لماذا تبدو عليك الدهشة، يا عزيزتي؟ ألم يكن في مدينة سالم في مسقط رأسك نيو انكلاند، الأهالي يغرقون الساحرات؟ فمثل اماكن عديدة في هذا العالم، الخير والشر يوجدان دائماً. اعتقد أن هذا الذي احببته أكثر في مدينتي. إنه مكان واقعي، أليس كذلك؟ لأنك تبتسمين دائماً، ولا تبكين ابداً. إنه حلم، لكنه ليس مثلما هي الحياة.»

وضمها نيكولو إليه. «لقد جعلتك تتأثرين لأنني اخبرتك عن اشياء تحرق القلوب. لك قلب طيب وحنون للغاية، يا عزيزتي. ولا يجوز أن تبكي على ما كان في سالف الأيام.»

لكن لم يكن سبب بكاءها كما اشار، وارادت أن تطلعه على ما يؤلمها. وانها تبكي على شيء لن يتم. ولكنها اخيراً ابتسمت وقالت له انه على حق.

«الآن سنجلس لتناول القهوة، نعم؟ وبهذا تتمكنين بالتمتع بالأشياء الجميلة حولك.»

جلسا حول طاولة متداعية تقريباً، وفي مكان ضيق تحت مظلة تقيهم حدة الشمس، وهما يرتشفان القهوة، ويتناولان الكعك المصنوع من اليانسون، ويراقبان ذلك الحشد الكبير بألوانه المتنوعة.

كانت كارولين مفتونة بما تشاهده وتراه: «هل يدور هذا كل يوم؟»

«في صباح كل يوم، لا أعلم منذ كم سنة يقام هذا السوق القديم. فالسيدات الرومانيات يأتين إلى هذا السوق لشراء ما يحتجن إليه من الفاكهة والخضار الطازجة. كذلك باقات الزهر البديعة.» وأشار إلى سيدة عجوز تحمل سلة ازهار متنوعة. فدفع لها ما طلبته، واختار مجموعة منسقة من زهر البنفسج، ثم قدمها إلى كارولين بحركة مسرحية.

قالت وهي تدفن انفها في ازهار البنفسج الرائعة: «إنها جميلة حقاً، يا نيكولو، شكراً جزيلاً لك.»

«آه، كم يبدو عذباً صوتك عندما تلفظين اسمي.»

نظرت إليه. وكان يراقبها بحب كبير، ولوهلة، شعرت أن المكان خلا الا من وجودهما.

«هل ستلفظين اسمي مرة أخرى، يا كارولين؟» وتناول يدها وقبلها. «فهناك شيء لذيذ عندما تتلفظين به يجعل من قلبي يشدو اعذب الألحان.»

احست بقلبها يهوي من السعادة. كيف ستستطيع هجره؟

ربما لا يجب عليها أن تتركه. وما الذي ستكسبه ان هي ابتعدت عنه؟ فهي لن تتوقف عن حبها له، حتى ولو كانت هي في نيويورك وهو هنا ولماذا هي متسرعة هكذا؟ إنه لم يقل لها بعد أنه يحبها، وهذا لا يعني أنه لن يفعل. وما زال هناك متسع من الوقت.

«بماذا تفكرين، يا عزيزتي، وما الذي جعل عيناك تغلوان بحرارة؟»

نظرت كارولين إليه قالت وهي تضحك قليلاً: «إنه فقط شيئاً لم افكر به ملياً.»

ابتسم لها، واخذ بيدها ليوقفها على قدميها. «تستطيعين أن تفكري بذلك الشيء الذي لا اهمية له في السيارة، فلدينا نزهة صغيرة في السيارة ايضاً.»

توجها إلى الجنوب الشرقي من المدينة، وكانت سيارة الفيراري تسابق الريح، وهي تتابع اشارات طريق فيا توسكولانا إلى فراسكاتي.

كان محقاً بروعة جمال اليوم كله. من الينابيع في روما،

إلى الجمال الهادىء من الأرياف الصغيرة وحتى من اللمسة الهادئة من الرحلة كلها. ثم تابعا طريقهما، كان الوقت يمر بهما بمرح وبسرعة وضحكهما ينطلق من وقت لآخر من احاديث سارة وممتعة.

توقفا عند الظهيرة، إلى جانب طريق قذر وحملا طعامهما وشرابهما إلى هضبة صغيرة يغطيها عشب اخضر يبهج النفس ومنحتهما تلك الهضبة منظراً رائعاً لمياه لاغو البانو الزرقاء الداكنة. ولاحظت كارولين أن نيكولو لم يشتر طعاماً كافياً، لأنهما تناولاه كله ولم يبقى منه شيء، حتى آخر كسرة من الخبز.

قال: «عظيم؟» لكنها تنهدت وكأنها غير مقتنعة.

«رائع.»

ابتسم وهو يلقي برأسه على حضنها: «هل أنت سعيدة معي، يا عزيزتي؟»

أجابت وهي تمشط شعره الداكن بأصابع يدها: «نعم. أنا فرحة للغاية.»

«ألا تشعرين بالملل؟»

«لا. لا بالطبع. ولمَ أكون؟»

«تراءى لي بأنك ربما كنت تفضلين التسوق في فيا فنتو. أو في بيازا دي سبانا. فهناك مجموعة كارتييه وبولغاري...»

هزت كارولين برأسها: «لقد شاهدت ما فيه الكفاية من أماكن كهذه والتي ستبقى في ذاكرتي أبد الدهر. أود أكثر ان أكون هنا، لأنه رائع جداً.»

«يسرني ذلك. فانا لم احضر احداً إلى هذا المكان قبلاً، و...»

«ولا حتى اريانا.» واطبقت شفتيها وهي تنظر بهلع إليه،

ولم تصدق أنها طرحت عليه هكذا سؤال: «إنني آسفة. فأنا لم اقصد...»

«هذا لا يهم، يا كارولين.» وقف وابتسم لها ابتسامة سريعة وكأنه يزيدها تأكيداً.

«لم اقصد أن اكون فضولية.» ثم ارخت رأسها، واقتلعت ورقة من العشب الآخر واخذت تلويها بأصابعها: «إنه فقط هكذا... حسناً، الذي اردت قوله انه ما من احد يتكلم عنها، لكنها دائماً حولنا، مثل ظل شبح.»

«ليس هناك شيئاً غامضاً في هذا، لقد قلت لكِ، انها جاءت تعيش معنا بعد أن توفي والداها في حادث مؤلم. لقد تحطمت الطائرة بهما، في مكان ما في الأرجنتين، على ما اعتقد.»

«كيف كانت تبدو؟»

«لقد قلت لك ذلك، ايضاً.» وكان هناك توتر ظاهر على في نبرة صوته. «كانت طفلة صغيرة، لكنها رائعة الجمال...»

«لم اقصد كيف كان يبدو شكلها الخارجي... اتذكر أن آنا ضيعت ما بيني وما بينها؟ وقد قلت تلك الليلة انني...»

«انكر جيداً ما قلته.» قال وهو ينفض سرواله: «كنت مخطئاً... وكنت محقاً في نفس الوقت.»

«لا أفهم ماذا يعني ذلك، يا نيكولو.»

تنهد ليقول: «يعني، أنك في بعض الأحيان تشبهينها، وفي احيان اخرى تختلفين عنها.»

«ألا تستطيع أن تشرح لي بطريقة افضل من ذلك؟ إنه لأمر صعب وغير اعتيادي في أن تقارن بأحد لم تره عيناك.»

هز كتفيه من دون اي اكتراث: «إنها من النوع الذي تبتسم للرجل لتجذبه إليها، ثم تجره وراءها لبضع خطوات، لكنها

تصبح اخيراً عديمة المشاعر معه. لكنك لست كذلك، يا عزيزتي. فإنني اعرف هذا الآن.»

«لكننا... لكن، هل نتشابه في نواحٍ اخرى؟»

«ظننت، في بداية الأمر بأنكما متشابهتان. لكن الأمر لم يكن كذلك. فهي ليست شقراء كما انت، ولا هي في طول القامة نفسها، وليست بهذا القدر من الجمال. لكن هناك تشابه وتقارب مماثل. وقد لاحظت وآنا ذلك. نفس الرشاقة في المشي، وغموض في الابتسام...»

«لماذا رحلت بعيداً؟» وحدق بها لفترة طويلة، ثم قال: «أعلم بأنني اخبرتك هذا، يا كارولين. لم يكن لها رغبة في الاستقرار معنا. وفضلت السفر، لترى جمال العالم ويكون لها مهنة ما. ومن هذه الناحية، أنت وهي متشابهتان.»

«و... وهجرتك؟»

«نعم.»

تقدمت خطوة إليه. وارادت أن تسأله، إذا كان قد احبها حقاً. ولكن ما الهدف من وراء ذلك؟ فهو حتماً كان يحبها. ولا تريد كارولين أن تسمع ذلك منه، فربما يؤدي ذلك إلى ألم أكثر اتقاداً في قلبها.

دار نحوها فجأة وواجهها وقال: «ليس لي رغبة في التكلم في هذا أكثر.»

قالت وهي تلمس كتفه الصلب باصابعها: «نيكولو، لا بد أن الأمر كان مزعجاً بالنسبة إليك، ان تحبها ومن ثم تخسرها. لكن...»

«كل ما حدث لي كان درساً اكتسبت منه شيئاً مهماً.»

«ماذا؟»

«انني اخترت فتاة من دون حكمة مني.» والتقت عيناه بعينيها، وقد شدتها البرودة العميقة فيهما: «لقد اخطأت عندما سألت امرأة مثل اريانا أن تغير نظام حياتها من اجلي. صدقيني، يا كارولين، انه خطأ لن اكرره ابداً بعد اليوم.»

«استطيع أن ادرك بأنك قد تشعر بهذا الشيء. لكن...»

«عظيم... اذاً، فليس لدينا اي شيء أكثر لنناقشه. هيا. لقد حجزت للعشاء في مطعم روموله، وهناك ستشاهدين مشهد غروب الشمس أولاً.»

«يبدو ذلك رائعاً.»

بعد أن وضعا حوائجهما في صندوق سيارة الفيراري وتوجها إلى تلة عالية، حبست كارولين انفاسها وهما يقفان في سكون في تلك اللحظة الرائعة، ويراقبان الغطس الأخير للشمس، وقد تلونت المنطقة في حينها بلون قرمزي رائع، فوضع نيكولو يديه على كتفيها. وقال بعذوبة: «كارولين. هناك سؤال اود أن اطرحه عليك.»

احست بقلبها يهوي من مكانه، وشعرت بشفتيها ترتعشان وهي تبتسم له: «ماذا هناك، يا نيكولو؟»

«لقد كنت افكر...»

«نعم؟» وصار قلبها يهوي اكثر واكثر.

تنحنح بصوته قبل أن يقول: «اعرف مدى شعورك حول هذه الأشياء، يا كارولين. فقد ذكرت ذلك بما فيه الكفاية.»

حدقت به، وهي تتساءل في داخلها، ترى ما هي تلك الأشياء؟

«الأشياء التي تناقشنا فيها عندما احضرتك لأول مرة إلى القصر. و... والأشياء تناقشناها الليلة الماضية.»

«ما زلت لا...»

«ايجب أن اهجئها؟ لقد تكلمت عن شعورك نحو الرجل، وعن مهنتك. طبعاً، تتذكرين آراؤك الخاصة...»

تذكرت، لقد قالت له انها ليست بحاجة إلى رجل في حياتها، وأن عملها هو اهم شيء في حياتها. ولكن ما من شيء قالته كان صحيحاً، لقد قالت ذلك فقط كي تخفي ارتباكها المتزايد نحوه، وقد ادركت الآن أن هذا الارتباك قد تلاشى كلياً بعد أن بدأت تشعر به.

قالت له: «نعم، انكر. لكن...»

«لكن ما زلت، تطالبين بحقوق المرأة. نعم. وقد عبرت لك عن ذلك، مع أنك رفضت الاقرار بذلك في حينه. وقد فكرت كثيراً بما كنت تقصدينه عندما تفوهت بهذه الأشياء، وما كنت تريدينه في الحقيقة، و...»

«ما الذي كنت اقصده؟ وما الذي كنت اريده؟ انني لا افهم شيئاً، يا نيكولو.»

«إنه امر سهل جداً. سوف تبقين في روما.»

«انتظر لحظة. ودعني اقول لك ماذا...»

«ليس في القصر، طبعاً. لأن ذلك سيكون صعباً علينا جميعاً. سوف اجد لك شقة... شقة على الطراز القديم ولكنها جميلة، وسوف تعجبك حتماً.»

«نيكولو، ارجوك. لقد فكرت انا ايضاً بذلك، و...»

«محترف فني.»

حدقت في وجهه. «ماذا؟»

«أو ربما محلاً تجارياً. الذي تفضلينه طبعاً. ولا أدري ان كان هناك اماكن تعلم فن تصميم الأزياء في روما. فإن كان يوجد شيء من ذلك، فمن الطبيعي انني ساقوم بدفع اجرة

الدروس. أو، سأستعمل نفوذي كي اعثر على المؤسسة الأفضل في عالم الأزياء للتدرب فيها على اصول وقواعد هذه المهنة. ومن المؤكد أنني سأجد مؤسسة تكون على استعداد في أن...»

«في أن تساعدك في هذا الأمر.»

«تماماً.»

«لقد فهمت. سوف تجد لي شقة خاصة...»

«نعم.»

«تشتري لي مهنة...»

قاطعها مندهشاً: «لماذا تجعلين الأمر يبدو كذلك...»

«كيف يبدو؟ رخيصاً؟ مبهرجاً؟ انك على حق، يا نيكولو. فلن يكون هذا رخيصاً على الاطلاق. لأنك ستسجل ذلك في حساب الشقة. والمحترف الفني، وتعلم المهنة. آه، تذكرت، وساكون في حاجة إلى مصاريفي الخاصة، أيضاً، من ثياب وأشياء أخرى طبعاً.»

«كارولين. اصغي إليّ...»

«لا. اصغي أنت. انك لا تستطيع أن تنسى ذلك.»

«ماذا تقصدين، أن انسى ذلك؟»

«اجعل افكارك في علبة، وخزنها، أو ضعها في قبعة رأسك. اقصد انني لست مهتمة بهذا الأمر. وهذه ليست بتعبير اميركي. فلا تتظاهر بعدم تفهمك لما قلت.»

ابتعدت عنه وتوجهت إلى السيارة. ولكن عندما وصلت إلى منتصف الطريق، كان قد اسرع ليمسك بها ويديرها نحوه.

«إنك تتصرفين بسخافة كبيرة! فكيف ترفضين عرضي قبل ان تناقشيه؟»

«إنه ليس بعرض. إنه... إنه نوع من الإغراء لتشتريني.»

«لقد قلت لك مرة، يا عزيزتي، انني لا اشتري امرأة ابداً.»

«إنه عرض ارفع شأناً واعلى مقاماً من العروض التي اعتدت الحصول عليها. اللعنة، لم يمنحني أحد مهنة من قبل.»

«المهنة التي تاقت نفسك إليها، يا كارولين؟»

«نعم. هذا صحيح. إنني فعلاً اتوق إليها. لكن من تعبي ومجهودي الخاص، وباتفاقاتي أنا. إنك فقط لا تفهم... لكن، ومع ذلك، لماذا عليك أن تفهم؟ فانت آتٍ من عالم يسن كل القوانين فيها.»

«هذا ما تعتقدينه؟ اتعتقدين بأنني أنا أسنّ القوانين؟ وماذا عنك؟ فما هي القوانين التي تسنينها، يا عزيزتي؟ ولا رجل راجح العقل يستطيع ادراكها.»

«ذلك لأنك فقط لا تستطيع...»

«إنه صعب عليّ أن ادرك لماذا ترفضين عرضي عندما يكون هذا ما كنت ترغبينه.»

«هذا لا يعني شيئاً. لقد كنت على حق في امر واحد، أيها الأمير ساباتيني. فعلاً لي حاجاتي، وما قمت به الليلة الماضية كان فقط ارضاءً لتلك الحاجات.»

رأت وجه نيكولو يتوتر بغضب شديد وهو يترنح من عدم قدرته على حفظ توازنه وقررت أن تصمد على ما عزمت عليه إلى أن احست به يمر بجانبها بعد أن تمالك نفسه.

قالت بحدة: «لقد تأخر الوقت. ينتظرني يوم طويل وشاق غداً. واظنك ستتفهم ان اقترحت إلغاء موعد العشاء لهذه الليلة ونذهب رأساً إلى البيت. وان غادرت روما غداً

صباحاً.» ودخلت السيارة واغلق هو بابها بعنف: «وبأسرع ما يمكن لاستقل طائرة إلى نيويورك.»

«سوف اقوم بالتحضيرات اللازمة.» ادار محرك السيارة، وزأرت السيارة بشدة، ثم منحها ابتسامة مخيفة. «اثق بأنك لن تعترضي إذا استعملت نفوذي مع شركات الطيران كي احصل على اول مقعد ممكن لكِ.»

ادارت برأسها وقالت: «يسعدني جداً ان قمت بذلك.»

هز نيكولو برأسه: «عظيم. وإلى أن يأتي يوم آخر، ستكون زيارتك إلى روما تاريخاً مجيداً. أظن أنني قمت بتعبير صحيح، يا كارولين، أليس كذلك؟»

«آه، نعم، يا سمو الأمير، إنه فعلاً التعبير الصحيح.»

هذا ما تكلما به اخيراً وسيارة الفيراري تنهب الأرض في هدأة الليل.

الفصل الثاني عشر

توجهت كارولين بتثاقل إلى بيتها من مركز عملها، بعد ظهر يوم حار من أيام الصيف وبعد مضي عدة اسابيع على مغادرتها ايطاليا. وفتحت صندوق البريد الخاص بها لتجد مغلفاً ابيض طويل يحمل اسم مدرسة دافيس لتصميم الأزياء. ضمته إلى صدرها وأغمضت عينيها.

وصعدت السلالم إلى شقتها في الطابق الخامس، وهي احدى شقق بروكلين الشاهقة التي أستأجرتها لفترة الصيف، وهي تقول: «فليكن هذا قبولاً!»

سوف تبدأ بالبحث من جديد، ان لم يكن طلبها مقبولاً.

دخلت شقتها، ووضعت المغلف على طاولة صغيرة، وتحررت من حذائها، وكذلك خلعت عنها ثوبها القطني الذي احست أنه التصق بجسمها من شدة الحر. وتوجهت إلى غرفتها لترتدي قميصاً قطنياً واسعاً وسروالاً قصيراً. ومشت حافية القدمين إلى المطبخ الصغير وتناولت زجاجة مرطبات من الثلاجة. وأخيراً، تناولت المغلف من على الطاولة حيث تركته وحملته إلى النافذة الوحيدة التي قد يدخل منها نسمات عليلة باردة آتية من مكان ما من النهر الذي يبعد عنها قليلاً.

وفكرت، ماذا لو أن دافيس رفض طلبها أيضاً؟ لكن شيئاً في نفسها يقول لها انها لن تكون نهاية العالم لو فعل هذا. فهي ليست مفلسة وتعمل في محل ميسي لبيع مستحضرات

www.elromancia.com

التجميل، في الجانب الآخر من جسر بروكلين في مانهاتن. وقد كان اوفر لها ان تعيش في منطقة قديمة من ان تعيش في وسط المدينة، انها لم تتمتع بما كسبته بمرافقتها لآنا ساباتيني. وكانت قد رفضت ان تتقاضى قرشاً واحداً من نيكولو، الذي كان بارداً وقاسي القلب.

تذكرت ما قاله لها وهو يقدم إليها الشيك المصرفي: «لقد تم الإتفاق بيننا.» وما كان منها أخيراً إلى أن داست على كرامتها واقرت لنفسها بانه كان على حق.

المال الذي دفعه لها لا يزال في المصرف ولم تلمس منه قرشاً واحداً، وقد ابقته كقسط تعليم لها في أحد المعاهد.

كان يدهشها كيف انها صدقت نفسها بأنها احبته، وكيف خدعت بمظهره المتغطرس والأناني وكأنها صفات ايجابية. وكيف انها ضيعت وقتها في البكاء على اطلاله.

كان الذي ادركته اخيراً أن كل الذي تحتاجه هو ان تلهي نفسها وروحها بشيء حماسي ومنافس وكان من البديهي ان يكون ذلك الشيء مهنة جديدة، ولكن للمعاهد رأي آخر في ذلك.

«نأسف فقد حجزت كل الأماكن.» قال المسؤول عن طلبات الانتساب.

«لقد بدأت الصفوف الآن.» قال موظف آخر.

بعد ذلك، وفي يوم من ايام الأسبوع، وبينما كانت تمشي بتثاقل تتفرج على معرض ماتيس في متحف للفنون الحديثة، لمحت كارولين فتاة كانت تعرفها عندما كانت تعمل سابقاً في حقل الأزياء، فأسرعت إليها. واخبرتها وهما يتناولان الشاي المثلج بمحاولاتها اليائسة في ان تنتسب إلى معهد لتصميم الأزياء.

«لقد سمعت بأن ذلك قد يكون صعباً. ماذا عن د. س. د؟ هل قرعت بابهم؟»

«لم اسمع مرة ب د. س. د. فما هي؟»

«انه مكان صغير جداً ولديهم برامج للمبتدئة التي ترغب في التمرين والامتهان، ثم يدفعون لك راتباً محترماً ويلزموك لدور الأزياء مثل جيفنشي أو كالفين كلاين.»

تنهدت كارولين: «سوف أجرب حظي.»

«نعم، وكذلك، بالنسبة إلي. وقد سمعنا منهم الكثير، بأن لهم شهرة تسطع اضواؤها على تجاربهم السابقة، وليس كما هي العادة في حقل كهذا. كما انني درست العديد من هذه الدروس عدا التي قمت بها انت مثل عرض الأزياء، وفي مهمات ما وراء البحار، وفي الرسوم التخطيطية، مثل الأثواب التي تصنعينها لنفسك احياناً.»

وضعت زجاجة المرطبات جانباً بعد أن عادت بأفكارها إلى المغلف الذي بين يديها، وفضته لتقرأ ما جاء فيه.

«عزيزتي الآنسة بيشوب، فبعد ان راجعنا اوراقك المعتمدة ولائحة طلبك، يسعدنا ان نقدم لك...»

لم توافق عليها ال د. س. د. فقط، لكنهم يريدون ان يرسلوها إلى باريس وإلى دار شانيل للأزياء لتدرس المهنة على أيديهم.

قرأت كارولين ما تبقى من الرسالة وهي في ابتهاج شديد. «فان وافقت على هذه الشروط، نرجو منك ان توقعي على اللوائح المصحوبة مع هذه الرسالة، كي نؤمن لك جواز سفر عاجل، وكي نتصل بذلك المكتب في أسرع وقت ممكن.»

وأخيراً بدأت الحياة تبتسم لها فجأة. شرحت لها السيدة

التي قابلتها في ال د. س. د بأنها فتاة محظوظة جداً. فقد كانوا على وشك ان يرفضوا طلبها لأن الإفتتاح لذلك الموسم كان قد انتهى وامتلأت الأماكن.

«لكن، هناك شاب رُفض طلبه، لأن اوراقه وعلاماته ناقصة ولم تكتمل.»

«يا لسوء طالعه.»

أومأت السيدة برأسها. «نعم، فذلك الشاب هو ابن اخ لأحد مدارئنا لكنني أراهن من انه سينال مركزاً للصيف ان استطاع ان ينظم اوراقه.»

«اتعنين بأنني قد اصرف من هذه المهنة؟»

«آه، لا، لا شيء كهذا فعندما توقعين العقد، نرتبط بك، وبالتالي أنت ترتبطين بنا.»

اسرعت كارولين توقع امضاءها على لائحة الطلب. ما من شيء يوقفها عن عزمها. فهي في طريقها إلى باريس الآن، وإلى حياة جديدة...

هذا ما فكرت فيه على الأقل، إلى ان جاء اليوم السابق لموعد سفرها، عندما اتصل بها أحد ممثلي ال د.س.د ليقول لها انه هناك تغيير في البرنامج.

«آسف لذلك، يا آنسة بيشوب، أخشى بأننا سنعينك في مهمة أخرى.»

شحب وجه كارولين: «ألن أذهب إلى باريس؟»

«لا، لكنك ستذهبين إلى مكان آخر. وأرى انه سيرضيك، بالنسبة لما قرأناه في الوثائق التي قدمتها لنا سابقاً.»

انها حتما ميلانو، فكرت كارولين فجأة ببصيرتها التي حاولت دوماً تجنبها.

لم تكن ميلانو. بل كانت روما.

لم يكن لها اي مجال لرفض ذلك. فقد وقعت العقد ومع ذلك، لماذا عليها ان تضرب عرض الحائط بتعاليم الاسابيع الست التي اخذتها على يد خبير في عالم تصميم الأزياء لأنها ونيكولو ساباتيني ستجمعهما مدينة واحدة؟ فروما تضم أربعة ملايين نسمة. انه من المستحيل ان تلقاه في منعطف ما وتواجهه وجهاً لوجه. وحتى لو حدث ذلك، فماذا سيحصل؟ فعندما كانت صغيرة جداً، وليس بعد فترة طويلة من موت والديها، كانت تحلم بأحلام رهيبة.

«هناك شيء مخيف في الخزانة،» كانت تشكو لجدتها، وكانت الجدة تحملها وتهون الأمر عليها، ثم تفتح لها باب الخزانة وتدعها ترى بأن لا شيء داخلها سوى الملابس.

كانت تقول لها الجدة: «إن كنت تخشين من شيء، واجهيه بعين ثابتة وسوف يرحل عنك.»

هذا ما ستفعله الآن، ان صادفت نيكولو.

لكنها لم تفعل ذلك. فمع مرور الأيام، لم تكن كارولين تتعلم فقط، بل كانت توجه طاقاتها وقدراتها على نحو ثابت وأكيد.

لكن ذلك لم يساعدها. فبدل ان تقل نسبة تفكيرها بنيكولو، اصبحت تفكر فيه أكثر وأكثر. والسبب في ذلك كان واضحاً. فقد كان كل شارع ضيق، وكل عامود اثار رخامي، وكل مطعم صغير، يذكرها بنيكولو وبالأيام الممتعة التي قضتها معه.

اخذت تشغل نفسها بالعمل، وتقوم بأي شيء يطلب منها، من تعليق الدبابيس على حوافي الأثواب، إلى كنس أرض حجرة التصاميم وإلى المساعدة بوضع المساحيق

التجميلية على وجوه عارضات الأزياء، والشيء الوحيد الذي رفضت أن تقوم به هو عرض الأزياء.

لكن، وفي صباح يوم من الايام، اتصلت فتاتان تتحدثان عن اصابتهما بزكام صيف حاد. وكان ريموندو، مصمم الأزياء، مستاء جداً لذلك، لأن شيخاً عربياً من امراء النفط كان سيحضر العرض الخاص مع زوجاته. وكان من المتعذر ان تعرض المجموعة كلها وقد تخلفت عارضتان من تلك العارضات.

التمس المصمم بلهجته الإيطالية المحببة: «كارولين، لقد اكتسبت خبرة واسعة في عرض الأزياء، اليس كذلك؟ من فضلك، هل لك ان تساعديني هذه المرة فقط.»

كانت تعلم أنه على حق، وبأن العرض سيفشل اذا عرض على هذا النحو. كان عرضاً خاصاً، وكل ما عليها ان تقوم به هو أن تمشي في غرفة صغيرة للعرض، وتصعد فوق منصة فرشت بالسجاد والتي تقابل مرآة كبيرة، وتبدو متأنقة وغير مبالية بينما تختار زوجات الشيخ المجموعة التي يُردنها.

«كارولين؟ هذه المرة فقط.»

تنهدت قائلة: «حسناً.»

قبلها ريموندو على خديها، ثم أخذ يصفق بيديه وهو يطلق اوامره. وانخرطت كارولين في العمل الذي تألفه. وخلعت عنها ملابسها، ولبست ملابس العرض، والقت نظرة سريعة متفحصة على تصفيف شعرها والمساحيق التي على وجهها. ابتسمت، وانتصبت بقوامها، واختالت في مشيتها من وراء الستائر التي تفصل المحترف الفني عن صالة العرض واخذت تخطو وتميل فوق المنصة.

لم يكن أمراً صعباً كما كانت تتوقع، لأن الجمهور كان

قليل العدد، الشيخ فقط، وزوجاته، وعدد لا يستهان به من مرافقي الشيخ، ومساعدان ايطاليان حضرا من اجل ان يترجما للشيخ عن الاشياء اللازمة ـ وكان أحد الرجلين ينظر إليها من وقت إلى آخر مما جعلها تشعر بعدم الإرتياح. انه الرجل الذي طالما شاهدته عندما كانت تعمل في ميلانو في مؤسسة الأزياء العالمية.

قبلها ريموندو عند انتهاء العمل مرة أخرى.

«أرأيت؟ لم يكن بالأمر الصعب، اليس كذلك؟ في هذه الحالة، ارجو ان تسمحي لنا وتوافقي على عرض خاص آخر من بعد ظهر هذا اليوم؟» وجاء الطلب مفاجئاً كالأول.

لكن بعد ظهر هذا اليوم شيئاً ما جعلها تقف مترددة قبل ان تطل من وراء الستائر. فقد اخذ قلبها يخفق بهلع واضطراب أخذت نفساً عميقاً، وشقت طريقها. لكنها تسمرت في مكانها. انه نيكولو! آه، انه هنا! وفي هذه الغرفة بالذات.

وتعثرت في مشيتها إلى الأمام، وأحست بتثاقل في ساقيها، كانت خائفة من ان تلتفت في ارجاء الغرفة، وخائفة من ان لا تفعل ذلك. لكن ربما هي مخطئة في ذلك. فعندما خطت إلى المنصة، لم يكن عليها ان تفعل شيئاً سوى أن تلتفت، وتخطو، ثم تخطو، وتعود إلى الالتفات مرة أخرى وان لا تنظر الا إلى الأمام مباشرة.

أحست بالغرفة تدور بها. ها هو، الأمير نيكولو سباتيني، يقف في آخر صالة العرض، وهو يطوي ذراعيه فوق صدره. وكان يراقبها بدقة مثلما كان يراقبها في أول مرة وقعت عيناه عليها سابقاً، بنفس المزيج من الغضب والرغبة مما جعل قلبها يهوي من مكانه.

انظري في عينيه، يا كارولين. قالت لنفسها. لكن نصيحة جدتها لم تفلح. فالنظر في عيني نيكولو جعلها تفقد من توازنها. وما كان لها من خيار سوى ان تجمد في مكانها مثل غزال أمام أسد يود افتراسه.

تنحنح ريموند بصوته وبلطف: «ايرغب سمو الأمير في رؤية الملابس مرة أخرى؟»

تحرك نيكولو، مبتعداً عن الحائط، وتقدم ببطء إلى الأمام، ومن دون ان تترك نظراته كارولين.

«أود ان أرى تلك الفتاة، وتستطيع الأخريات ان تغادرن.»

صفق المصمم بيديه وخرجت الفتيات من المكان. ارادت كارولين ان تذهب هي الأخرى، ولكنها شعرت بأن قدميها مسمرتان فوق المنصة.

نظر نيكولو إلى المصمم. «تستطيع ان تخرج أنت أيضاً.»

قال ريموندو، بدهشة: «أنا؟ يا سمو الأمير؟»

لوّح نيكولو بيديه بشكل مهيب. «نعم، أخرج، اخرج من هنا حالاً! كم مرة يجب ان أكرر ذلك؟»

قالت له بحدة: «كيف تجرؤ على أن تطلق اوامرك على العالم بهذا الشكل؟»

شحب لون ريموندو: «كارولين!» وتحولت عيناه إلى نيكولو وأخذ يثرثر معتذراً، بكلمات بعضها بالانكليزية، وبعضها بالإيطالية: «ان السينيوريتا بيشوب ليست متأقلمة بعاداتنا...»

«لا، ليست كذلك. ذلك لأنها لا تحترم سوى عاداتها.»

«ماذا تود ان تعرف يا سمو الأمير عن هذا الثوب؟ نوع القماش؟ ام الألوان المتوفرة منه؟ فقط اشر إليّ، يا صاحب السعادة، و...»

قالت كارولين: «كان ذلك صديقك الذي كان هنا في صباح هذا اليوم، أليس كذلك؟ أتذكر الآن... انطوني، انطونيو...»

«انه انطونيو. نعم، وقد تذكرك، هو ايضاً، منذ تلك الليلة في سالاديل آرت. وقد ظنّ بأنه سيؤدي لي خدمة عندما اخبرني بأن الأميرة الباردة موجودة هنا، وفي روما.»

«كارولين. سمو الأمير. أرجوك، فإن كان هناك أية مشكلة...»

«لا أدري ما الذي جعلك تأتي إلى هنا، يا نيكولو. فليس هناك شيء أكثر نريد ان نقوله لبعضنا البعض.»

«على العكس، فهناك الكثير لنقوله. ارتدي ملابسك. وسوف انتظرك.»

«استمع إلى نفسك فقط.» ثم قالت بسخرية: «ارتدي ملابسك، وسوف انتظرك.» وتقدمت إلى الأمام ويديها فوق خاصرتها. «أنت على حق، لأنك سوف تنتظر طويلاً، لأنني لن...»

«اتفضلين ان احملك إلى غرفة الأزياء، وأخلع عنك هذا الثوب، والبسك بنفسي؟»

حدقت به، وفكرت بأنه فعلاً قد يقوم بذلك انها تعرف هذا جيداً. تحركت بعد لحظة، ومشت عبر المنصة ثم إلى الباب الذي يؤدي إلى غرفة الأزياء المشتركة.

ابتعدت العارضات بسرعة عن الباب واللواتي كن مجمعات هناك لسماع ما يدور وما يجري.

همست احداهن: «كارولين. ماذا يجري؟»

قالت بحدة: «شيء كان يجب ان يجري منذ اسابيع خلت. من الواضح، ان بعض الرجال، في حاجة لكي تهجأ الكلمات لهم ليفهمونها.»

خلعت عنها ذلك الثوب، ودفعت بالحذاء جانباً، وأخذت

ترتدي الزي الذي تجده اكثر راحة، وهو السروال الجينز، وقميصاً قطنياً فضفاضاً وقد طبع عليه «احب نيويورك.» وأخذت تزيل المساحيق من على وجهها، وعقصت شعرها إلى الوراء، واحكمت رباط حذاءها الرياضي، ومشت نحو صالة العرض حيث كان ريموندو يحوم حول نيكولو.

«سينيوريتا، من فضلك... لو انك فقط تشرحين...»

قالت بلطف: «لا علاقة لك بهذا الأمر.»

ارتفع حاجبا نيكولو، ثم هزّ برأسه. «انها على حق، سينيور. اعتذر من حدة مزاجي ومن أي ازعاج سببته لك، واؤكد لك بأن جدتي سوف تعشق الأزياء التي قمت بعرضها اليوم. وسوف تطلب كل شيء.»

همس المصمم: «كل شيء؟»

لوح نيكولو بيده. «طبعاً. وسوف اجعلها تتصل بك؟»

«نعم. آه، بالتأكيد. شكراً لك، يا سيدي. شكراً...»

«هيا!» قال نيكولو وهو يقبض على ذراع كارولين، وأسرع بها خارج باب صالة العرض إلى الشارع.

«اترك يدي» صرخت به وهو يدفعها بخشونة نحو سيارة الفيراري، حيث كان يوقفها بشكل مخالف امام مدخل صالة العرض مباشرة. «اللعنة عليك، يا نيكولو، قلت لك...»

«ادخلي السيارة.»

«لا!»

لكنه فتح الباب وادخلها بالقوة، ثم دار بسرعة ليجلس إلى جانبها.

«نيكولو. ماذا...» دارت عجلات السيارة بسرعة وهي تحدث صوتاً مزعجاً وانطلقت بهما وسط الإزدحام.

قال وهو يكز بين اسنانه: «انك لم تتركي روما.»

«بالطبع فعلت!»

«فلا عجب اذاً، ان لم اكتشف مكانك. فعندما أفكر بالمصاريف التي تكبدتها وأنا أتحرى...» ثم منحها نظرة باردة: «لا فكرة لديك كم واحدة تحمل اسم عائلة بيشوب هناك في مانهاتن، أو في فرمونت أو في هامبشاير.»

«تحريت؟ وهل وظفت تحري للعثور عليّ؟ لكن لماذا؟»

التوى فمه قليلاً. «لأن هناك عمل لم ينته بعد فيما بيننا.»

هزت برأسها: «آه، حسناً. هناك أشياء لم أقلها لك وكان من الواجب أن تعلم بها. وسيسعدني أن أزيح ثقلها عن صدري!»

«انني لا أصدق انك هنا، في روما، بينما وظفت عدداً لا يستهان به من التحريين في نيويورك للعثور عليك!»

«كان عليك أن توظف أحداً قد سمع عن بروكلين، لأن هناك مكان اقامتي.»

«بروكلين؟ لكنك قلت انك ذاهبة إلى مسقط رأسك، في مدينة نيويورك.»

«وبروكلين هي جزء من المدينة، لكنك لن تعرف ذلك. انها تماماً مثل معرفة التعابير المصطلح عليها، فانت لن تفهم ذلك، ان لم تكن أميركي الجنسية. لكن هذا يلا يهم، فتحريك الخاص لما كان وجدني على أية حال. لأنني كنت قد استأجرت شقة داخلية، ولم أستأجر بيتاً باسمي أنا.»

أحدثت السيارة صوتاً مزعجاً وهو يقف بها فجأة عند حافة الطريق. وأطفأ المحرك ومال بسرعة نحوها.

«إذاً. كل ما تفوهت به بأنك لن تعودي إلى عمل عرض الأزياء كان كله كلام في كلام، أليس كذلك؟»

«لا أرى ان ذلك من اختصاصك؟»

«أتعملين مع شركة الأزياء العالمية أو مع وكالة أخرى الآن؟ ما هي المشكلة، يا عزيزتي؟ أو انك لا تستطيعين العمل من دون أن تتمتع عيون الرجال بالنظر إليك؟»

«لمعلوماتك الخاصة، يا سمو الأمير، هذا هو اليوم الأول الذي أعرض فيه أزياء منذ أن غادرت روما.»

«أحقيقة هذا؟»

«نعم، انها الحقيقة. انني هنا الآن كمتدربة على تصميم الأزياء. وقد تعسر الأمر عليهم ووافقت على أن أمد يد العون لهم و... ليس من المفروض أن أشرح لك ذلك.»

«لا؟»

«لا. والآن هل لك أن تعذرني، فقد حان الوقت لأن...»

«قلت لك، يا كارولين، هناك عمل بيننا.»

«لا أستطيع أن أتصور ما هو.»

«لقد وافقت منذ بضعة دقائق، بأن هناك شيئاً فعلاً.»

وجهت إليه كارولين نظرة باردة. «وافقت لأنني أدركت بأنني لم أقل لك يوماً انك الأكثر وقاحة وتغطرساً وعناداً وتصلباً بين كل المخلوقات على الأرض!»

ضحك نيكولو وقال: «يا لها من لائحة وصف رائعة، يا عزيزتي. انني فعلاً متأثر جداً منها.»

«لا تكن كذلك. ولا تنادني بعزيزتك!»

«لا تكوني سوقية.»

«ساكون كذلك وكما يحلو لي. فانا لا أدين لك بشيء، يا سمو الأمير. فانا امرأة كما أنا، و...»

«وأنت سيدتي.» وقبل أن تتفوه بكلمة أخرى، قبلها.

انطلقت يداها لتقبض على رسغيه. «لا تفعل ذلك.»

لكنه تجاهل كلامها، وعاد يتابع تقبيلها.

عادت تشد بأصابعها حول رسغيه وهي تقول: «لا تفعل.» لكن ما تقوله كان كذبة، لأنه كان كلاماً بلا معنى. وفهمت في الحال بأنها لم تتوقف، ولا مرة، عن حبها له. وسوف تبقى على حبها له إلى الأبد، بالرغم من كل شيء يتصف به.

فتحت عينيها ببطء وهي تتراجع قليلاً إلى الوراء. وابتسم لها وهمس: «يا عزيزتي.»

همست: «هذا... هذا لن يحل شيئاً. ولن يثبت شيئاً.»

حررها من قبضته وخرج من السيارة. وانتظرت بينما دار إلى جهتها وفتح لها الباب: «تعالي معي.»

انصاعت اليه طائعة، وأعطته يدها، ثم ترجلت من السيارة، ودعته يرشدها إلى الطريق التي أمامهما...

قالت له باصرار: «انتظر لحظة لعينة واحدة...»

أخذها بين ذراعيه. «لقد قلت لك مراراً، انه ليس من المستحب أن تنطلق مثل هذه الكلمة من فم جميل مثل فمك.»

«سوف أقول ما طاب لي من اللعنات!»

«وسوف أخرسك عندما تقومين بذلك، يا عزيزتي. وسوف نرى من الذي سيقهر الثاني في النهاية. الآن، تعالي معي. لأننا سنسوي من الفروقات التي بيننا، ولآخر مرة.»

«نيكولو! هل جننت؟ إلى أين تأخذني؟»

«اننا في فورم بوريوم. أترين ذلك المعبد هناك؟»

انطلقت كارولين تقهقه ضاحكة. «لقد سبق وقمنا بجولة معاً في روما. فلا أريد أن أقوم بجولة ثانية!»

«الذي ستنالينه ليس جولة سياحية، لكن فرصة لقول الحقيقة، يا كارولين.»

تعثرت بخطاها وهي تسير طول المسافة التي تفصلهما عن مدخل المعبد، واصطدمت به عندما توقف بشكل مفاجيء.

«حسناً. لقد وصلنا.»

«إلى أين؟»

قال نيكولو، وهو يشير إلى الحائط أمامهما: «هنا.»

نقلت كارولين نظرها منه وإلى الحائط. وكان يغطي الحجر الكبير والدائري لوحة نقش عليها شيء للذكرى، وتمثل صورة وجه رجل. ورأت ان اللوحة قديمة العهد ومخيفة نوعاً ما. وكان لها فجوتان صغيرتان وداكنتان مكان العينين، وأنف مستقيم، وفم مفتوح عميق ومعتم.

ارتجفت أوصالها: «يا الهي ما هذا؟»

«لا بوكا دي فريتا.» ثم شرح: «انه فم الحقيقة.»

حدقت كارولين بالوجه المنحوت. وبدا خطراً ومخيفاً، وأحست فجأة بأنها تريد أن تبتعد ما أمكنها عنه.

«لماذا تبدو كثيراً... كثيراً...؟»

«لقد اعتقد جدودي، وفي العهود القديمة بأنه إذا تفوهت بكذبة وأنت تدخلين يدك في ذاك الفم، فسوف يعضك بقوة حتى تقطع يدك.»

قالت مؤكدة: «لم أحبها.»

لوى نيكولو فمه. «لا يهم ان أحببت أو لم تحبي فم الحقيقة هذا، يا كارولين.»

«لا؟ حسناً، ربما الرومانيون يعتقدون ويقومون بهذه الخطوة. لكنني وكأميركية، لم أحبها.»

أمسك بيدها بسرعة: «كل ما عليك أن تفعليه هو ان تجيبي عن سؤال واحد.»

«لست بمزاج في أن ألعب لعبة ما.» قالت وهي تتظاهر بالشجاعة: «ان كنت تفكر بأن تلهو وتمرح...»

«ضعي يدك داخل هذا الفم، يا عزيزتي.»

نظرت إليه وكأنها تنظر إلى أحد أصابه مس في عقله.

«لا تكن سخيفاً!»

أخذ نيكولو يدها وأدخلها بسرعة داخل الفم العميق.

«هيا ضعي يدك. ثم انظري في عيني، وأجيبي عن سؤالي.»

كانت قبضته على يدها عنيفة، ولم يكن في استطاعتها أن تفلت منها.

قالت غاضبة: «حسناً. دعني، فسأقوم بذلك بنفسي.»

وأخذت نفساً عميقاً، وأدخلت يدها داخل الفم المفتوح. ولم يحدث شيء مع انه كانت أصابع يدها ترتجف بعصبية:

«حسناً؟ ما الذي سيحدث بعد ذلك؟»

«الآن أجيبي عن هذا السؤال.»

«صدقني، يا نيكولو، ان هذا...»

«السؤال، يا كارولين، هل أنت على استعداد للاجابة؟»

التقت عيناهما، وأحست فجأة انه كان من الصعب عليها أن تتنفس. وبلعت بريقها الجاف، ثم هزت برأسها موافقة.

«نعم، سأجيب عن سؤالك. فما هو؟»

رفع يده ووضعها على خدها، فأحست بأصابعه باردة ولكنها ثابتة على بشرتها.

«انه سؤال بسيط، يا عزيزتي. هل تحبينني؟»

أرجعت كارولين يدها المرتجفة، ولكن نيكولو كان أسرع منها وأخذها ليضمها إلى يده.

«عليك ان تقولي الحقيقة، أو عليك أن تواجهي الغضب من هذا الفم.»

www.elromancia.com

«هذا جنون! فأنا لا أصدق سخافة كهذه.»

هزّ نيكولو كتفيه: «أتسمينها سخافة؟ لست متأكداً من ذلك، يا عزيزتي. ففي ذلك اليوم الذي كنا فيه في فونتانا دي ترفي، كنت قد رميت بقطعة نقدية كما فعل جميع السياح، كي تعودين إلى روما. وها انك عدت.»

«حسناً، نعم، لكن...»

«أما بالنسبة إليّ، فقد تمنيت أن لا أفقدك. وها أنت، قد عدت إليّ.»

دخلت كلماته رأساً إلى قلبها، وتذكرت تلك الأمنية الخاصة التي تمنتها في ذلك اليوم، ابتسمت بارتعاش: «هل هذا... كان حقيقة ما تمنيته؟»

«عليك أن تجيبي عن سؤالي أولاً.» قال وعيناه لا تفارقانها: «أتحبينني يا كارولين؟»

حدقت به. يا له من سؤال بسيط ـ ومع ذلك سؤال خطر جداً. أن تقول له الحقيقة تكون قد كشفت حقيقة مشاعرها نحوه، وستعرض نفسها إلى السقوط والاحباط. ورفع يدها إلى شفتيه. وهمس: «أيساعدك ان قلت لك أولاً انني أحبك.»

أحست بخفقان في قلبها. كانت تلك الكلمات التي تمنتها وتاقت نفسها لسماعها، الكلمات التي تمنت سماعها عندما رمت بالقطعة النقدية في ذلك اليوم في ينابيع ترفي.

«كارولين؟ ما من شيء عندك تقولينه لي، يا عزيزتي.»

«ان لا تتخذني عشيقتك. مهما كان قولك في ذلك.»

«عشيقتي؟ من أي نوع من الرجال تحسبينني؟ انني أحبك، يا كارولين وهذا يعني أنني أريد الزواج منك.»

«زوجة لك؟ آه، يا نيكولو...»

«عليك أولاً أن تجيبي عن سؤالي. هل تحبينني؟»

«نعم. طبعاً أحبك. وأحبك من صميم قلبي.»

أغمض نيكولو عينيه، ليفتحهما مجدداً: «كنت أعرف ذلك! لكن عندما قلت في تلك الليلة التي أمضيناها معاً...»

«لقد كانت كاذبة.» همست كارولين واقتربت منه كي تضع رأسها على كتفه: «أردت أن أسبب لك الألم، يا نيكولو انتقاماً منك كما كنت تؤلمني، وكنت حينها غارقة في حبك، وأنت تطلب مني أن أكون عشيقة لك.»

«لقد طلبت منك أن تكوني ما تريدين، يا عزيزتي. لقد كان امراً سخيفاً، وأعتقد أنني قمت بعمل سيىء وقتها، لكن كان من الصعب، عليّ أن أتنكر لمبادئي القديمة والصارمة ومنحك الحرية التي ترغبينها.»

«آه، انك لست بصارم على الاطلاق! لأنني أود أن أكون زوجة لك من الطراز القديم، يا نيكولو.»

«أنت متأكدة؟» وأخذ وجهها بيديه ثم نظر في عينيها: «لقد ارتكبت خطأ مع اريانا. حاولت أن أغير نظام حياتها، وان أحولها إلى امرأة لا تستطيع أن تعيش مثلها. لكنني لن أرتكب نفس الخطأ مرة أخرى!»

«نيكولو. اصغ إليّ. أنا أريدك. وأريدك لي وحدي، هل تفهم ذلك؟ أريد أن أؤسس لك بيتاً، وانجب لك أولاداً...»

أسكتها بقبلة منه. ابتعدت عنه وسألته:

«أأنت متأكد بأنني المرأة التي تريدها. وليست اريانا؟»

ابتسم نيكولو لها: «كنت واريانا على خطأ من نواحٍ عديدة. وقد أدركت ذلك في اللحظة التي تركتني فيها.»

«نعم، لكن لنفترض انها قد تعود يوماً...»

«كانت تعود دائماً، لأنها تحب آنا كثيراً. لكننا لا نعرف متى

تعود أعتقد بأنك ستحبينها، يا عزيزتي، عندما تلتقين بها.»

«حسناً. ربما، أعني، في المرة المقبلة التي ستظهر فيها...»

«يمكنك أن تقولي رأيك فيها هذه الليلة، عندما نتناول جميعنا العشاء في القصر ونطلع آنا على أخبارنا الجديدة.»

حدقت كارولين به: «أتعني، ان اريانا هنا؟»

«نعم، لقد جاءت منذ عدة أسابيع.»

«و... وما زالت عزباء؟»

ضحك نيكولو بلطف: «ما الذي يقنعك، يا عزيزتي؟ انها هنا، وهي غير متزوجة، وما زالت في غاية الرقة. لكنني لا أحبها، لأنني أحبك أنت.»

مالت كارولين برأسها: «ضع يدك في فم الحقيقة. وعندها قد أصدقك.»

«آه منكن انتن النساء الاميركيات. فأنتن تطلبن الكثير من الرجل!» وأدار ليضع يده في الفم الحجري. «أحبك، يا كارولين. وسوف أحبك إلى الأبد.»

ابتسمت كارولين وذراعا نيكولو تحيطان بها.

تمت